
محمد رجب
بنات إسرائيل
مدبولى الصغير

بنـــات إســـرائيل
وأسرار دولة اليهود!

بنـــات إســـرائـيـل
وأسـرار دولـة اليهـود !

الناشر: **مكتبة مدبولى الصغير**
٤٥ شارع البطل أحمد عبدالعزيز
تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠
ميدان سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥
رقم الإيداع: ٩٨/١٩٦٩
الترقيم الدولى: 977-286-044-9

الطبعة الأولى: ١٩٩٨

تصميم الغلاف: عاطف منصور

مراجعة لغوية: سيد عبدالمعطى

الصف والإخراج الفنى: كريم كمبيوتر

بنات إسرائيل

وأسرار دولة اليهود !

محمد رجب

الناشر: مدبولي الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾

صدق الله العظيم

إهـــداء

إلى.. إبراهيم سعدة
أستاذاً.. ومثلاً أعلى
.. وقلباً عامراً بالحب.

محمد رجب

كلمـــة أولــى

المسافة بين القاهرة وتل أبيب لاتزيد على خمسمائة كيلو متر.. تقطعها الطائرة فى ساعة زمن.. والسيارة فى سبع ساعات.. لكن المسافة بين المصريين والإسرائيليين كالمسافة بين السماء والأرض!

عندما تقدمت خطوات خارج مطار بن جوريون فى قلب تل أبيب ـ أو تل أفيف كما ينطقونها ـ لم أكن أحمل غير حقيبتى فى يدى.. وجبال من الذكريات فى صدرى.. وقفت على رصيف المطار أبحث عن تاكسى بعد انتصاف الليل فى إسرائيل..

كنت أتلفت حولى فى دهشة.. لا أصدق أننى الآن فى قلب تل أبيب.. البرد قارص.. لكن الذكريات كالنار.. أكاد أسمع بإحدى أذنىّ صوتِ تلاميذ مدرسة بحر البقر وهم يموتون بالقنابل الإسرائيلة فى محافظة الشرقية فى حرب الاستنزاف.. وأكاد أسمع بأذنى الأخرى صوت أنور السادات يعلن عن مبادرة السلام.. لكنى حاولت أن أتجرد من كل مشاعرى.. أو على الأقل أحتفظ بها لنفسى..

فمنذ تلك اللحظة كنت أدرك أن الأمانة تقتضى أن أصطحب معى كل القراء فى تلك الرحلة المثيرة وأترك لهم فى النهاية حرية الحكم على إسرائيل.

لم تكن معلوماتى تزيد عن معلومات أى مصرى أو عربى لم تتح له فرصة زيارة إسرائيل.. معلومات من الكتب والجرائد والمجلات والأفلام القديمة.. لكنى فى آخر ساعات زيارتى قلت لنفسى: «سامح الله الذين منحونا هذه المعلومات.. فإسرائيل على أرض الواقع.. شكل تانى»!

لم أجد اليهودى الذى صورته لنا الأفلام بهذا الشخص حاد الأنف.. البخيل.. الأخنف.. بل وجدت يهوداً أوروبيين.. وسوفيت على قدر كبير من الأناقة والكرم وحلاوة الصوت.. وإن كنت قد وجدت يهوداً آخرين يصيبونك بالأرتكاريا!

لم أجد بائعات الهوى والداعرات ينتظرن الرجل فى الشوارع وبيوت الرذيلة.. بل وجدت مجتمعاً من الحاخامات المتشددين.. وشعباً يمشى وهو حامل التوراة والتلمود ويقرأ منهما.. وإن كنت قد وجدت فى بعض المناطق بيوتاً للدعارة.. وفنادق للجنس.. وبائعات للهوى محترفات وهاويات!

لم أجد شعباً له جنسية واحدة أو تاريخ واحد أو لغة واحدة.. بل وجدت الإسرائيليين يتكلمون ستين لغة.. ويحملون سبعين جنسية... وإن كنت قد وجدت فى نفس الوقت طوائف دينية مازالت تحرص على شكل واحد.. ومضمون واحد.. وهدف واحد هو كراهية العرب!

رأيت فى إسرائيل صورة السادات داخل الكنيست وفى فندق الملك داوود.. وسمعت صوت عبدالناصر وأم كلثوم وعبدالحليم حافظ!

رأيت شعباً من أغرب شعوب العالم فى تقاليده وعاداته..

ودولة من أغرب دول العالم فى نظامها الاجتماعى..

وتعرفت على ديانة طقوسها من أغرب الطقوس الدينية على وجه الأرض..

فالعريس يبكى مع المعازيم فى ليلة الزفاف..

والعروس تحلق شعرها قبل أن تذهب إلى الكوشة!

دخلت الكنيست وحاورت شاحال وزير الأمن الإسرائيلى عن التطرف والإرهاب وجرائم الجنس وبيوت الدعارة..

ووقفت أتأمل الكنيست أرقى دار سياسية فى إسرائيل.. وأتذكر الأقلية التى تحكم الأغلبية.. بالذوق مرة.. وبالعافية عشرات المرات!

ودخلت الكنيس.. دار العبادة التى يعبد فيها اليهود إلههم الواحد المقدس.. ووقفت أمام حائط المبكى.. وشاهدتهم يكتبون عنده رسائل إلى الرب ثم يضعونها بين شقوق الحائط..

مشيت فى طريق الآلام.. وصليت فى المسجد الأقصى.. وبكيت فى مغارة الأنبياء.. استرحت فى دير السلطان.. وزرت كنيسة القيامة.. ونمت فى القدس معظم ليالى رحلتى!

تحدثت مع يهود من كل الأشكال والألوان.. وتعرفت على قصص الغرام هناك.. وعايشت أشهر قضاياهم.. وعرفت أسرارهم.. وأسود أيام عمرهم!

قابلت مهاجرين ينتظرون الحصول على شهادة تحولهم إلى الديانة اليهودية.. الرجل يذهب إلى «بيت الدين» أو المحكمة الدينية ـ كما نسميها نحن ـ ثم يقف أمام لجنة ثلاثية من الحاخامات.. وبعد ذلك يخلع ملابسه الداخلية ليتأكد الحاخامات من أنه أجرى عملية الختان.. والمرأة تنزل إلى الحمام المقدس حتى تغمر المياه جسدها ثم يجرى حوار بينها وبين الحاخامات الواقفين فى مكان علوى فى مواجهة المغطس!

قابلت صهاينة ليسوا يهوداً.. ويهوداً ليسوا صهاينة..

وتعرفت على يهود ليسوا إسرائيليين.. وإسرائيليين ليسوا يهوداً..

بل بعضهم مسلم والآخر مسيحى!!

كل مافى الأمر أنهم حصلوا على الجنسية الإسرائيلية.

صعدت هضبة الجولان.. وعشت يوماً مع الدروز.. ورأيت الأعلام السورية داخل البيوت.. وعبارات الانتفاضة فوق جدران الحوائط..

وشاهدت تمثال التحدى العربى فى قلب سوق الجولان الكبير ومن حوله جنود الاحتلال الإسرائيلى!

ووقفت لحظات أمام جبل الشيخ الذى إن وقفت فوقه شاهدت دمشق.. وإن نظرت خلفك شاهدت تل أبيب!

وهذا الكتاب رحلة فى أعماق المجتمع الإسرائيلى المعاصر والقديم.. رحلة داخل أغرب دولة!

كان هذا هو الموجز.. وإليكم الرحلة بالتفصيل!

معنى كلمة إسرائيل!

قبل أن تقرأ عن إسرائيل لابد أن تعرف معناها..

فالكلمة عبرية وليست عربية..

ومعناها فى العبرية يختلف عنه فى العربية..

فهى فى العبرية مكونة من جزئين:

الأول: «إسرا» ومعناه «صارع»

والثانى: «إيل» ومعناها «الرب»

فهى فى العبرية تعنى «صارع الرب» والمقصود هنا سيدنا يعقوب عليه السلام.. ويحكى العهد القديم والكتاب اليهودى المقدس أن الرب تجسد فى شكل رجل وراح يصارع يعقوب.. وتمكن يعقوب من الصمود أمام الرب مدة طويلة، فأطلق عليه الإله هذا الاسم «إسرائيل».

وفى اللغة العربية.. أو بمعنى أدق عند العرب.. يقول تفسير القرطبى:

«إن الجزء الأول من الكلمة وهو «إسرا» يعنى «عبد»..

والجزء الثانى وهو «إيل» يعنى الإله..

وبالتالى يكون معنى الكلمة «عبد الإله»..

أى أن الكلمة وصف لعبودية سيدنا يعقوب لله سبحانه وتعالى.



بنـــات إســـرائيل!

«تقـول الأرقـام الرسـميـة إن ٦٠٪ من بنات إسـرائيل مطلوبات للتـجنيـد الإجـبارى.. و٧٠٪ من المجندات يمـارسن الجنس أثناء فـترة تجنيـدهن.. و٥٠٪ منهن يستخدمن وسـائل منع الحمل.. وبين كل مـائة فتاة مـجندة فتاة واحـدة - فقط - لم تمارس الجنس من قبل مثل بقيـة زميلاتـها.. بل لم يعد غريباً - كما تقـول إحدى رسـائل الدكتـوراة فى إسرائيل - أن تشـاهد الفتـيات حـوامل فى صفوف جيش الدفاع الإسرائيلى!»

البنت الإسرائيلية.. جميلة ومهمومة!

يبدو القلق والأرق على ملامح الفتاة الإسرائيلية قبل أن تصل إلى عامها الثامن عشر.. ففى هذه السن المتقدمة، إن لم تكن قد تزوجت فسوف تجد نفسها فى مفترق طرق وحسابات لاتنتهى!

والسبب سن التَجنيد الإلزامى للفتيات الإسرائيليات الذى جدده القانون بثمانية عشر عاماً.. إن هى التحقت بالتجنيد فمعنى ذلك أن فرصة الزواج من شاب متدين سوف تضيع عليها.. لأن الفتاة المجندة ليست فوق مستوى الشبهات فى عيون المجتمعات المتدينة داخل إسرائيل..

إلا أن سمعة المجندات لم تنشأ من فراغ.. فهناك حقائق وأرقام ودراسات يؤكد بعضها أن بين صفوف الجيش الإسرائيلى مجندات حوامل، انتفخت بطونهن داخل المعسكرات المسلحة!

بل عرف الجيش الإسرائيلى العوازل الطبية وحبوب منع الحمل!

أحدث دراسة فى هذا المجال هى رسالة دكتوراة تقدمت بها إلى جامعة تل أبيب الدكتورة ميلو بيستى التى اعتمدت فى ملحق رسالتها على استقصاء السلوك الجنسى للمجندات داخل الجيش الإسرائيلى..

وثبت أن أعلى معدلات السلوك الجنسى بين صفوف المجندات فى العالم تجدها داخل إسرائيل..

فقد ثبت بالأرقام أن ٦٧٪ من المجندات اليهوديات كانت لهن علاقات جنسية

كاملة أثناء فترة تجنيدهن.. وأن ١١٪ من المجندات لم يستخدمن أى عوازل أو موانع للحمل..

لهذا لم يكن غريباً أن تفاجأ بعض وحدات الجيش بانتفاخ بطن إحدى الفتيات المجندات..

والغريب أن هذه العلاقات لاتستند إلى قصص غرام.. أو حكايات حب.. أو لحظات ضعف..

فالأرقام تقول - أيضاً - أن ٢٥٪ من المجندات اللاتى يمارسن الجنس ليست لهن علاقات ثابتة.. فالمجندة تغير عشيقها كما تغير جوربها كل يوم!

تقول الأرقام - أيضاً - أن ٥٪ من العلاقات الجنسية التى تمارسها المجندات تكون مع أفراد مدنيين خارج نطاق الجيش.. بينما ٩٥٪ من هذه العلاقات تشهدها فترة التجنيد الإلزامى بين الجنود والمجندات بالجيش الإسرائيلى..

وتشير الأرقام إلى أن ٩٩٪ من هؤلاء المجندات خبيرات بعالم الجنس، ولهن تجارب سابقة قبل التجنيد..

بينما ١٪ - فقط - بلا تجارب..

أى أن بين كل مائة فتاة مجندة توجد فتاة واحدة لم تتفتح عيناها على الجنس.. وتتحرك شهواتها المكبوتة إلا داخل صفوف الجيش.

ويبدو أن المجندة الإسرائيلية تعشق الجنس وتوابعه!

تقول الأرقام أن ٧٠٪ من المجندات يشربن الخمور والكحوليات أثناء فترة التجنيد.. كما يتناولن أكثر من عشرين سيجارة فى اليوم!

وتمضى الإحصائيات تؤكد أن ٥٠٪ من هؤلاء المجندات استخدمن وسائل منع الحمل.. وأن ٧٪ منهن استخدمن هذه الموانع فى التجربة الجنسية الأولى قبل الالتحاق بالجيش!

ثم تشير الإحصائيات أن الإسرائيليات الأوروبيات يمارسن الجنس أثناء فترة التجنيد بشكل يفوق ممارسات الجنس من الإسرائيليات القادمات من أفريقيا وآسيا!

لكن من أين أتت المجندات الإسرائيليات بهذه الخبرة الواسعة فى عالم الجنس؟!

أجابت المجندات بوضوح على هذا السؤال فى البحث الميدانى الذى شمل مئات المجندات من كل نوع أو صنف.. كانت الإجابات واحدة ومحددة:

المجلات والصحف وزملاء المدرسة..والآباء فى البيوت!

أما عن ارتفاع نسبة ممارسة الجنس في تلك الفترة بالذات فقد أجمعت المجندات على أن فرصة الممارسة الجنسية تزداد داخل الجيش بشكل يفوق فرصة الممارسة والمتعة الحرام خارج معسكرات الجيش!

هذه الممارسات الجنسية جعلت كثيرين من الشباب المتدين يقلع عن الزواج من الفتيات المجندات..

فالشاب المتدين فى إسرائيل يسعى دائماً ليكون الرجل الأول فى حياة شريكة حياته.. يريد فتاة عذراء.. فتاة لم تسمع ولم تشاهد ولم تمارس الجنس من قبل.. لايريد فتاة ذاقت الرجال وذاقوها.. لعبت معهم ولعبوا بها..

فتاة هو الذى يقص شريط افتتاح حياتها الجنسية!

لكن المسألة تبدو صعبة جداً..

فالتجنيد إجبارى للفتيات.. ومعنى ذلك أن شباب إسرائيل لن يجد فتاة أحلامه التى يطمئن لسلوكها.. ولايشك فى ماضيها أو بكارتها!

فالأرقام تقول ـ أيضاً ـ أن ٦٠٪ من بنات إسرائيل مطلوبات للتجنيد!

لم يكن هناك حل أمام معظم الشباب غير الاستسلام للأمر الواقع.. لكن المتدينين رفضوا فكرة الاستسلام.. ومازالوا يضربون عن الزواج من المجندات..

لهذا تجد الفتاة الإسرائيلية نفسها فى مأزق حرج إذا وصل عمرها إلى العام الثامن عشر.. وأصبحت مطلوبة رسمياً للتجنيد!..

ولابديل أمامها غير أن تكون قد تزوجت قبل بلوغها هذه السن من أحد تلاميذ مدراس «الكوليل»!

من هنا تحمل البنت الإسرائيلية هموم الدنيا فوق رأسها وهى مازالت طفلة فى عالم النساء.. وتنتظر فرصة الزواج على أحر من الجمر منذ بلوغها الخامسة عشرة عاماً.. وتبات الليل تحلم بعريس «الكوليل» أو حكم المحكمة.. فالخيار الأخير لنجاة الفتيات الإسرائيليات من التجنيد هو حكم المحكمة!

لكن من هو تلميذ «الكوليل»؟!

وما المقصود بحكم المحكمة؟!

هناك نوعان من المدارس الدينية فى إسرائيل.. يطلق على تلاميذها «أبناء التوراة».. مدراس «الياشفاه» وهذه يبدأ الالتحاق بها منذ الطفولة المبكرة.. يقضى فيها التلاميذ ساعات طوال يوماً بعد يوم فى تعليم التلمود والتوراة.. وهى مدارس أشبه بالتعليم الأزهرى فى مصر.. لكنها فى إسرائيل تصل إلى أبعد حدود التطرف..

أما مدراس «الكوليل» فهى التى يلتحق بها خريجوا «الياشفاه» بعد زواجهم.. ويظل بها الشاب المتزوج إلى أن يتخرج حاخاماً أومحاضراً فى الياشفاه.. وتدعمها الدولة بشدة.. وتأتيها المعونات من كل الطوائف اليهودية الأصولية فى العالم.

عموماً يتقاضى طالب الكوليل راتباً ضئيلاً.. لكنه بحكم القانون يحصل على إعفاء رسمى من التجنيد.. وإن كان يؤدى فى وقت متقدم خدمة رمزية بالتجنيد لاتزيد مدتها على أربعة شهور.. وفى وحدات غير قتالية..

هذا الطالب المتزوج يحظى بقيمة دينية كبيرة فى المجتمعات الدينية.. ويصبح حلماً لأى فتاة متدينة أن تتزوج منه.. لكن السؤال.. من سيختار هو؟!

الشىء الوحيد المؤكد أنه لن يطلب يد فتاة سبق تجنيدها!

أما حكم المحكمة الذى تحلم به المتدينات فله حكاية..

منذ سنوات ارتفعت نغمة فى إسرائيل تطالب بمساواة الفتيات المتدينات بغيرهن من بنات إسرائيل.. وإلحاقهن بالتجنيد.. لأن حماية إسرائيل واجبة على كل يهودى ويهودية دون استثناء..

وإذا بالحاخامات الأصوليين تثور ثائرتهم ويصدرون البيانات الملتهبة التى تحرض الفتيات المطلوبات للتجنيد على عصيان الأوامر ورفض الاقتراحات، حتى لو أدى الأمر إلى الموت، أو دخول السجن.. فكلاهما أرحم من معصية الرب وغضبه!..

وكادت تحدث أزمة سياسية غير محمودة العواقب.. وتراجع المسئولون بوضع ضوابط لمسألة تجنيد المتدينات.. تبدأ هذه الضوابط بأن ترفع الفتاة دعوى أمام المحكمة المختصة.. تثبت فيها انتماءها إلى المجتمع المتدين وطقوسه منذ طفولتها.. بعدها يصدر الحكم بإعفاء الفتاة من التجنيد الإجبارى..

وهكذا تشعر تلك الفتاة أنها قد ولدت من جديد.. كما أن الأمل فى الزواج لم ينته تماماً!.. وتظل تنتظر عريسها الذى تحلم به من بين أبناء التوراة أو طلاب الكوليل..

لكن باقى المجتمع الإسرائيلى ينظر إلى هؤلاء طلاب الكوليل بشىء من القرف والاستخفاف والسخرية من هروبهم من الواجب الوطنى المقدس.. وعدم أدائهم للخدمة العسكرية التى لاينجو منها فى إسرائيل غيرهم!

إلا أن الحاخامات دافعوا بحماس عن أبناء التوراة، كما دافعوا من قبل عن البنات المتدينات.. وأفتى الحاخامات بأن الواجب الدينى لايقل قداسة عن الواجب العسكرى تجاه إسرائيل.. بل أقنعوا الرأى العام بأن انقراض هؤلاء من أجل تأدية الخدمة العسكرية هو انقراض للتملود والتوراة.. والديانة اليهودية بأكملها!

بقى مخرج آخر لبنات إسرائيل المتدينات!

المخرج الجديد هو أداء الخدمة التطوعية ـ وهو نظام يشبه الخدمة العامة فى مصر لخريجى الجامعات المعفيين من التجنيد ـ فالفتاة التى لاتخدم فى الجيش.. تخدم وطنها فى المجالات العامة لمدة عامين دون مرتب.. وهذا الحل رفضته المتدينات المتشددات.. وقبلته المتدينات دون تطرف..

الغريب أن طلاب الكوليل يفضلون ـ أحياناً ـ الفتاة التى أدت الخدمة العامة على الفتاة التى أعفيت من الخدمة العسكرية بحكم المحكمة.. وحكمتهم فى هذا الاختيار أن الفتاة التى عملت من أجل إسرائيل دون مقابل ودون أن تحيطها الشبهات أفضل من الفتاة التى لم تقدم شيئاً ما على الإطلاق..

إلا أن هذا المنطق يزيد من هموم الفتيات المتدينات بشكل مبالغ فيه.. لأن مستوى الأسرة التى تعيش فيها لايسمح بأن تعمل لمدة سنتين دون مقابل!

ولاتنتهى هموم المتدينات عند هذا الحد.. فهى بعد ذلك إما أن تتزوج بالفعل.. وهنا تصطدم بواقع آخر أكثر حزناً.. وإما أن تظل بلا زواج حتى يظهر عريس الغفلة..

لكن مسألة الانتظار تصبح عبئاً نفسياً قاتلاً ببلوغ الفتاة سن الرابعة والعشرين دون أن يطلب أحد العرسان يدها.. لن يرحمها المجتمع الإسرائيلى.. بل سيتهامسون بسيرتها.. ويسألون بعضهم البعض: «لابد أن فيها أخطاء.. ترى ماهى؟!»..

سوف يتطوع ـ أيضاً ـ كثيرون لكشف الأخطاء التى تأخر زواج هذه الفتاة من أجلها.. فإن كنا نشكو من كلام الناس فى مصر.. فكلام الناس فى إسرائيل لايطاق!

لكن ماهى الأحزان التى سوف تواجه المتزوجات؟!

فى البيوت غير المتدينة تشتعل النيران دائماً بسبب الخيانة الزوجية، أو مشاكل الأولاد التى ضاقت بهم الشقة.. أما فى البيوت المتدينة فإن الزوجة تواجه العجب العجاب..

فالزوج طالب الكوليل رجل خجول.. هادىء.. لايتكلم كثيراً.. ويمارس الجنس مع زوجته تطبيقاً لأوامر وتعليمات التوراة والتلمود.. «كن مثمراً.. وكن خصباً»..

أما الزوجة فقد تعلمت منذ الطفولة أنها شىء.. والرجل شىء آخر مختلف تماماً..

ففى الحضانة يتم الفصل بين الذكور والإناث.. ومن هذه السن المبكرة تدرك الأنثى أن اختلاطها ممنوع بالذكور.. وعندما تذهب مع أسرتها إلى البلاج فلن تقترب قدماها من البحر إلا فى الأوقات المخصصة للنساء.. كما أنها تدرس وتتعلم أن أعظم مهمة للرجل هى دراسة التوراة.. وأن زوجته يجب أن تكون عوناً له.. وتهىء له بيتاً سعيداً وذرية صالحة.. إلا أن الواقع العملى يجعل حياة هذه المرأة جحيماً!

تجد نفسها مضطرة ـ مثلاً ـ للخروج إلى العمل لأن مرتب زوجها سوف يطير خلال الأيام الأولى من الشهر.. لهذا تتعلم الفتيات المتدينات الكمبيوتر وفن الإعلان والتدريس وأعمال البنوك..

لكن فرص العمل تضاءلت.. أصبح عدد الفتيات الخريجات من معاهد الكمبيوتر والإعلان والتدريس أكبر بكثير من فرص العمل المتاحة داخل المجتمعات المتدينة..

فالمعروف أن الطوائف المتدينة داخل إسرائيل لها حياتها المستقلة.. مدارسهم.. ومستشفياتهم.. ومحلاتهم.. ووظائفهم التى يمارسونها داخل المكان الذى يعيشون فيه ومع نفس أبناء الطائفة.. إلا أن المرأة المتدينة خرجت على هذا التقليد.. والتحقت فى السنوات الأخيرة بجهات عمل خارج حدود المجتمع المتدين..

ومن هنا انطلقت الشرارة!..

اختلطت المرأة المتدينة برجال غير متدينين.. واضطرت إلى أن تسايرهم فى حياتهم.. تضحك معهم.. تبادلهم النكات.. تناديهم بأسمائهم الأولى..

وهذا محظور فى المجتمعات المتدينة!

لكنها حينما تعود إلى بيتها تسترجع شخصيتها الأولى.. تشعر بالاكتئاب.. يتجهم

وجهها.. تسير داخل شقتها بخطوات جادة.. تحاور زوجها باحترام جم.. وإذا خرجت معه سارت إلى جواره دون أن يكون مسموحاً لها بتأبط ذراعه أو لمس يده لأن التوراة تمنع ذلك على الأزواج كيلا يثيرا شهوات الآخرين فى الطريق العام!

هكذا تعيش المرأة المتدينة بشخصيتين!

بعض هؤلاء يتمادين فى علاقاتهن مع الرجال الأغراب بعيداً عن الوجوه العابسة داخل بيت الزوجية.. وهذه مسألة تحكمها - أيضاً - القواعد الدينية!

فاليهود لايعترفون بالزنا إلا بين الأزواج اليهود..

لابد أن يكون الزانى والزانية من شعب اليهود..

أما إذا حدث وارتكبت زوجة يهودية جريمة الزنا مع مسلم أو مسيحى أو درزى فإن الأمر لايكون زنا من قريب أو بعيد..

فكل من هو ليس يهودى لاوجود له..

حيوان.. خنزير..

وبالتالى ليس بشراً حتى تتم معه جريمة الزنا..

لأن البشر هم شعب الله..

وشعب الله هم اليهود!

ليس هذا فحسب.. لكن اليهود المتدينين ينظرون إلى اليهود غير المتدينين باعتبارهم مثل الأغيار.. وبالتالى إذا فرطت إحدى نسائهم فى نفسها ليهودى آخر غير متدين.. فلا تكون تلك المرأة قد قامت بالزنا!

وطبقاً للتعاليم الدينية فإن المرأة فى المجتمع المتدين لايكون بوسعها أن تتحدث أو تجلس أمام رجل من طائفتها المتدينة.. بينما تفعل ذلك بحرية مطلقة مع أى رجل آخر من غير طائفتها..

لهذا أحست زوجات كثيرات بالفارق الكبير بين مايحدث داخل بيوتهن.. ومايحدث خارجها فى أماكن العمل التى التحقت بها..

هنا نار.. وهناك جنة..

هنا سجن.. وهناك الحرية!

ومع الأيام زاد تمرد الزوجات المتدينات وتزايدت همومهن.. وبدأن يتحدثن عن الطلاق أكثر من أى وقت مضى!

بل أصبحت شكواهن حديثاً مملاً مع سائقى التاكسى فى المدن المقدسة.. والذى غالباً مايكون فلسطينياً!

باقى بنات إسرائيل لايعشن فى الجنة!

الهموم واحدة.. لكن تختلف فى التفاصيل.. فإذا فتحت إحدى جرائد الصباح فى تل أبيب، لابد أن يستوقفك إعلان من نوع الأجر نشرته إحدى الفتيات الإسرائيليات تبحث فيه عن شاب يشاركها الحياة دون زواج!!

تقول صاحبة الإعلان فى سطوره: «أنا فتاة جميلة.. أعيش وحدى فى شقة مكونة من ثلاث حجرات.. أريد شاباً يشاركنى الحياة ويقتسم معى النفقات!»..

ومشاركة الحياة واقتسام النفقات تبدأ من إيجار الشقة وثمن الوجبة الغذائية وتنتهى إلى حجرة النوم وسرير الفتاة..

فالجنس ضرورى ولابد أن يتقاسماه معاً كالطعام والشراب وإيجار الشقة.. لكن الدفع هنا لايتطلب نقوداً ولانقوطاً ولاأقساطاً..

لاشيكات ولاكمبيالات.. ولاحتى إيصالات..

السرير يحل كل هذه المشاكل!

صاحبة هذا الإعلان ليست من المجتمع المتدين داخل إسرائيل.. بل هى فتاة ديسكو.. تعشق السهر والنزهات.. تنفق كل أموالها على سهراتها حتى لاتجد شيئاً تدخره لدفع إيجار الشقة!..

لكن نفس الإعلان قد تنشره فتاة أخرى غير متدينة لأسباب تتعلق بضيق ذات اليد وضآلة المرتب وغول الضرائب.. لكن الفتاتين لامانع عندهما من أن يشاركهما شاب بالأوصاف المحددة فى الإعلان.. لامانع كذلك من مشاركته أعباء الليل ونداءات الجسد..

وقد يثمر هذا الارتباط عن طفل..

وهنا قد يفكر الشاب والفتاة فى الزواج..

لكنه فى أحوال كثيرة قد يسفر عن طفل دون أن يقررا تتويج علاقتهما بالزواج..

وهذه هموم أخرى تحملها الفتاة غير المتدينة فوق كاهلها!

وبينما لاتشعر الفتاة غير المتدينة بكامل سعادتها وهى ترتدى أجمل خطوط الموضة فى عالم الأزياء.. وأكثرها سحراً وخلاعة.. وكشفاً للأنوثة.. فإن المرأة المتدينة لاتشعر ـ مثلها ـ بكامل سعادتها وهى ترتدى الملابس المحتشمة وتغطى رأسها منذ لحظة بلوغها!

الأولى تشعر أن شيئاً ما ينقصها.. ربما كان الدفء الروحى..

والثانية تشعر أن أشياء كثيرة زادت عليها!.. ربما كانت المبالغة فى التزمت والوقار والاحتشام.. وخاصة أن ملابس الفتاة المتدينة محسوبة منذ الصغر.. خاصة «الجوارب» التى غالباً ماتكون رمزاً لمدى حشمة المرأة!

بعض المتدينات يرتدين الجوارب السوداء السميكة.. وبعضهن الآخر يتحاشين مثل هذه الجوارب باعتبار أن اللون الأسود يزيد فتنة وإثارة سيقان المرأة.. ولهذا يرتدين الجوارب ذات اللون القريب من لون البشرة.. بينما تختلف طوائف أخرى متدينة فيما يجب أن يكون عليه سمك الجورب حتى تختفى خلفه تماماً حلاوة الساق وتختنق فتنتها!

عموماً.. فإن البنات المتدينات فى إسرائيل يحلمن بارتداء البنطلون والجينز..

إلا أن نصوص التوراة تحذرهن من غضب الرب..

فالتوراة تقول: «لايلبس رجل ثوب امرأة.. ولايكن متاع رجل على امرأة.. ومن يفعل ذلك يكون مكروها عند الرب».

إلا يوم السبت!

«.. يعتقد اليهود أن الله خلق الدنيا فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع.. وهو يوم السبت..

ويعتقدون أن الله أنزل الوصايا العشر على موسى يوم السبت.. ولهذا جعلوه يوم راحتهم المقدسة.. ممنوع فيه استخدام الكهرباء أو إشعال النار أو كتابة الرسائل أو الاستماع للراديو أو مشاهدة التليفزيون.. أو الخروج من البيت.. أو حمل أشياء فى الطريق والميادين العامة.. أو تدخين السجائر!!».

يوم السبت فى إسرائيل.. حكايته حكاية!

الحياة يصيبها الشلل التام.. ولاصوت يعلو على صوت التوراة!

والسبب أن اليهود يعتبرون أنفسهم أصحاب فضل على العالم كله بفكرة الراحة الأسبوعية.. فلم يكن معروفاً قبل اليهودية تخصيص يوم من أيام الأسبوع ليكون يوماً مقدساً للراحة.. فلما نزلت التوراة على النبى موسى ـ عليه السلام ـ تفتحت عيون اليهود على حكاية اليوم السابع من أيام الأسبوع، كما جاء فى الوصايا العشر ليكون يوم الراحة الأسبوعية التى استراح فيها الرب يوم السبت.. وأمر عباده أن يجعلوا من هذا اليوم يوماً لراحتهم أيضاً.

ويعتقد اليهود أن عيون العالم تفتحت هى الأخرى على فكرة الراحة الأسبوعية بعد ذلك..

المسلمون اختاروا يوم الجمعة.. والمسيحيون اختاروا يوم الأحد.. ثم اختلفت الشعوب والطوائف فى اختيار أحد أيام الأسبوع ليكون يوماً للراحة والإجازة الأسبوعية!

ويبدو أن عدوى اليوم السابع انتقلت فى الديانة اليهودية من الأيام إلى السنين.. فالأرض الزراعية إذا تمت زراعتها ست سنوات متصلة يجب أن تستريح تماماً فى العام السابع.. وهكذا انتقلت فكرة «الراحة» من الإنسان إلى الأرض فى السنة السابعة!

ويبدأ يوم السبت فى الديانة اليهودية من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت.. ومابين الغروبين تتحول دولة اليهود إلى دولة خاصة جداً!

وترى إسرائيل فى شكل لايحدث فوق أى بقعة من بقع العالم.. ولاحتى داخل إسرائيل طوال أيام الأسبوع من الأحد إلى الجمعة!

يوم السبت تخلو شوارع إسرائيل من المارة!

ممنوع ركوب المواصلات بكل وسائلها.. ممنوع إشعال النور أو النار أو الضغط على مفاتيح الطاقة، كإدارة موتور سيارة ـ مثلاً ـ أو الضغط على زر مصعد كهربائى.. أو مفتاح بوتاجاز!

ممنوع شراء الصحف أو قراءتها.. ممنوع تسخين الطعام.. أو الخروج قبل الغروب.. وإذا خرج اليهودى ممنوع عليه حمل أية أشياء فى يده فى الميادين العامة.. لكن يمكنه حملها فى الميادين الخاصة!

ممنوع العمل أو التعامل فى النقود.. أو فتح الراديو أو مشاهدة التليفزيون، أو كتابة الرسائل أو إشعال السجائر أو تدخينها!

كذلك ممنوع الحروب الهجومية.. ولذلك كانت معظم الحروب ضد اليهود يوم السبت.. ولهذا أطلقوا على جيشهم اسم جيش الدفاع!

قائمة طويلة من الممنوعات التى لاتنتهى عند حد يحظر على اليهودى الاقتراب منها أو إتيانها أو عدم الاعتقاد فى قدسيتها والحكمة من الابتعاد عنها!

لكن ماهو المباح إذن يوم السبت؟!

طالما أن يوم السبت ـ أو «الشابات» كما يسمونه بالعبرية ـ يبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت، فإن الطقوس الدينية شأنها شأن المحظورات الشرعية تبدأ مع غروب شمس الجمعة حيث تجتمع الأسرة على مائدة العشاء معاً بعد إشعال شمعتين من وقت سابق على الغروب.. وفى بيوت المتدينيين تقوم ربة المنزل بإعداد طعام السبت الشهير قبل غروب شمس الجمعة ـ أيضاً ـ ففى اليوم التالى لا مجال

لإشعال بوتاجاز أو استخدام كهرباء لطهى الطعام أو تسخينه..

ومن أشهر الأكلات الموروثة عن الأجداد اليهود ويتم إعدادها يوم الجمعة لتناولها فى غداء السبت طعام يسمونه «شولنت».. ومعظم المتدينين يمتنعون ـ أيضاً ـ عن شرب المياه يوم السبت لأنها تضخ بموتورات تستخدم الطاقة فى تشغيلها.. ولهذا يجهزون أوانى تملأ بالمياه طوال يوم الجمعة حتى يبتعدوا عن أية شبهة فى اليوم التالى.

يحلو لبعض المتدينين ـ أيضاً ـ ارتداء الملابس الخاصة بهذا اليوم.. وتتكون من قبعة فرو للرأس وقفطان أسود فضفاض ثم يقومون بتلاوة التوراة أو أداء ترانيم دينية ذات ألحان حزينة وهم يتناولون طعام السبت.

ولامانع من الخروج من البيت إلى المعبد أو البقاء فى البيت بشرط الاسترخاء الوقور أو قراءة التوراة.. لكن هناك من غير المتدينين من يتجاهل الأفعال المطلوبة منه شرعاً أن يبتعد عنها.. أو تلك الواجب عليه القيام بها.. هؤلاء يذهبون إلى المدن العربية داخل إسرائيل.. خاصة القدس الشرقية.. وهناك يدخلون المطاعم ويركبون السيارات ويدخنون السجائر ويحملون الأشياء.. هناك يقومون بكل المحظورات بعيداً عن عيون المتدينين!

لكن بين المتدينين من يتحايل ـ أيضاً ـ على طقوس السبت!

ركوب المصاعد ـ مثلاً ـ يتم من خلال مصاعد تم تجهيزها لتعمل بالإشعاع الحرارى.. فلا هى تحتاج ممن يستخدمها الضغط على زر لفتح الباب.. أو آخر للصعود أو الهبوط بالمصعد..

فيكفى أن يدخل الشخص من الباب لينغلق «أوتوماتيكياً».. ثم يصعد الأسانسير أو يهبط دون أى حركة ممن يقف بداخله.. ويتوقف كل طابق أو طابقين حسبما تم تجهيز المصعد مسبقاً للعمل بهذا الأسلوب.. يوم السبت فقط!

وإذا كان حظر حمل أشياء أثناء السير فى الميادين العامة أو الشارع يحرص عليه

المتدينون.. فإن بعضهم وجد فرصة أخرى للتحايل بتحويل الميادين العامة إلى ميادين خاصة يوم السبت فقط.. أما الوسيلة التى ابتكروها فغاية فى الغرابة..

وتعتمد على تثبيت فواصل أو أعمدة حول هذا الميدان العام ثم ربطها دائرياً بالأسلاك.. وبالتالى يصبح الميدان خاصاً ويفقد عموميته.. وبالتالى لايخضع لحظر حمل أشياء يوم السبت!

بل وصل البعض إلى أبعد من هذا فى حالة الاضطرار للخروج من المنزل ومعه مفاتيح الشقة التى أغلق بها الأبواب.. كيف يتصرف بينما ديانته تحرم عليه حمل أشياء خارج المنزل يوم السبت؟!

الحل ابتكره المتدينون بسهولة.. وهو تخصيص مكان فى حزام البنطلون مثلاً لوضع مفاتيح الأبواب.. وبالتالى لايعتبر اليهودى نفسه حاملاً لهذا الشىء.. لكنه يرتديه!

لكن تبقى - دائماً - قداسة يوم السبت والشعور بالرهبة تجاهه فى عيون وصدور اليهود المتدينين.. وهناك قضية شهيرة فى إسرائيل حقق فيها المتدينون انتصاراً ساحقاً على واحدة من كبرى الشركات الوطنية فى إسرائيل.. والسبب يوم السبت..

تبدأ الحكاية عندما أعلن المتدينون عن سخطهم إزاء شركة «العال» التى تعمل طائراتها يوم الراحة المقدسة.. مع الوقت تحول السخط إلى مطالبة رسمية لشركة الطيران الإسرائيلية بوقف رحلاتها الجوية يوم السبت.. وتزعم الحملة حزب «أجودات إسرائيل» الذى حذر كبير الحاخامات فيه شركة العال من عقاب الرب وعدم طاعته.. ثم وصل التحذير إلى تهديد بدأ بالفعل تنفيذه بمقاطعة التعامل مع الشركة.. عند هذه النقطة تخلى المسئولون عن الشركة عن عنادهم.. أعادوا حساباتهم.. وتراجعوا من أجل عيون المتطرفين الذى ستصيبهم مقاطعتهم بالخسائرة الجسيمة!

أصبحت «العال» هى شركة الطيران الوحيدة فى العالم أجمع التى تستريح يوماً فى الأسبوع! بل سمحت للمتدينين اليهود بفك الأحزمة أثناء الرحلات الجوية والقيام بالصلاة

فى ممرات الطائرة.. وهو تقليد لاتعمل به غير شركة الطيران اليهودية!

لكن ماهى حكاية يوم السبت؟!

ولماذا هذا اليوم بالذات؟!

يعتقد اليهود أن الله كلم نبيه موسى ـ عليه السلام ـ يوم السبت.. وهو اليوم الذى اختاره الله لنزول الوصايا العشر على موسى.. ومن بينها وصية تلزم اليهودى بالراحة يوم السبت وتقديسه.. كما يعتقد اليهود أن الله سبحانه وتعالى خلق الدنيا فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع، وهو يوم السبت..!

كما يعتقدون فى الرواية التى تؤكد لهم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حينما تعطف على اليهود أثناء رحلة التيه فى صحراء سيناء وأنزل عليهم الطعام يوماً بيوم كان الرب يمنحهم يوم الجمعة طعام يومين «الجمعة والسبت»، لأنه فى اليوم التالى لن ينزل عليهم طعامه لأن الرب سيكون فى يوم الراحة المقدسة..

وهذا اعتقاد لانظير له فى الأديان السماوية.. خاصة دين الإسلام الذى تأكد من خلال قرآنه الكريم أن الله لايغفل ولاينام!

ومن حكايات يوم السبت التى شهدتها مصر وكادت تسبب حرجاً دبلوماسياً حكاية كان بطلها الرئيس الراحل أنور السادات..

فقد حدث أن حدد موعداً للسفير الإسرائيلى فى القاهرة لمقابلته.. وكان هذا الموعد يوافق يوماً من أيام السبت..

البعض قال أن السادات تعمد اختيار هذا الموعد الذى لايليق للسفير الإسرائيلى تعديله وهو أول سفير إسرائيلى فى مصر..

وأول مقابلة لسفير إسرائيلى مع رئيس مصرى..

والبعض أكد أن الأمر لم يكن مقصوداً..

وعلى أية حال فقد اضطر السفير الإسرائيلى إلى السير على قدميه من حى المعادى إلى قصر الرئاسة فى عابدين.. ولعلها أول مرة.. وربما آخر مرة فى تاريخ الدبلوماسية فى العالم أن يضطر سفير إلى السير على قدميه أكثر من ساعة زمنية كاملة لمقابلة رئيس دولة.. لأن ديانة السفير تحظر عليه ركوب المواصلات أو قيادة السيارات يوم السبت!

ويرتبط بيوم السبت طقس آخر فى إسرائيل يسمى بـ«المائدة الاحتفالية».. أو «المائدة الكبرى».. أو «المباركة»..

ففى المساء يذهب المتدينون إلى معابدهم حيث يخصص كل معبد مكاناً خاصاً.. بل قد يكون مبنى خاصاً مستقلاً بذاته للوجبة الاحتفالية.. فى هذا المكان يوجد مطبخ لإعداد طعام المائدة الذى سيقدم للموجودين.. ويوجد مكان خاص للحاخام.. ومكان آخر للمجموعة المخصصة للعزف وتلاوة الترانيم..

يبدأ الاحتفال بصلاة يسمونها «الكيدوش» يقوم بها الحاخام على كأس نبيذ.. ويتلو خلالها نصاً من التوراة لايستغرق فى العادة غير دقيقة ونصف.. لكن الحاخام يتلوه فى حوالى الساعة.. وبحركات تمثيلية وانفعالية ينجذب معها معظم الحاضرين الذين يصل عددهم إلى المئات وأحياناً الآلاف!

أكثرهم حظاً هو من يكون فى مكان قريب يتيح له رؤية الحاخام أو مصافحته!

هذا المكان غالباً مايكون تحت المائدة مما يسبب نوعا آخر من الزحام الشديد للتسابق فى الوصول إلى مكان قريب من المائدة أو تحتها.. بعد ذلك وحينما يفرغ الحاخام من صلاته يقوم بغسل يديه ثم تبدأ عملية المناولة بدخول مائدة الطعام وفوقها الخبز وشرائح السمك..

هنا يجلس الحاخام إلى المائدة وحده.. يقطع رغيفاً ويمد يده إلى الطبق الكبير دون

أدنى اهتمام بالحاضرين.. أحياناً يبدو منهمكاً فى الطعام وكأن أحداً لايجلس أو يقف حوله..

وفجأة.. يتوقف عن الطعام ليبدأ فى توزيع الخبز الذى قام بتقطيعه مع شريحة السمك أو جزء منها.. إنه يحمل قطعة الخبز والشريحة ليمنحها لأحد أعوانه الذى يسلمها لآخر باليد.. ثم تنتقل من يد إلى يد حتى تصل إلى الشخص الذى ينتظر دوره وسط التراتيل والأنغام الدينية.. بل يحرص البعض على ألا يأكل هذه «اللقمة» المباركة وحده فيحملها إلى منزله لتتناولها أسرته معه فتحل البركة على الجميع!

حكايات يوم السبت لاتنتهى.. ففى حادث مصرع أو اغتيال رئيس الوزراء إسحاق رابين ألقت الشرطة الإسرائيلية القبض على إحدى صديقات الشاب «إيجال عامير» المتهم بقتل رابين.. وقالت صديقة المتهم أنه كان بمقدورها أن تمنعه من هذه الجريمة لو أنها قابلته قبل الحادث.. لكنها كانت معتكفة داخل منزلها فى يوم الراحة المقدس.. ولم تفتح التليفزيون إلا بعد غروب شمس السبت.. وفى هذه اللحظات ـ فقط ـ عرفت أن صديقها قد قام بجريمته الكبرى!

كما أن فى إسرائيل.. ومن بين طائفة المتدينين من شعر بالأسى والأسف لأن «عامير» سفك دماً فى هذا اليوم المقدس مهما كانت أخطاء رابين من وجهة نظرهم.. والتى وصلت إلى حد أنه أصبح فى حكم الكافر بالتوراة.. لأنه وضع يده فى يد العرب.. بل فرط فى أرض الميعاد سعياً وراء مكاسب سياسية!

لهذا أهدروا دمه.. وتمنوا موته ولم يشعروا فى أمنيتهم بأى حرج دينى.. فإذا كانت النصائح العشر تقول: «لاتقتل» فقد وجدوا لذلك تفسيراً قديماً.. فالمقصود من كل وصية والمستفيد منها هو اليهودى.. فلا يجوز لليهودى ـ طبقاً للوصايا العشر على ضوء هذا التفسير ـ أن يسرق يهودياً أو يقتل يهودياً أو يزنى مع يهودية.. حتى حب الجار قالوا فيه إن المقصود به هو الجار اليهودى فقط..!

وبالتالى فقد أفتى فريق من الحاخامات بقتل رابين الذى فقد يهوديته! بل لم يتورع بعضهم عن إعلان هذا الرأى على شاشة التليفزيون الإسرائيلى بعد ارتكاب حادث الاغتيال.. ورفضوا إدانة عامير! لكنهم أخفوا داخل صدورهم إحساساً آخر بالضيق.. لأن الحادث وقع يوم السبت!

حاخامات.. وبائعات هوى!

«.. وعندما وصلت مشكلة بيوت الدعارة فى إسرائيل إلى الكنيست نادى أحد أعضاء البرلمان الإسرائيلى بضرورة تدخل الدولة لحماية بائعات الهوى والإشراف على إدارة بيوتهن..

لكن الجماعات المتطرفة ثارت ضد هذا العضو ووصفته بالفجور.. فإذا به يفجر قنبلة.. ويعلن أن الحاخامات من الزبائن اليوميين لبيوت الدعارة.. ولهذا لايهاجمونها أبداً!».

تل أبيب.. هى إسرائيل!

كل شىء هنا يهودى.. ماعدا الشمس والهواء!

الناس، البيوت، المحلات، الأسواق، أسماء الشوارع والميادين.. حتى الشواطىء جعل المتطرفون من بعضها عنواناً واضحاً للتقاليد والطقوس والعادات اليهودية المتزمتة.. بعض الشواطىء لاتفتح أبوابها للنساء إلا فى المواعيد المحرمة على الرجال.. وبعضها يفصل بين الفتيات والشبان.. الفتاة بمجرد بلوغها سن الثانية عشرة عاماً.. والشبان فور اكتمال عامهم الثالث عشر.. وهو سن البلوغ عند الجنسين!

لكن للحق ـ نقول ـ أن المدينة رائعة النظافة!

الشوارع تلمع.. تأخذ حماماً بالماء والصابون مع إشراقة كل فجر جديد..

النظام فيها مقدس.. من النادر أن تصادفك سيارة تنبعث من شكمانها سحابة كثيفة من الدخان الأسود أو العادم الذى يلوث العديد من المدن العربية.. ومن المستحيل أن تصادفك عربة كارو أو حيوان ضال أو متسول ممزق الملابس!

خطوط المرور مرسومة فوق الطرق والتقاطعات كخطوط الكحل حول عينى حسناء فرنسية!

البيوت لا هى مرتفعة فى شكل الأبراج، ولا هى منخفضة كبيوت الريف.. كل من امتلك شقة فى تلك أبيب يتنفس الصعداء بعد أن عبر كبرى الأزمات الاجتماعية.. أسعار الشقق نار والأرقام فلكية.. سن الزواج يتأخر وطابور العوانس يتزايد.. رغم دعوة المتطرفين لزيادة النسل والزواج المبكر.. إلا أن الحصول على شقة زوجية يصيب معظم

الشباب بالإحباط.. خاصة الشباب المتدين الذى لايعرف الرذيلة ولابيوت الدعارة ولا غرام بائعات الهوى.. شيء مألوف أن يصادفك شاب من هؤلاء.. وسرعان ماتميزه عن الآخرين من أعراض الاكتئاب واليأس.. بل يقولون فى تل أبيب أن بعض هؤلاء كثيراً مايسقط مصاباً بالصرع أثناء سيره بالطريق العام.. أو جلوسه داخل منزله!

الجدية تبدو على وجوه الناس فى الشوارع بشكل يلفت الانتباه.. والسبب كما أخبرنى يهودى من تل أبيب هو أقساط البنوك!

فالمواطن الإسرائيلى لاتستقيم حياته إلا بالقروض.. قرض لشراء سيارة.. وآخر لشراء شقة.. وثالث لجهاز العروس ورابع للأجهزة الكهربائية المعمرة..

قائمة لاتنتهى من الطلبات.. تقابلها قائمة ـ تهد الحيل ـ من القروض!

لكن البنوك رحيمة باليهود.. تريد أن تشجعهم على الحياة فى إسرائيل.. لهذا تمنحهم تسهيلات دائمة.. أقساط مريحة.. وطويلة.. وسعر فائدة معقول.. وفى نهاية كل شهر يجد معظم الإسرائيليين أنهم مطالبون بسداد نصف دخلهم على الأقل للبنوك.. لذا فليس لدى واحد منهم وقت يضيعه أثناء الشهر.. لا وقت للهو.. أو التسلية.. أو الضحك.. أو اللامبالاة.. كل فرد يعمل أكثر من عشر ساعات فى اليوم.. وليس غريباً بعد هذا كله أن تجد الناس فى غاية الجدية.. والصرامة.. والجفاء أحياناً!

وأكثر الناس جدية فى شوارع تل أبيب.. هم اليهود الأرثوذكس!

والأرثوذكس تعنى فى اليهودية الخوف من الله.. وهم طائفة داخل طائفة أكبر تعرف باسم «الحريديم».. وكلهم يمكن أن يطلق عليهم اليهود المتطرفون.. أو كما يسمونهم فى إسرائيل «اليهود الذين يغالون فى تدينهم»..

وأصل الحكاية يرجع إلى القرن الثامن عشر.. وبالتحديد فى أعقاب الثورة الفرنسية وانتشار مبادىء حقوق الإنسان وظهور الحركات التقدمية وحركات التنوير فى أوربا كلها.. ومنها العالم أجمع.. حتى هذا الوقت كان اليهود فى كل بقاع العالم طائفة واحدة، تتمسك

بالتوراة والتلمود والنصوص الدينية والطقوس والتقاليد اليهودية بحذافيرها وألفاظها.. طائفة واحدة من الأصوليين تعتبر كل جديدةبدعة.. وحراماً.. وكفراً.. وحينما وصلتهم حركات التنوير مع غيرهم من سكان العالم انقسموا إلى أكثر من طائفة:

● طائفة تمسكت بالقديم.. وأخذت النصوص الدينية بحذافيرها وألفاظها على طريقة الآباء والأجداد.. وهؤلاء هم «الحريديم».

● طائفة انبثقت عن «الحريديم» ولكنها أقل تشدداً فى بعض الشكليات غير المؤثرة.. وهؤلاء أطلق عليهم «الأرثوذكس».

● طائفة أطلقت على نفسها «حركة الإصلاح».. وهؤلاء وضعوا لقواعد اليهودية ونصوص التشريع فيها تفسيرات عصرية وحلول تتماشى مع تقلبات الدهر وتغييرات الزمن..

وهؤلاء ليسوا يهوداً فى نظر الحريديم والأرثوذكس.. فالخلافات كبيرة.. والفوارق تتسع منذ أكثر من مائتى عام..

أنصار مذهب الإصلاح يخالفون ـ مثلاً ـ الكثير من مظاهر احترام يوم السبت.. بعضهم يشعل سيجارة أو يقود سيارة أو يتجاهل الذهاب إلى المعبد.. نساؤهم يقمن بالغناء رغم عورة صوت المرأة.. ورجالهم يحتفلون بليلة الأحد بدلاً من قداسة ليلة السبت.. وفيهم ـ أيضاً ـ من لايلتزم بالوصايا العشر!.. ولايهتز قلبه شوقاً إلى حائط المبكى!

لكن كل هذه الطوائف تدخل ـ الآن ـ تحت عباءة واحدة.. ومسمى واحد.. هو التطرف اليهودى.. وهؤلاء يمثلون طبقاً للإحصاءات الإسرائيلية ٢٠٪ من الشعب اليهودى داخل إسرائيل.. لهم حياتهم الخاصة.. وأماكنهم الخاصة.. ومعظهم يستوطن المدن المقدسة الأربع فى الديانة اليهودية وهى القدس وصفد وطبرية والخليل.. ولهم ـ أيضاً ـ مدارسهم الخاصة.. وأماكن عمل خاصة.. وتقاليد وعادات فى منتهى الخصوصية..! بينما ٦٠٪ من الشعب الإسرائيلى يعتبر متدينا بغير تطرف ولاتمسك بحرفية النصوص وحذافيرها.. أما

باقى الشعب ويمثلون ٢٠٪ فهم غير متدينين إطلاقاً.. ويطلق عليم فى إسرائيل «العلمانيون».. وكما يحرص المتطرفون على أن تكون لهم أحزاب سياسية خاصة بهم كحزب «أجودات» يحرص العلمانيون على أن تكون لهم أحزابهم كحزب «ميريتسى».

وإذا كان «الأرثوذكس» هم أكثر الناس جدية فى الشارع الإسرائيلى.. فثمة أشياء أخرى تميزهم حينما تصادفهم فى شوارع تل أبيب.. ملابسهم واسعة فضفاضة سوداء اللون.. وفوق رؤوسهم قبعات مستديرة سوداء.. لحاهم كثيفة وطويلة.. وضفائر شعورهم تتدلى من خلف الأذن.. أو تختبىء داخل القبعة!

وبخلاف الأرثوذكس لاتستطيع أن تميز يهودياً واحداً فى شوارع تل أبيب.. ففى إسرائيل ٥٠ جنسية و٤٠ لغة!

يهود من اليمن والعراق ومصر والمغرب وتونس ويهود من أوروبا.. ويهود من الاتحاد السوفيتى وآخرون من الولايات المتحدة الأمريكية.. ويهود من أفريقيا.. وجوه حمراء وأخرى بيضاء وثالثة سوداء.. لسان يتكلم الإنجليزية.. وآخر الفرنسية.. وثالث الألمانية.. لاشىء يجمع هذا الكوكتيل اليهودى إلا التوراة!

وتحاول إسرائيل جاهدة أن تضيف اللغة العبرية وتجعل دراستها إلزامية منذ الصغر.. فلا تاريخ مشترك لهؤلاء.. ولا عادات وتقاليد واحدة.. ولا جنس واحد ينتمون إليه.. لقد هرعوا جميعاً إلى إسرائيل بعد فتح أبواب الهجرة منذ مطلع القرن التاسع عشر.

وبحثوا منذ هذا الوقت عن شىء يجمعهم مثل باقى شعوب العالم.. وخلق الله.. فلم يجدوا غير التوراة.. وأرض الميعاد.. ثم أضافت الدولة الإسرائيلية بعد قيامها نظام التجنيد الإجبارى ليشعر الجميع أنهم متساوون فى شىء.. رجال ونساء.. حتى لو كان هذا الشىء هو حمل السلاح والموت من أجل أرض الميعاد!

رغم هذا «الكوكتيل» اليهودى العالمى الذى يظهر بوضوح فى شوارع تل أبيب قد يغريك الحوار مع أحدهم.. لكن الحوار مع العلمانى قد يطول.. فهو يحدثك عن الحقوق

العربية والأديان السماوية بكل أدب.. بينما لايطيق المتطرفون مثل هذه الأحاديث.. فهم كما تخبرهم التوراة سادة العالم.. وكل من ليس يهوديها فهو حيوان قذر.. الحقوق العربية أكذوبة.. وشعوب العرب حينما يصل المسيح المنتظر «يهشوع» ـ كما يحدثهم التلمود ـ سوف يصبحون عبيداً لليهود.. وإما أن تغلق الحوار فوراً.. أو تستسلم لوصلات متتالية من الردح وقلة الذوق!

ولكى تتعرف على تل أبيب أكثر.. تعال نجوب شوارعها يوماً كاملاً!

أكبر شارع فى تل أبيب هو شارع «ديزينجوف».. وهذا الاسم يعنى الكثير.. ويكشف عن الكثير من أسرار هذه المدينة التى كان اسمها يثير المواجع فى قلب كل عربى!

نحن نقول «تل أبيب» وهم ينطقونها هنا بالعبرية «تل أفيف».. و«الأفيف» بالعبرية يعنى الربيع.. وقبل مائة عام ـ فقط ـ لم يكن على خريطة العالم كله شىء ما اسمه «تل أبيب».. فالمدينة هى أحدث المدن الإسرائيلية.. ولم تكمل عامها المائة ـ بعد ـ فهى مدينة مازالت فى طور «الطفولة».. بالنسبة لمعظم مدن العالم العربى!

فكيف ولدت «تل أبيب» فى غفلة من العرب.. وما علاقتها بهذا الشخص المدعو «ديزنجوف» والذى أطلقوا اسمه على أكبر شوارعها؟!

فى مطلع القرن العشرين كان العالم لا يعرف غير ميناء «يافا» العربى الجميل.. وكانت «يافا» هى المدينة الفلسطينية التى تعيش على صدر البحر الأبيض المتوسط.. ويسكنها الفلسطينيون وأعداد قليلة من اليهود تذوب وسط هذا الحشد العربى طيب القلب.. ويقال أن اسم «يافا» أطلق على هذا المكان نسبة إلى «يافت» أحد أبناء سيدنا نوح عليه السلام.. وذات يوم فكر يهودى يدعى «ديزنجوف» فى النزوح بعيداً عن «يافا» إلى أحد المناطق المهجورة على حدود المدينة.. وكانت هذه هى عادة اليهود فى بلاد الشتات التى عاشوا فيها.. يتجمعون فى مكان خاص بهم يطلق عليه «الجيتو».. أو «حارة اليهود» حيث يمارسون طقوسهم الدينية وتقاليدهم وعاداتهم بعيداً عن عيون المسلمين والمسيحيين وسائر خلق الله!..

واقتنعت بعض الأسر بفكرة «ديزنجوف» وانطلق الجميع نحو المنطقة المهجورة على الشاطىء بالقرب من حدود مدينة يافا الجميلة.. شكلوا هناك مايشبه القرية الصغيرة.. أقاموا البيوت المتواضعة والأسواق الصغيرة ثم بدأت باقى العائلات اليهودية تهجر يافا إلى المكان الجديد الذى أطلق عليه «ديزنجوف» اسم «تل أفيف».. مع الوقت لم تقتصر هجرة اليهود من يافا ـ فقط ـ إلى تل أفيف.. بل زادت الهجرة من جميع أنحاء العالم إلى القرية الصغيرة التى راحت تتطور بسرعة.. وتتدفق عليها المساعدات المالية المذهلة من أثرياء اليهود فى العالم.

وفى أعقاب حرب ١٩٤٨ انتهز سكان تل أبيب الفرصة بعد هزيمة العرب ولقنوا عرب يافا درساً فى الغدر والمكر.. وطردوهم شر طردة من يافا.. ثم أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل واختاروا تل أبيب عاصمة لها.. وهكذا تحولت يافا إلى ضاحية من ضواحى العاصمة اليهودية الجديدة التى أنشأها اليهود بينما العرب غارقون فى الأوهام والأحلام اللذيذة.. وأمجاد الماضى البعيد!

ووجد اليهود أن الوفاء يقتضى عليهم إطلاق اسم «ديزنجوف» على أكبر شارع تجارى فى تل أبيب.. بل وعلى أكبر مركز اقتصادى بالمدينة.. بينما اختفى كل أثر عربى سواء فى يافا الأم.. أو تل أبيب الابنة المدللة للدولة اليهودية!

دخلت «يافا» وأنا أترحم على أيام زمان!

جلست أمام نفس الشاطىء الذى شهد غرام الكاتب الكبير محمد التابعى والمطربة أسمهان.. دعتنى السفارة المصرية لتناول الغداء بأشهر مطعم للأسماك يواجه شاطىء البحر مباشرة.. من لا يدخل هذا المطعم لا يعتبرونه قد زار يافا!

إنه مطعم عربى يحمل اسم «أبو نصار».. الطعام فيه رائع.. لكن الذكريات أليمة ومريرة!

شدت انتباهى مجموعة من المقابر بالقرب من المطعم.. تكاد تكون ملاصقة لشاطىء

البحر.. وتبدو من النظرة الأولى أنها مقابر عربية.. سألت صديقى الدبلوماسى العربى عن هذه المقابر فأخبرنى بحكاية غريبة.. زادتنى حزناً!

هذه المقابر ـ بيضاء اللون ـ تضم رفات الآباء والأجداد العرب منذ عشرات السنين.. وبعد أن تمكن اليهود من تل أبيب وطردوا أهل يافا.. لم يبق غير نفر قليل من العرب وهذه المجموعة المتراصة من المقابر.. ومع الوقت تراجع الشاطىء أمام زحف الأمواج التى وصلت إلى ضرب المقابر بعنف.. وتؤدى الأمواج المتلاطمة من المياة المالحة عبر السنين إلى تآكل عدد من المقابر المواجهة للشاطىء.. حتى بدأت بعض الجثث تظهر وتطفوا فوق المياه فى شكل ميلودرامى!

نظرت إلى حيث أشار الدبلوماسى.. وجدت عدداً كبيراً من القبور المفتوحة التى لفظت مياه البحر الجثث منها.. وسألت على الفور: «وماذا فعل العرب؟!».. وأجاب الدبلوماسى فى تأثر: «.. بنى العرب مصدات لمنع الأمواج من الوصول للمقابر.. لكن إسرائيل حطمت هذه المصدات لتظل ضربات الأمواج العنيفة حتى تأتى على كل الجثث وأشلاء الموتى.. وتنتهى ذكرى أخيرة باقية من عروبة يافا!.. وقبل أن نغادر المكان سألت صديقة يهودية تعمل ضابطة شرطة فى إسرائيل عن رأيها فيما قاله الدبلوماسى العربى فأجابت على الفور بأنها تتشكك فى الجزء الأخير من الرواية.. لأن إسرائيل لايمكن أن تنفذ عملاً غير أخلاقى!! ثم استطردت تشير إلى شاب عربى يتحرك فى ريبة عبر بعض الدروب فى يافا.. وراحت تؤكد أن مهنة هذا الشاب الوحيدة هى الاتجار فى المخدرات.. وربما يقع فى يد دورية شرطة إسرائيلية بعد قليل.. لم تمض ثوان حتى شاهدت سيارة الشرطة الإسرائيلية.. ووضعت يدى فوق قلبى فربما كان اتهام الضابطة اليهودية للشاب العربى صحيحاً.. وقتها ربما أتصبب عرقاً من فرط الخجل.. لكن سيارة الشرطة الإسرائيلية انشغلت بتحية عروسين تزفها ثلاث سيارات عربية.. والغريب أن السيارات العربية كانت ترد التحية اليهودية بأحسن منها!

تركت يافا عائداً إلى تل أبيب حيث كانت مفاجأة جديدة فى انتظارى!

محل كبير.. رائع الديكورات.. يجذب الأبصار عن بعد... يبيع العرائس والأعضاء

الجنسية لمن يريدون ممارسات غرامية خاصة جداً!.. الرجل يستطيع أن يشترى حسناء عبارة عن دمية من الجلد الناعم.. تعمل بالكهرباء.. وتبرز مفاتنها وتضاريس جسدها وخبايا جسمها الجميل كما لو كانت من لحم ودم!.. يستطيع الرجل قضاء ليلة ساخنة معها فى شقته الخاصة دون خوف من فاتورة الأتعاب أو نصوص القانون أو الفضائح.. وتصبح ملكاً خالصاً له تلبى رغباته ونزواته المريضة وقتما يشاء..!

وعلى الجانب الآخر يبيع المحل أعضاء الرجال الجنسية التى تعمل بموتور صغير وتلقى إقبالاً شديداً من النساء والمراهقات!

هذه المحلات لا نظير لها إلا فى تل أبيب!

المفاجأة الثانية كانت بيوت الدعارة التى قلما يخلو منها شارع فى تل أبيب!

غالباً ماتأخذ بيوت الدعارة شكل أندية التدليك والمساج.. وغالباً ماتضع هذه الأندية صوراً جميلة لبنات الهوى فى أوضاع ساحرة لإغراء الزبائن على زيارة النادى حيث يجد هؤلاء الحسناوات فى انتظاره لتدليك جسده وإزالة كل المتاعب والهموم بلمسات سحرية.. هذا مايقوله الإعلان.. لكن مايحدث داخل هذه الأندية شىء آخر قد يبدأ بالمساج.. لكنه ينتهى دائماً بجسدين عاريين لرجل جائع وامرأة محترفة.. كل امرأة لها سعر.. وكل سعر يتوقف على المدة الزمنية التى يتفق عليها الزبون مع صاحب النادى.. وإن كان عدد كبير من الزبائن يشكون دائماً من التلاعب فى المدة!

ونادراً ماتجد إسرائيلية تقوم بهذا العمل المشين.. فمعظم بائعات الهوى فى تل أبيب من المهاجرات من الاتحاد السوفيتى..

لقد زادت نسبة البغاء من النساء السوفيتيات بشكل مزعج جعل مستر شاحال وزير الشرطة الإسرائيلية يهدد بسحب الجنسية منهن إذا تكرر ضبطهن فى شبكات الرقيق الأبيض التى دخلت عالم المافيا.. وأصبحت تجارة رائجة تشهدها تل أبيب وتشهد هى على تل أبيب!

ووصلت مشكلة البغاء إلى الكنيست الإسرائيلى!

أحد أعضاء الكنيست العلمانيين طالب بتدخل الحكومة لتنظيم حياة بائعات الهوى.. والإشراف على بيوت البغاء.. والاعترف بالأمر الواقع!.. لكن الجماعات المتطرفة ثارت وهاجت وهددت وتوعدت عضو الكنيست الذى وصفوه بالانحلال وقلة الأدب.. لكنه عاد ليفجر مفاجأة جديدة!

قال عضو الكنيست أن الحاخامات أنفسهم زبائن فى بيوت الدعارة!

وراح العضو يتساءل فى ذهول عن السبب الذى يجعل المتطرفون والحاخامات لايهاجمون هذه البيوت. ثم قال: «لأنهم زبائن منتظمون فى هذه الأوكار سراً.. ويتظاهرون أمام الناس والبسطاء بالورع والتقوى والخوف من الله!».

مفاجأة جديدة فى شوارع تل أبيب!

فى قلب المدينة اليهودية قلباً وقالباً يقف أحد المساجد القديمة شامخاً!.. إنه مسجد حسن بك.. والبعض يطلق عليه مسجد السلطان حسن.. عمره عشرات السنين.. لكنه الآن يبدو مهجوراً.. الغريب أن أعمال الترميم الحديثة تبدو واضحة فى نصف المسجد.. بينما نصفه الآخر مازال على حاله منذ بنائه!.. لا أحد يدخله.. ولا أحد يصلى فيه.. ولا يرتفع من مأذنته العملاقة صوت الآذان أبداً.. ربما لأنه لا عرب ولا مسلمين فى تل أبيب.. وربما لأسباب سياسية أخرى.. وحشرت أنفى فى قصة هذا المسجد.. صممت أن أعرف حكايته.. وليتنى ماعرفت!

قال لى مصدر مسئول أن الرئيس السادات حينما زار إسرائيل لأول مرة.. وبينما كانت سيارته تمرق بالقرب من المسجد.. شاهده الرئيس المصرى.. وعلى الفور تحركت عواطفه حينما وقعت عيناه على ماأصاب المسجد الإسلامى من إهمال وتصدع، فبات مهجوراً مقهوراً.. سأل السادات عن المسجد فقالوا له إن إسرائيل سوف تبدأ فى هدمه!.. وعلى الفور بادر السادات بإعلان استيائه من هذا الخبر لمناحم بيجين رئيس الوزراء

الإسرائيلي في هذا الوقت.. ورغم كراهية اليهود الشديدة للإسلام والمسلمين.. إلا أن احترامهم للرئيس السادات جعلهم يعتذرون في شخص رئيس حكومتهم بيجين عن نية عدم المسجد.. وبدهائه المعهود يبادر السادات بوضع الحكومة الإسرائيلية في مأزق حينما يعلن عن تبرعه بمليون جنيه للبدء فوراً في ترميم المسجد وإحيائه!

وبالفعل بدأت أعمال الترميم.. لكن العمر لم يمهل الرئيس السادات.. مات بعد ثلاث سنوات فقط.. وتتوقف أعمال الترميم بموت السادات.. ويبقى المسجد للآن يشكو حاله لله. لا إسرائيل هدمته، وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى.. ولا أعمال الترميم اكتملت!

ونعود إلى شوارع تل أبيب الأخرى!

في النهار تنشغل المدينة كلها بالعمل والجدية.. وإن كنت ترى في بعض الشوارع عدداً من السيارات بداخل كل منها شاب وفتاة وثالثهما الشيطان..! ولايجب أن يتوقف الزائر لمشاهدة هذه العملية الجنسية التي يحميها القانون بشرط ألا تتم حتى النهاية.. أو تتم للنهاية بشرط عدم إظهار عورة الفتاة أو الشاب!

إنها الحرية الشخصية التي يحميها القانون الإسرائيلي.. ومن لايعجبه فالشارع «يفوت جمل»!

أما في الليل فالمدينة غارقة لشوشتها في الملاهي والمراقص وصالات الديسكو.. وتوجد نشرات توزع على السياح في الفنادق ترشدهم إلى أماكن السهر والغرام!

بعض هذه النشرات تخاطب السائح الذي يبحث عن حسناء جميلة يمضي الليل معها بسرعة البرق.. وبعضها يخاطب السائح الذي يرغب في فتى أو صبي يؤنس وحدته فوق الفراش!

وترى في شوارع تل أبيب كل مايخطر ويجول بخاطرك.. مؤسسات مالية ضخمة.. بنوك وشركات اقتصادية.. إدارات الصحف اليومية.. مسارح.. معابد.. وبالمناسبة يطلق على المعبد اليهودي اسم «الكنيس» ومعظم حروفه مشتقة من اسم دار العبادة المسيحية «الكنيسة».. لكن شتان الفارق بين الديانتين كما سنرى فيما بعد!

هناك ـ أيضاً ـ «بيت دين» أو بيت الدين».. وهو المحكمة الحاخامية، حيث أعطت الحكومة الإسرائيلية سلطات الزواج والطلاق والأحوال الشخصية لحاخامات الأرثوذكس المتطرفين.. وتنظر فى «بيت الدين».. كل هذه المسائل والقضايا على يد هؤلاء الحاخامات.

وفى شوارع تل أبيب ـ أيضاً ـ نساء يهوديات فى غاية الحشمة.. وأخريات عاريات كاسيات تبدو الواحدة منهن كما لو كانت خارجة بملابس الحمام إلى الشارع مباشرة!.. لكن تظل هؤلاء العاريات أكثر حشمة من نساء الشواطىء التى لا سلطان للمتطرفين عليها فى تل أبيب.. ففى هذه الشواطىء تكاد أوراق التوت أن تتساقط من فوق الأجساد ناصعة البياض.. رشيقة القوام.. عارية الصدر!.. البكينى بكل ألوانه يستر البقية الباقية من خلفه!

هنا يعيش ٤٠٠ ألف يهودى فى تل أبيب.. كانوا فى بدايات هذا القرن ست عائلات ـ فقط ـ حينما كانت تل أبيب قرية صغيرة على يد «ديزنجوف».. أصبحوا عام ١٩٤٨ عقب تأسيس الدولة الإسرائيلية ٧٠ ألفاً.. والآن يقتربون من نصف مليون يهودى.. ورغم أناقتهم الواضحة.. ورغم أن كل منهم يسير فى الشارع وفى يده جهاز التليفون المحمول.. إلا أنهم فى الحقيقة ٤٠٠ ألف مهموم.. الخوف يسيطر عليهم بشكل دائم من العمليات الفدائية العربية..

الهاجس الأمنى يسيطر عليهم.. أقساط البنوك تطاردهم.. قيام دولة فلسطينية ذات سيادة تزعجهم.. وفتاوى المتطرفين منهم تقلقهم!

أما أهم المبانى والمنشآت الحكومية فى تل أبيب بعد وزارة الدفاع، فهو مطار بن جوريون.. ذلك المطار الذى يشعر السائح لحظة وصوله إليه أنه كان فى انتظاره من سنوات.. ويشعر لحظة مغادرته أنه سينتظره سنوات أدنى.. وسيظل ينتظره مهما طال الغياب.. وهذه شهادة تقدير يقدمها مطار بن جوريون كل يوم للعقلية التى تدير السياحة فى إسرائيل!

فنــادق للجنــس..
ومدينة للخيانة الزوجية!

«.. وتقدم رئيس اللجنة التشريعية بالكنيست بمشرع قانون يسمح للمساجين بإحضار زوجاتهم أو صديقاتهم.. أو حتى عاهرة من العاهرات لممارسة الجنس معها فى فندق ثلاث نجوم ملحق بالسجن!.. بينما تتسابق الفنادق فى مدينة إيلات فى منح التسهيلات للنزلاء لزيادة الجذب السياحى..

وأخيراً تحولت المدينة الساحلية الجميلة إلى مدينة يتسابق إليها الأزواج مع عشيقاتهم.. والزوجات مع عشاقهن.. لممارسة الخيانة الزوجية!».

اليهودى الذى يعيش فى إسرائيل.. غاضب وزعلان!

غاضب لأنه حينما هاجر من أوربا ظن أنه ترك نار الحياة فى القارة الأوروبية إلى جنة الله فى الأرض الموعودة.. لكنه بعد سنوات قليلة من وصوله إلى إسرائيل اكتشف أنه شرب أكبر مقلب فى حياته.. فالتوراة هى التى تحكم كل تصرفاته.. ورجال الدين يتدخلون فى أدق الأمور اليومية.. وأخص الأسرار العائلية.. الطقوس الدينية صارمة.. وقوانين الحياة يوم السبت مرهقة.. ولابديل أمامه سوى الهروب إلى المدن العربية.. أو المدن التى تخف فيها حدة الرقابة على التصرفات الشخصية مثل مدينة القدس.. ففى القدس يمكن أن تقابل يهودياً يدخن السجائر يوم السبت.. أو يركب السيارة ويدخل المطاعم ليأكل مايروق له بعيداً عن قواعد الطعام اليهودية.. والقدس المقصودة هنا هى القدس الشرقية حيث العرب والمسلمين!

وهو زعلان لأن مايقرأه فى بعض الصحف الإسرائيلية عن سلوك بعض الحاخامات يسقط عنهم القدوة ويدخلهم إلى دائرة الشبهات.. رغم أنهم أصحاب القيود الدينية التى يضج منها اليهود المهاجرون إلى إسرائيل..!

بل إن بعض الشباب من اليهود المعاصرين فى إسرائيل يؤكد بشكل صارم أن الصدام سوف يقع لامحالة بين رجال الدين والعلمانيين..

والسبب أن الحاخام اليهودى تحول إلى ديكتاتور لايقبل المناقشة فى أمر القواعد الصارمة التى يريدون بها تنظيم الحياة الاجتماعية داخل إسرائيل!

ومن القضايا الشهيرة هنا فى إسرائيل دعوى قضائية أقامها شاب انفلتت أعصابه من جبروت وتحكمات رجال الدين فى تسيير دفة الحياة وحشر أنوفهم فيما يجوز ولايجوز

من وجهة نظر هذا الشاب الذى أصبح يرمز لقطاع كبير من الشباب والعلمانيين.. وطالب الشاب فى دعواه أن تحذف السلطات المدنية فى إسرائيل وصف اليهودى من بطاقته وجواز سفره.. وأن يحل محله وصف الإسرائيلى..

وقال الشاب أمام المحكمة: «.. أنا إسرائيلى نعم.. لكنى أرفض أن أكون يهودياً بالشكل الذى يريدونه لى»!

وبعد عدة جلسات صدر الحكم فى الدعوى برفض طلب الشاب.. وبقاء الحال على ماهو عليه!

الأخطر من هذا أن الشعب الإسرائيلى انقسم قسمين بعد حادث اغتيال رابين رئيس الوزراء الأسبق.. لقد انهارت قيمة كبيرة من المعتقدات الدينية.. وانكشف صراع هائل بين رجال الدين أنفسهم..

فالحادث هو الأول من نوعه فى تاريخ الديانة اليهودية الذى يقتل فيه يهودى يهودياً آخر!

انقسم الحاخامات إلى فريقين من المؤيدين لموقف القاتل.. والمعارضين له.. والمؤسف أمام الرأى العام أن كل فريق كان يحمل مبرراته من الكتاب المقدس.. وإزاء هذا الخلاف العميق تبلورت الصورة وبات واضحاً أن الشعب نفسه انقسم هو الآخر إلى فريقين.. العلمانيون والمتدينون.. أو بشكل أدق أصبح هناك إسرائيليون فى مواجهة يهود داخل دولة إسرائيل.. وهو الخطر الحقيقى عليهم.. ولاتستشعره إلا إذا دخلت إسرائيل وعايشت مجتمعها.. هم أنفسهم يقولون أن المواجهة بين العلمانيين والمتدينين قادمة لا محالة.. وخطر الانشقاق وشبح الانقسام أصبحا واضحين بشكل لايدع مجالاً للشك!

ويبقى أن تعرف أن أهم مايميز المجتمع الإسرائيلى اليوم هو هذا التطرف الدينى من ناحية.. وذلك التطرف الجنسى من ناحية أخرى..

فالدين والجنس فى حالة صراع دائم.. لكن لا أحد ينكر سطوة الجنس وسلطانه حتى

على الحاخامات أنفسهم.. لكنهم يطالبون أن تكون ممارساته من خلال العلاقات الشرعية.. وأن يكون الهدف منه بناء أسرة يهودية.. إلا أن هناك من يشككون فى الحاخامات ذاتهم.. بل وصل الأمر إلى حد اتهامهم من أحد الأحزاب اليسارية بأنهم من رواد بيوت الدعارة والمواخير الليلية..

والأغرب أن يصدر هذا الاتهام ضد الحاخامات ورجال الدين اليهودى داخل الكنيست نفسه.. وتنشره الصحف الإسرائيلية!

أما الذى أدهشنى أكثر فهو تلك الاعترافات التى أدلت بها فتاة حسناء مهاجرة من الاتحاد السوفيتى.. عمرها الآن عشرون عاماً.. فائقة الحسن.. ظالمة الأنوثة.. غجرية الشعر!

جاءت «جينى» إلى إسرائيل وكان عمرها أربعة عشر ربيعاً.. وكانت بصحبة أختها الوحيدة ووالدها اليهودى ووالدتها الروسية..

لقد فجرت «جينى» قنبلة مدوية هزت الرأى العام الإسرائيلى وهى تتهم أحد الحاخامات بابتزازها جنسياً.. ومساومته لها على منحها وثيقة التهويد مقابل بعض الوقت داخل حجرة النوم!

وحكاية التهويد هذه يعانى منها كل المهاجرين.. فالمفروض فى الشخص اليهودى أن يكون مولوداً من أم يهودية وإلا كان من غير اليهود.. حتى لو كان أبوه يهودياً!

بل يعتبر القانون الإسرائيلى ابن الزنا يهودياً إذا كانت أمه يهودية..

بينما ابن الحلال يعتبره القانون غير يهودى إذا كان أبوه يهودياً ولم تكن أمه يهودية الديانة.. من هنا نشأت مشكلة المهاجرين إلى إسرائيل..

فالزوجة غير اليهودية وأولادها حضروا مع رب الأسرة اليهودى إلى إسرائيل.. لكنهم لن يحصلوا على الجنسية الإسرائيلية لأنهم ليسوا يهوداً..

والحل الوحيد أن يتحولوا إلى اليهودية على يد الحاخامات الأرثوذكس.. وهى العملية

التى تسمى بالتهويد.. لكن هذا التهويد يتطلب إجراءات طويلة وروتينية ومعقدة.. مما يستغرق فى النهاية وقتاً طويلاً وجهداً أكبر للحصول على الوثيقة التى يتحول بها المهاجر أو المهاجرة إلى الديانة اليهودية رسمياً.

لم تكن «جينى» تتخيل أن وثيقة التهويد سوف تكون مطلباً صعباً.. لقد سبقتها أختها الكبرى إلى الحصول على هذه الوثيقة بسهولة وبسرعة.. لكنها فوجئت بشىء آخر يختلف تماماً عند محاولتها هى الحصول على نفس الوثيقة..

ذهبت إلى الحاخام المسئول مرات ومرات.. وفى كل مرة كان يزيد الإجراءات تعقيداً.. ويتعمد مماطلة الفتاة الحسناء بشكل واضح.. أخيراً كادت «جينى» أن تخرج عن هدوئها المعتاد وتصرخ فى وجه الحاخام تسأله عن السر الذى جعل أختها تفوز بالوثيقة فى يومين اثنين فقط.. بينما هى حائرة أكثر من ثلاثة أشهر فى التردد على مكتب الحاخام.. ويبدو أن الحاخام أراد هو الآخر أن يوفر على الحسناء الروسية حيرتها فهمس لها فى أذنيها بكلمات سريعة طار معها عقل الفتاة..

قال لها الحاخام أنها فتنته، وأضاعت وقاره.. وحركت داخله كل ماهو ساكن!.. ثم طلب منها صراحة أن تريحه لكى تستريح.. تمنحه الجنس فيمنحها الوثيقة.. تدخل معه حجرته بكل خلاعة وميوعة الأنثى.. فتخرج من مكتبه وفى يدها الوثيقة بكل صدق وجدية الحاخامات!

جينى حكت هذه الاعترافات وهى تبكى لمحررة جريدة «داڤار شينى» الإسرائيلية.. ونشرت الصحيفة الاتهام الصريح مع صورة للفتاة رائعة الجمال!

حكايات الجنس فى إسرائيل لاتنتهى عند حد!

بعض هذه الحكايات وصل إلى أرقى دار سياسية فى إسرائيل وهى الكنيست أو مجلس الشعب أو البرلمان الإسرائيلى..

من هذه الحكايات المثيرة التى أذهلتنى فى رحلتى إلى إسرائيل مشروع قانون

جديد قدمه «دادى توكر» وهو رئيس اللجنة التشريعية بالكنيست.. يطالب مشروع القانون بالآتى:

● إنشاء فنادق ثلاث نجوم تلحق بالسجون.. حتى يتمكن نزلاء السجن من ممارسة الجنس.. فيكون من حق النزيل إحضار زوجته أو صديقته أو حتى عاهرة من العاهرات لتمارس معه الجنس بين حين وآخر.،

ويستند مشروع القانون إلى الشريعة اليهودية التى تأمر اليهود بأن يتكاثروا ويحافظوا على نسل شعب الله المختار!

ويستند من ناحية أخرى إلى أن الشخص العادى غير المتدين من حقه أن يمارس رغبة وغريزة أساسية لايوجد إنسان على ظهر الأرض يمكن أن يقاومها!

ودافع عن مشروع هذا القانون بشدة الحاخام «عوزى شولام».. وتحمس أتباعه فى السجن لفكرة المشروع القانونى الجديد.. وارتفع صوتهم يطالبون بتطبيق التوراة وتنفيذ تعليماتها بإحضار زوجاتهم فوراً لإنجاب أطفال جدد يضافون إلى الشعب اليهودى!

الغريب فى نفس الوقت أن أحد المعتقلين السياسيين فجر قنبلته هو الآخر. حينما طالب بإدخال «دمية الجنس» إلى زنزانته فى السجن ليمارس الجنس معها.. هذه الدمية عروس من الجلد على شكل امرأة.. ولها ملمس ناعم كملمس النساء تماماً.. كما أن لها ثديين من الجلد الخفيف وأرداف لينة.. يقوم الشخص بنفخها.. ويمكن أن تعمل بحجارة البطاريات حتى تتحرك وتهتز وتتبادل القبلات وتتخذ أوضاع الجنس المشهورة والتى يختارها الشخص وفقاً لمزاجه الخاص!

هذه «الدمية» تباع فى محلات إسرائيل ماعدا المدن الأربع المقدسة.. وبأسعار تبدأ من ٢٠٠ شيكل إلى ألف شيكل.. وكلما توافرت فى الدمية التى تكون فى حجم المرأة الناضجة ميزات إضافية كلما تضاعف سعرها!

وكما تباع الدمية للرجال.. تباع «دمية» أخرى للنساء على شكل رجل، لكنه يبدو فى

حالة هياج بمجرد تشغيل الدمية التى يمكن أن تجعل المرأة فى النهاية تتصبب عرقاً.. وتنطفىء رغبتها الجنسية خلال نصف ساعة على الأكثر!

هذا المعتقل السياسى الذى أثار قضية إدخال دمية الجنس إلى السجون.. اسمه «حزان».. وهو مسجل خطر.. والفارق بين المسجل خطر وغير الخطر فى السجون الإسرائيلية.. أن السجين غير المسجل خطر يمكنه أن يحصل على إجازة لممارسة الجنس خارج السجن يوماً كاملاً ثم يعود إلى زنزانته بعد الإجازة.. وهو أكثر توازناً من الناحية النفسية!

«حزان» كان مسجلاً خطراً.. وبالتالى مضت به السنوات خلف الأسوار العالية وهو يعانى من الكبت الجنسى والحرمان من ممارسة غريزته كأى إنسان.. فماذا يفعل؟!

كتب التماساً خطيراً وقدمه إلى إدارة السجن يدافع فيه عن حقه وحق المساجين فى حياة جنسية بلا مشاكل!

وتحددت جلسة لنظر الالتماس.. وقف «حزان» أمام قاضى الالتماسات «إبراهام بيرر» يسوق أدلة الدفاع عن قضيته التى شدت اهتمام الرأى العام الإسرائيلى خارج السجن.. وأثار «حزان» النقاط الآتية فى دفاعه:

● الشذوذ الجنسى داخل السجون الإسرائيلية سببه الكبت الجنسى للنزلاء!

● حوادث العنف والجرائم البشعة التى يرتكبها المسجون ترجع إلى عوامل نفسية سببها الحرمان من حقهم فى ممارسة الجنس!

● بعض سجون أمريكا أقامت فنادق صغيرة منذ عشرات السنين ليتمكن نزيل السجن من إحضار زوجته أو صديقته!

● بعض سجون أوروبا تسمح للنزيل بإدخال زوجته أو آخر عشيقه له(!) إلى داخل زنزانته يوماً فى الأسبوع.. وليس هناك مايمنع من إتمام الحمل بهذا الأسلوب.. وليس غريباً أن يكون المولود معترفاً به رغم أن والده كان قبل الحمل وبعده سجيناً!

وقال «حزان» أنه لايطالب بهذه الخطوة المتقدمة.. وإنما يطالب ـ فقط ـ بإدخال دمية الجنس ذات الشعر الطويل والشفاه المتحركة لإطفاء نار الغريزة التى تأكل نزلاء السجن فى إسرائيل!

انتهى دفاع «حزان» وجاء دور المسئولين عن السجن الذين رفضوا بشدة مجرد الفكرة التي وصفوها بأن السجون ستتحول معها إلى بيت دعارة حكومية!.. وفندوا رأيهم فى النقاط الآتية:

● سوف تسبب دمية الجنس فى نقل العدوى بين النزلاء لأنه من غير المعقول أن تكون لكل سجين «دمية».. وإنما سيشترك أكثر من نزيل فى الدمية الواحدة، مما يتيح فرصة تفشى الأمراض المعدية!

● قد تستخدم الدمية فى تهريب الممنوعات والمخدرات إلى داخل السجون!

● إهدار فكرة الردع طالما أن النزيل لن يشعر بالعقاب على جريمة ارتكبها كلما كان فى استطاعته أن يحول حياته فى السجن لحياة شبيهة بحياة غير السجناء!

الغريب أن المسجونين بعد أن رفضت السجون فكرة «دمية الجنس» هددوا بالثورة ونظموا المظاهرات داخل السجن.. لكن أحداً لم يرضخ لهم..

إلا أن الكنيست الإسرائيلى عاد ووافق على مناقشة مشروع القانون المقدم من رئيس اللجنة التشريعية.. وتمت إحالته إلى المحكمة العليا فى إسرائيل لدراسته.. بينما علا صوت المتدينين يطالبون بإخراج هذا القانون للنور بأسرع مايمكن حتى لاتضيع فرصة احترام تعاليم التوراة ويتمكن النزلاء من الإنجاب وهم داخل السجن حفاظاً على عدم انقراض الشعب اليهودى.. أو بمعنى أدق.. عدم نقصانه!

مدينة الخيانة الزوجية

تقول الإحصاءات أن ٧٥٪ من الأزواج فى إسرائيل يقومون بالخيانة الزوجية!

وتقول الدراسات أن أهم مكان لممارسة هذه الخيانة هو مدينة إيلات!! وخلال موسم الصيف بالذات!

وإيلات واحدة من أشهر المدن السياحية في إسرائيل.. تقع فى أقصى الجنوب الإسرائيلى وتطل على البحر الأحمر.. وكانت محطة استقبال قوافل الجمال حتى بداية الخمسينيات.. لكنها تطورت بسرعة وأصبحت أحد الموانىء الهامة.. وتتمتع إيلات بمناخ رائع خاص فى شتائها الدافىء.. كما أن مبانيها من التحف الفنية التى تتميز بالروعة والبساطة معاً.. تصل إليها الطائرات وجميع وسائل المواصلات من كل مكان فى العالم وعلى مدار العام كله.. كما تمتلىء بالفنادق التى تتنافس فى تقديم أقصى الخدمات الممكنة لتحقيق الجذب السياحى.. بل تتبارى هذه الفنادق فى منح التسهيلات اللازمة لتكون فى خدمة العشاق!

والدولار هو سيد الموقف دائماً!

الأزواج يشدون الرحال إلى هذه المدينة البعيدة مع عشيقاتهم هرباً من نار البيت وخلافاته التى لاتنتهى.. والزوجات يستسلمن لدعوة عشاقهن هرباً من الزوج النكدى أو المدمن!.. لكن مكاتب ضبط الخيانة الزوجية وصلت إلى هناك.. وبدأت تراقب الأزواج والزوجات أثناء رحلة الخيانة.. وكانت المفاجأة أن عدداً من الأزواج الذين لايعانون أى مشاكل زوجية مع زوجاتهم عرفوا الطريق إلى إيلات أيضاً.. ورصدتهم عيون هذه المكاتب.. بل أصبح واضحاً أن الزوج الخائن الذى لايجد فرصة الانفراد بعشيقته طوال موسم الدراسة والعمل والاحتفالات الدينية يترقب بفارغ الصبر حلول موسم الصيف.. ولن يكلفه الأمر سوى إقناع الزوجة بضرورة بقائه لمواصلة أعمال هامة بينما يوفر لها ولأولاده أياماً

على أحد الشواطىء كإجازة صيف.. وبالتالى يتحرر من الأسرة كلها.. الزوجة والأولاد.. وينفرد بعشيقته وحدهما بعد أن ينطلقا إلى إيلات!

وبسبب الخيانة الزوجية والبيوت الإسرائيلية غير السعيدة دخل الكثيرون من أبناء وشباب هذه العائلات إلى دائرة المجرمين.. وكثرت حوادث العنف داخل الأسرة.. وحوادث الاغتصاب الفردى والجماعى!

ومن أغرب حوادث العنف فى إسرائيل تلك الحوادث التى ترتكبها جماعة أطلقت على نفسها اسم «جماعة الشيطان» التى يبدو وكأن بينها وبين الحيوانات ثأر قديم.. فهى تقتل الحيوانات وتمثل بجثثها فى الشارع.. بل أخذت حوادث الشباب بوجه عام فى الازدياد المستمر..

وتقول الأرقام والأوراق الرسمية فى إسرائيل أن ٥٠٪ من تلاميذ المدارس يذهبون إلى مدارسهم وفى حقائبهم مطاوى وأسلحة بيضاء!.. كما بلغت حوادث العنف بين أفراد الأسرة الواحدة ٨٥٥٠ جريمة فى عام ١٩٩٤، بينما كانت حوادث الاغتصاب ٥١٣ حادثاً، والأفعال الجنسية المشينة ٢١٢٣ حالة فى نفس العام.. وفى عام ١٩٩٥ بلغت حوادث العنف بين أفراد الأسرة ٥٠٨١ حادثاً والاغتصاب ٣٤٦ والأفعال المشينة ١٤٧٩ حالة، وذلك خلال النصف الأول من العام فقط.. أى ترتفع نسبة جرائم العنف داخل الأسرة بنسبة ٢٨٪، والاغتصاب ٢٥٪ والأفعال المشينة ١٧٪.. كما زادت جرائم القمار فى الكازينوهات وممارسة الدعارة بنسبة ١٠٠٪.. والقاسم المشترك فى كل هذه الجرائم هم الشباب.. والسبب كما يعرفه الجميع هو المشكلات التى تعانى منها البيوت، والخلافات العائلية، والخيانة الزوجية فى المجتمع الإسرائيلى.

الأخطر من هذا أن وزير الداخلية الإسرائيلى - أو بمعنى أدق وزير الشرطة - موشى شاحال قرأت له تصريحاً يعكس مدى الخوف من خطورة اتجاهات الجريمة فى إسرائيل سواء ارتكاب حوادث جنس داخل الأسرة الواحدة.. وعنف الأزواج ضد الزوجات والأطفال من ناحية أخرى.. واتجاه حوادث العنف بين أوساط الشباب أنفسهم.. ونشرت

صحيفة معاريف الإسرائيلية أكثر من تحقيق مثير للصحفى «شيراه إيمار» فى هذا الاتجاه..

وكانت المفاجأة أن جرائم الشباب ليست قاصرة على غير المتدينين فقط.. إنما تنسحب كذلك إلى الشباب الذى نشأ فى أسرة متدينة..

وضربت الصحيفة مثالاً لشاب صغير تولدت فى نفسه إيجابية شديدة نحو الجريمة.. وبدأت جرائمه وعمره ثمانى سنوات حينما سرق حقيبة مدرسية.. بعدها دخل السجن مائة مرة!

وتنوعت جرائمه بين سطو مسلح ونشل وسرقة وطعن بالسكاكين وتجارة مخدرات وسرقة سيارات وسرقة سلاح واختطاف أشخاص حتى دخل فيما تطلق عليه الشرطة الإسرائيلية حرب العصابات!

وينتهى التحقيق الذى أجرته صحيفة معاريف إلى نتيجة خطيرة:

هى أن هؤلاء الشبان مرتكبى الجرائم يجدون أن الحياة فى السجن ومرحلة الإصلاح والتقويم التى تلى فترة العقوبة أفضل بكثير من الحياة داخل أسرة تعيش فى نزاع مستمر أو مع أب مدمن للكحوليات!

لكن تبقى أخطر جرائم الشباب فى إسرائيل هى تلك المعروفة باسم «الاغتصاب الجماعى»..

مجموعة من الشباب تتربص بفتاة أو سيدة.. وغالباً ماتكون الضحية سائحة حسناء يثير عراؤها الفتنة ويلطش جمالها العقول.. ينقض عليها هؤلاء الشباب كما ينقض الوحش على فريسته.. ويصطحبونها إلى مكان معد سلفاً.. وهناك يتناوبون اغتصابها فى شكل جماعى منظم.. أو يشتركون جميعاً فى اغتصابها بشكل فوضوى.. وكأن الجميع قد جعلوا من ضحيتهم وليمة الحفل التى لايتركونها عادة إلا بعد أن يغشى عليها أو تخور قواها.. أيهما أقرب!

ليلة الزفاف..
تحلق العروس شعرها!

«.. ويبكى كل الحاضرين فى حفل الزفاف وهم يكسرون الزجاجات والأكواب ويحملون المناديل لتجفيف دموعهم..

إنها تعاليم اليهودية التى تذكر كل يهودى فى المناسبات السعيدة بأن تدمير هيكل سليمان يستحق منه أن يحزن.. ويتألم!».

شيء مألوف أن ينتظر المدعوون وصول العروس وقتاً طويلاً إلى قاعة حفل الزفاف.. يحدث هذا فى كل بلاد العالم.. وغالباً ماتكون العروس لدى الكوافير حيث تمضى ساعة بعد أخرى فى تزيين شعرها.. والخروج به فى شكل مبهر!

لكن فى إسرائيل مهمة الكوافير تختلف تماما!

تحلق العروس شعرها ـ عالزيرو ـ فى أجمل ليالى عمرها!

تبدو صلعاء.. بل تبدو فروة رأسها دون شعرة واحدة.. لكنها لاتخرج إلى الحفل إلا بعد وضع باروكة.. أو قبعة.. أو إيشارب قاتم!

السبب أن رجال الدين يؤكدون فى تعاليمهم ودروسهم ومحاضراتهم أن شعر المرأة عورة.. ومثير للرغبات والشهوات.. ومن عنده تبدأ دائماً وسوسة الشيطان للرجال.. وطالما اختارت المرأة شريك حياتها، فلن تطيل شعرها بعد حفل زفافها؟!

عليها أن تختار بين أن تكون يهودية متدينة فتحلق شعرها ليلة زواجها..

أو تكون يهودية اسماً سوف تنصب عليها حتماً لعنة الرب!

بعض الحاخامات المتشددين يذهبون إلى أبعد من ذلك..

يرفضون فكرة ارتداء الباروكة بعد حلق شعر المرأة باعتبار أن «الباروكة» فى حقيقتها نوع من التحايل.. فهى شعر امرأة.. كل مافى الأمر أنه مستعار.. لكنه قد يحقق نفس المحظور فيلفت انتباه الرجال.. ويثير غرائزهم ويحرك شهواتهم نحو صاحبة الشعر الجميل.. لهذا يقترح بعض الحاخامات الاكتفاء بالقبعة أو الإيشارب.. بينما يتساهل بعضهم نوعاً ما، فيجيز الباروكة على أن تغطيها القبعة!

.. وفى حفل الزفاف يحدث ماهو أغرب!

وسط الفرحة العارمة التى تلمع فى عيون العروسين.. وفوق وجوه الأهل والأقارب والمدعوين، تأتى فجأة لحظة الحزن فى عز السعادة.. ترتفع الأيدى تكسر الأكواب وتهشم الزجاجات ثم يرتفع النحيب والبكاء.. ويمسك الجميع بالمناديل ليجففوا دموعهم.. ويمصمصوا شفاهم.. ويعضون بأسنانهم عليها حسرة وندماً..

فالتعاليم الدينية تحثهم أن يتذكروا مآساتهم كلما فرحوا أو عاشوا مناسبة سعيدة.. لابد من تكسير الأشياء ليتذكروا الهيكل المقدس الذى حطمه البابليون وأعداءاليهود وغزاة القدس.. لايوجد شىء فى الحياة أغلى من هيكل سليمان الذى يمثل المجد الضائع من شعب اليهود.

وكما انهار الهيكل وتهشم المعبد فلا مانع من أن تتكسر الأشياء فى المناسبات السعيدة حتى يتذكر اليهود دائماً مأساة معبدهم!

يذهب الحاخام - أيضاً - إلى منزل الزوجية الجديد حيث يمسك فى يده بآلة حادة يضرب بها حائط المنزل حتى يحدث شرخاً فى الجدار.. والحكمة من هذا السلوك واضحة.. فلابد أن يتذكر الأبوان والأبناء مدى حياتهم ماأصاب حائط المبكى.. الجدار الوحيد الباقى بعد تدمير هيكل سليمان.. وطالما كانت فى الحائط شروخ فيجب أن تكون الحوائط اليهودية مشروخة، لتظل حكاية حائط المبكى داخل القلوب والعيون معا!

ومن أشهر حفلات الزفاف فى إسرائيل حفل عرس ابنة موشى ديان وزير الدفاع الأسبق..

لقد أقامه فى غزة بعد نكسة ١٩٦٧.. وحرص فيه ديان على تطبيق الطقوس والتعاليم الدينية بحذافيرها.. رغم أنه لم يكن متديناً!

ولايجلس العريس إلى جوار عروسه أثناء الحفل!

محظور - أيضاً - اختلاط الرجال والنساء..

لهذا تقام الأفراح فى قاعتين مختلفتين.. واحدة للمدعوين الرجال.. والأخرى للنساء.. لكن يمكن أن يحدث ذلك داخل قاعة واحدة.. إذا أمكن لأهل العروسة فصل الرجال عن النساء باستخدام حاجز أو ستار غير شفاف..

وتعزف الفرقة الموسيقية لحناً تقليدياً يقوم بعده الحاخام بتلاوة من الكتاب المقدس تسمى تلاوة «البركات»..

هنا - فقط - يكون مسموحاً للعروس بالاقتراب من حدود قاعة الرجال لتسمع.. وتفهم.. وتتعلم من دروس اليهودية فى مثل هذه المناسبة.

لكن العروس لاتظل بعيداً عن عريسها طوال الحفل!

هناك لحظات يكون مسموحاً لها فيها الاقتراب من عريسها..

خاصة حينما يتجه المدعوون إلى مائدة الحفل لتناول طعامهم.. هنا تجلس العروس فى مقدمة المائدة وإلى جوارها عريسها!.. وبعد انتهاء الطعام واحتساء الخمور يبدأ فاصل من الرقص.. الرجال يرقصون معاً وبينهم العريس.. والنساء معاً فى قاعتهم وبينهن العروس.. وحينما يقترب الحفل من نهايته ترقص العروس مع أقارب العريس الرجال.. وكبار المدعوين.. والحاخامات.. لكن لاتلامس بين الأيادى أو الأجساد أثناء الرقص.. فالعروس وضيفها يربطهما حزام دائرى!

آخر الرقصات تكون من حق العريس!

تلقى العروس بالحزام.. ويتقدم منها عريسها.. تتشابك أيديهما.. وتلقى العروس برأسها فوق صدر عريسها فى لحظات حالمة تدق فيها القلوب وترق المشاعر!

محظور - أيضاً - فى حفلات الزفاف التصوير بالفيديو!

فى بداية ظهور الفيديو ثار الحاخامات.. أكدوا أن الرب ضد الفيديو فهو جهاز من صنع الشيطان.. لكن مع مرور الوقت بدأ الاقتناع بالسماح بالفيديو فى المناسبات التى

تكون لها فائدة علمية أو اجتماعية.. تأسيساً على هذا المنطق سمحوا بتسجيل حفلات الزفاف لتكون ذكرى خالدة للزوجين والأبناء..

لكن مع مرور وقت آخر عاد الحاخامات ورفضوا تصوير حفلات الزفاف بالفيديو لأن كل المخظورات الشرعية التى تم الحرص عليها أثناء الحفل تصبح مباحة عند مشاهدة الشريط.. فالنساء سوف يظهرن فى قاعتهن.. وسوف يظهرن - أيضاً - وهن يرقصن ويتمايلن مما قد يضعف معه بعض الرجال فتتحرك شهواتهم!

ولامشكلة فى حفلات زفاف الفقراء!

الموائد والحواجز يمكن استئجارها مجاناً من العائلات الغنية التى تعلن عن توفر مثل هذه الأشياء لديها.. فستان الزفاف يمكن - أيضاً - استئجاره مجاناً على أن يرد مع غيره من الأشياء لتستفيد منه أسرة أخرى فقيرة.. أما قاعة الحفل فيمكن حجزها بنفقات أقل للفقراء الذين يمكنهم كذلك طلب قروض حسنة.. أو قروض لاترد.. أو بدون فائدة!

وتقاس قيمة حفل الزفاف بكبار المدعوين الذين حضروه.. وبصفة خاصة إلى الحاخامات المعروفين وأصحاب الشعبية.. أما المجتمعات غير المتدينة فقد تختلف فيها طقوس وأشكال حفل الزفاف..

وتستباح المحظورات.. ويدخل الفيديو إلى القاعة.. وترقص النساء مع الرجال.. وتجلس العروس إلى جوار عريسها داخل الكوشة.. لكن هؤلاء سوف تبقى صورتهم فى عيون المتدينين كما هى..

يهود تحق عليهم لعنة الرب!

الطلاق..
على الطريقة اليهودية!

«.. خمسون زوجة يهودية تطلب الطلاق كل يوم فى إسرائيل.. وأسرع وسيلة للحصول على الطلاق أمام المحاكم هو شريط فيديو يصور الزوج وعشيقته فى وضع الزنا.. لكن الطلاق لن يتم بحكم المحكمة وحده.. لابد أن ينطق به الزوج ليكون طلاقاً شرعياً.. وتكتب وثيقته بريشة طائر فوق ورق برشمان.. فإذا رفض الزوج النطق بالطلاق وضعوه داخل السجن حتى يعود إليه صوابه.. وبسبب هذا القانون قضى أحد الأزواج ٣٥ عاماً فى السجن لأنه رفض أن ينطق أمام زوجته بكلمتين: أنت طالق!».

البيوت اليهودية فى إسرائيل.. محرومة من السعادة!

نصف العائلات يهددها شبح الطلاق.. رغم ارتفاع نفقاته وصعوبة الحصول عليه وخطورة النتائج المترتبة عليه..

لكن شريط فيديو فاضح.. هو كلمة السر للحصول على الطلاق فى إسرائيل!

فليس غريباً أن تنعقد المحكمة الدينية المختصة بنظر دعاوى الطلاق والأحوال الشخصية.. ويكون أمامها شاشة عرض وجهاز فيديو بداخله شريط مثير يحكى قصة خيانة الزوج الذى تطلب زوجته الانفصال عنه!

يدور الشريط.. ويبدو الزوج فى فاصل من القبلات الحارة التى يضع بها إمضاءه فوق شفتى العشيقة..

ثم وصلة من العناق الملتهب الذى يفجر به براكين الرغبة النارية فى جسد عشيقته.. ثم هاهو يحاول أن يكتشف فوق هذا الجسد كل المواقع الهامة والأماكن الدافئة.. يتنقل بين المرتفعات والمنخفضات شاهراً سلاحه.. يقتحم المغارات حتى يترك بصماته فوق كل الأجزاء المحررة!

.. بينما تبدو العشيقة العارية وهى تخرج من المعركة اللذيذة وهى أكثر احتراماً للرجل الذى قهرها وامتص رحيقها وهد حيلها!

مثل هذا الزوج لن يمكنه الدفاع عن نفسه أمام المحكمة.. ولن يجرؤ على الطعن فى حكم الطلاق!.. لكن فى حالات أخرى سوف يكون هذا الشريط مقدماً من الزوج نفسه.. وتلعب فيه الزوجة دور البطولة مع عشيق لها فضحتهما الكاميرا السرية!

وشريط الفيديو الفاضح قد لايكون هو الدليل الوحيد فى القضية.. بل تسانده مجموعة من الصور الفوتوغرافية التى تكون أكثر فضحاً وإثارة.. وهذا يعنى أن المحكمة لن تستغرق وقتاً طويلاً فى نظر الدعوى.. خاصة إذا كان شريط الفيديو والصور الفوتوغرافية تساندهما مجموعة من المكالمات التليفونية المسجلة!.. لكن الصور وحدها.. أو المكالمات وحدها.. لاتكفى لإدانة الزوج أو الزوجة الخائنة.. إلا أن المحكمة قد تعتمد عليهما مع عدد آخر من الأدلة المشابهة.. لكن هذا يعنى أن القضية سوف تستغرق وقتاً طويلاً.. بينما معظم الزوجات أو الأزواج الراغبين فى الطلاق يستعجلن الوقت.. ويحلمن بالحكم.. مما دفع فى النهاية إلى إنشاء أكثر من ٢٥٠٠ مكتب تدير نشاطاًواسعاً فى مراقبة الأزواج الخائنين.. وتسجيل حكايات الخيانة على شرائط الفيديو أو الكاسيت.. أو التقاطها بكاميرات المصورين فى غفلة من العشاق!.. وبالتالى أصبح الطلاق فى إسرائيل أغلى من الزواج وأصعب منه.. فالقانون الإسرائيلى يتطلب أسباباً محددة على سبيل الحصر للحكم بالطلاق.. أهمها الضعف الجنسي عند الأزواج ورفض المعاشرة الجنسية من الزوجات.. أو الخيانة الزوجية لأحد الزوجين.

كما يلزم القانون الإسرائيلى المدعى أو المدعية فى قضايا الطلاق بإثبات السبب بالأدلة الدامغة.. الأمر الذى لن تقدر عليه الزوجة بمفردها.. ولن يكون بمقدور الأزواج بسهولة.. من هنا كان اللجوء إلى المكاتب المتخصصة فى ضبط الخيانة الزوجية.. وكل شىء بحسابه خاصة عند اليهود.. كل ساعة مراقبة لها سعر.. فالعميل - سواء كان الزوج أو الزوجة - يتحمل نفقات مطاردة المخبرالسرى للزوج الخائن أو الزوجة الخائنة.. العميل يدفع - أيضاً - نفقات السفر خلف الزوج أو الزوجة الخائنة.. وفاتورة إقامة المخبر فى الفنادق إذا كانت الخيانة تتم فى أحد الفنادق.. كما أن شريط الفيديو الخام له ثمن.. وكل لقطة مصورة فى وكر الخيانة لها ثمن آخر باهظ.. وفى النهاية سوف يطالب مكتب التحريات عميله بآلاف الدولارات.. وسوف يدفع العميل صاغراً حتى لو كلفه الأمر بيع كل ممتلكاته مثلما فعلت إحدى الزوجات من سكان تل أبيب.. لقد حاولت إصلاح شأن زوجها زير النساء أكثر من مرة دون جدوى.. وذات ليلة بينما كان واقفاً فى شرفة شقته

المطلة على أحد ميادين تل أبيب فى ساعة متأخرة من الليل.. جذبته الزوجة من قميصه وهى تصرخ فيه أن يختصر المسافات ويطلقها دون فضائح.. لكن «رافى» لم ينطق بكلمة واحدة كعادته.. ظل صامتاً فى برود. بينما راحت الزوجة الشابة تعدد له خطاياه وهى تصرخ: «لقد فضحتنى مع كل صديقاتى.. حتى جاراتى فى هذه العمارة زاغت عيناك عليهن.. هل تريدنى أن أنتحر وأترك لك الدنيا؟!»..

هنا ـ فقط ـ أجابها «رافى» قائلاً: «.. ولم لا ياحبيبتى؟!»..

لكن الزوجة الشابة لم تعلق عند هذا الحد.. انسحبت من الشرفة.. وقبل أن تختف عن أنظار زوجها همست بصوت مسموع:

ـ «.. لن ينفع معك سوى «إيريك» أيها الوغد».

ثار الزوج يريد أن يعرف من يكون «إيريك».. لكن زوجته لم تدع له الفرصة.. دخلت حجرتها وأغلقتها عليها.. وبعد أيام فوجىء «رافى» أن زوجته باعت سيارتها.. بعد أيام أخرى اختفت مجوهراتها.. بل لم تعد الزوجة ترتاد محلات الأزياء الراقية وأصبحت تكتفى بالفساتين والأحذية رخيصة الثمن.. كل هذا من أجل أن توفر نفقات «إيريك» هذا المخبر السرى الذى فتح ملف خيانة زوجها فى مكتب من مكاتب ضبط الخيانة فى تل أبيب!

وفى النهاية بكى «رافى» بشدة عندما أدرك أنه خسر كل شىء.. خسر زوجته والرهان معاً!

ولن ينتهى الأمر بحكم الطلاق الذى تصدره المحكمة!

سوف يكون باقياً لإتمام هذا الطلاق أن ينطق به الزوج بنفسه كما تأمر بذلك الشريعة اليهودية!

وخلال العام الواحد تنظر المحاكم الإسرائيلية أكثر من ١٥ ألف قضية طلاق.. ومعنى ذلك أن حوالى خمسين زوجة إسرائيلية يطلبن الطلاق أمام المحاكم مع طلعة كل نهار جديد!..

ومعنى ذلك - أيضاً - أن كل زوج خائن سوف يمشى فى شوارع إسرائيل وهو يتلفت فى كل الاتجاهات مذعوراً من متابعة المخبرين والكاميرات وأجهزة التسجيل الحديثة!

ومثله تفعل الزوجة الخائنة.. لكن فى أحيان كثيرة يكون إثبات الخيانة مستحيلاً حتى باستخدام أحدث أجهزة التكنولوجيا..

لهذا لجأت مكاتب ضبط الخيانات إلى توفير عدد كبير من الحسناوات الساحرات للإيقاع بالأزواج ثم تسجيل لحظات الخيانة معهم.. أو عدد آخر من الشبان الأصحاء الأقوياء أصحاب الوسامة والأناقة والفحولة للإيقاع بالزوجات ثم إثبات خيانتهن بأيسر الطرق..

إلا أن مثل هذه الخيانة التى «تفبركها» المكاتب باهظة الثمن.. وتصل فاتورتها أحياناً إلى مائة ألف دولار!

- لكن كيف يكون الأمر لو قضت المحكمة للزوجة بالطلاق ثم رفض الزوج أن ينطق به ليصبح طلاقاً شرعياً؟!

أشهر قضية طلاق!

الإجابة مثيرة للغاية.. وتكشف عنها أشهر قضية طلاق فى إسرائيل..

إنها قضية السيدة «رائيل» التى أصبحت أشهر من كثير من القضايا السياسية داخل إسرائيل!

فعندما تفاقمت المشاكل بينها وبين زوجها.. ووصلت إلى الطريق المسدود.. خلعت «رائيل» عن قلبها كل المشاعر الحلوة التى كانت تحملها بين ضلوعها.. داست على عواطفها وتنكرت لحياة زوجية دامت سنوات طويلة تحت سقف واحد سواء فى اليمن حيث تزوجت.. أو فى إسرائيل حيث هاجرت وعاشت باقى عمرها مع زوجها الذى كان يكبرها بسنوات.. وأحبها حتى النخاع!

طلبت «رائيل» الطلاق.. وأصرت عليه!

كان أمامها طريقان للطلاق كما تنص الشريعة اليهودية لا ثالث لهما..

الطريق الأول لابد للمرأة أن تتنازل فيه عن كرامتها وتعلن على رؤوس الأشهاد أنها أصبحت ذليلة.. كسيرة الخاطر.. مهيضة الجناح..!

لابد أن تدخل على زوجها حيثما يكون جالساً على أحد مقاعد بيت الزوجية.. بينما تفترش هى الأرض تحت قدميه.. ثم تقوم بخلع حذائه برقة.. ثم تخلع جوربه فى انكسار.. وتنظر نحو الأرض وهى مقهورة.. مذلولة.. تنتظر أن يتحرك لسان زوجها هامساً لها بكل كبرياء:

- أنت طالق!

لامانع من أن يوجه الزوج الدعوة إلى أقاربه لحضور هذا المشهد المهيب التى تتحطم خلاله صخرة كبرياء الزوجة التى تمسك حذاء زوجها بإحدى يديها.. وجوربه فى اليد الأخرى!

«رائيل» رفضت بشدة هذا الطريق.. بل أقسمت برأس أبيها ألا تتنازل عن لحظة كبرياء واحدة.. مهما كان الثمن.. ومهما كان شأن الرجل الذى لم تعد تطيق الحياة معه بين جدران أربعة!

لم يعد أمام «رائيل» غير الطريق الثانى.. ولم تكذب خبراً!

ذهبت إلى المحكمة الحاخامية فى تل أبيب.. أو كما يطلقون عليها «بيت الدين».. قابلت الحاخام.. طلبت الانفصال عن زوجها شرعاً.. حاول الحاخامات تهدئتها.. نصحوها ألا تتسرع.. حذروها من خراب البيت اليهودى الذى كان سعيداً..

لكن «رائيل» استطاعت بمهارة فائقة أن تكسب قضيتها أمام رجال الدين اليهودى بالمنطق والدموع معاً.. حكت قصتها.. ظلت تروى الجحيم الذى أشعل زوجها نيرانه فى مشاهد رق لها قلب الحاخامات!

قالت أنها كانت تعيش طفولتها السعيدة فى اليمن حتى طلبتها التعاسة فى بيت الطاعة.. لقد زارهم رجل عجوز ـ بالنظر إلى عمرها الطفولى ـ وطلب يدها من أسرتها.. كانت تقترب حينئذ من عامها الرابع عشر.. ثم كانت المفاجأة ذات مساء حينما سمعت والدها يعلن للعريس موافقته على زواج ابنته الوحيدة تحت ضغط الحياة الصعبة التى يعيشها أهل العروس!

.. أخذها العريس من بين صديقاتها الصغار اللاتى كن يلعبن معها فى الشارع إلى بيت الزوجية.. عرفت المسئولية والحمل والولادة والوقوف فى المطبخ ساعات طوال بينما كانت لازالت تشتاق إلى اللهو بعروستها الصغيرة.. تستيقظ من عز النعاس لترضع صغيرها.. أو تعد العشاء لزوجها.. أو يعتقلها هو بين أحضانه فكأنها بين أنيابه فوق فراش الزوجية!..

وتؤكد «رائيل» أنها حاولت كثيراً أن تحتمل وتتحمل حتى بعد أن هاجرت مع زوجها وولديها إلى إسرائيل.. حاولت أن تكذب عينيها وقلبها وتغض البصر عن عيوب زوجها..

كانت ترجوه وتتوسل إليه أن يصلح من حاله كيلا يخطف الخراب سعادة صغيرهما.. لكنه كان سريع الوعود وسريع النسيان!.. عقب كل مشادة يعلن عن مولد شخص جديد بلا عيوب ولا أخطاء.. كانت رائيل تصدقه فى كل مرة.. إلا أنه فى نفس الليلة يسترد الزوج شخصيته القديمة.. يقسو عليها.. يضرب أولاده.. يدارى عجزه الجنسى بافتعال المشاجرات معها طوال الليل..

لقد انتهى عمره الافتراضى كرجل بعد ست سنوات من الزواج!

أصابت الشيخوخة أنياب الرجولة التى لم تعد قادرة على إسكات زوجته.. أو إقناعها باستمرار الحياة الزوجية!..

قالت «رائيل» أن الشهود يدركون كم عانت معه سنوات طويلة.. لم تفكر فى خيانته لحظة واحدة.. لم تيأس فى إصلاحه مرة واحدة.. كانت مستعدة لنسيان أنيابه وإطفاء نار الأنوثة التى تأكل جسدها الجميل كل ليلة.. كان شرطها الوحيد أن يكون زوجها أباً مثالياً لأبنائه.. يمنحهم عطفه وحنانه وينفق وقته وجهده على تربيتهم وتعليمهم اليهودية والعبرية..

كان منطق «رائيل» مقنع للعامة والخاصة.. فهى امرأة تبحث عن الاستقرار والسعادة الزوجية لأسرتها بينما تضحى هى بحقوقها الزوجية كأى امرأة فى الحياة.. ولم يكن مطلوباً منها أن تظل فى هذا الجحيم باقى عمرها.. بعد أن دفنت شبابها.. وكرهت بيتها.. وتألمت لدموع أطفالها!

.. وقضى الحاخامات بطلاق «رائيل»!

.. لكن المشكلة لم تنته عند هذا الحد.. فالطلاق ـ طبقاً للشريعة اليهودية ـ له طقوس وإجراءات دينية لابد من استكمالها.. وإلا كأن الطلاق لم يكن.. وكأن حكم الحاخامات ماهو إلا حبر فوق الأوراق!

أول هذه الإجراءات أن ينطق الزوج بلسانه بطلاق زوجته تأكيداً لحكم الحاخامات.. وإلا تم وضعه خلف أسوار السجن حتى يفيق إلى نفسه ويطلب زوجته ثم يلقى عليها يمين

الطلاق!.. أما باقى الطقوس التى تلزم بها الشريعة اليهودية ويحرص المتدينون الأرثوذكس فى إسرائيل على تطبيقها بحذافيرها فتتلخص فى توثيق هذا الطلاق الذى تم وفقاً للشريعة، بحيث تتم كتابة وثيقة الطلاق بريشة طائر على ورق برشمان!

وكانت المفاجأة.. حينما ضرب زوج «رائيل» بحكم الحاخامات عرض الحائط.. ورفض أن يطلق زوجته.. قالوا له: «سوف تدخل السجن!».. رد عليهم: «.. السجن أرحم من أن تخرج رائيل من عصمتى وبيدى ولسانى!».. قالوا له: «.. لقد كرهت زوجتك الحياة معك!».. ورد عليهم: «.. لكنى لم أكره الحياة معها بعد!».. قالوا له: «الحاخامات أدرى منك بحكم الدين».. فأجابهم: «.. وأنا أدرى منهم بشئون بيتى!».. وضعوا القيود فى يده فلم يهتز.. أدخلوه السجن فلم يتراجع.. أخبروه خلف الأسوار العالية أن زوجته سوف تفضحه فى الجرائد والمجلات وعليه أن يستجيب للعقل.. ضحك وهمس لهم إن زوجته لو نفذت هذا السلوك فإن الناس سيكرهونها.. سوف يتعاطفون معه لأنه ليس مطلوباً من الزوج الذى يحب زوجته أن يستجيب لعقله ويخرب بيته.. ويتغاضى عن قلبه.. فينطق لسانه بحكم الإعدام على حب عميق!

ذهب إليه الحاخامات أيام السبت.. اصطحبوه من السجن إلى حائط المبكى والأماكن المقدسة ربما يستيقظ ضميره الدينى.. ويتذكر ربه.. ثم يخضع للتوراة وأحكام التلمود فيستجيب لطلاق زوجته.. لكن زوج رائيل كان يعود عقب كل زيارة وهو أكثر إيماناً بيهوديته.. وأكثر إصراراً على زوجته!

مضى عام.. والزوج داخل السجن..!

انشغل الرأى العام بقضيته.. انقسم المجتمع اليهودى إلى فريقين.. المتدينون يلومون الزوج بعنف.. والمتحررون استكثروا جبروت الزوجة.. وقسوة قلبها.. قالوا إنها لاتصلح أماً.. ولاحتى زوجة!.. نساء كثيرات جعلن رائيل قدوة ومثلاً أعلى لهن.. ورجال كثيرون كرهوا سيرتها.. أو حتى سماع اسمها.. البعض أرسل إلى الزوج داخل السجن يقول له: «.. أنت رجل عظيم.. من الأفضل أن تخسر حريتك على أن تخسر رجولتك!».. بينما علقت الزوجة فى دهاء قائلة: «إنهم لايعرفونه مثلى.. ولهذا يتحدثون عن رجولته!».

وتمضى السنوات.. عاماً بعد عام.. نسى الناس قضية طلاق «رائيل».. لكن كان هناك من أصحاب الذاكرة الحديدية من يسأل دائماً عن الزوج.. وكانت الإجابة تأتى بلا تغير فى كل مرة: «إنه داخل السجن يتمتع بصحة جيدة».. حتى هؤلاء أصحاب الذاكرة التى لاتخون صاحبها أبداً نسوا مع الوقت هذا الزوج الذى بدأت الشيخوخة تزحف إليه خلف الأسوار العالية!

فئة واحدة لم تنس الزوج.. إنهم الحاخامات الأرثوذكس الذين لم يتراجعوا عن حكم «الهلاشا» وتطبيق شريعة اليهود على هذا الزوج المتمرد.. كان واضحاً أن سلوك الزوج وتسلطه هو أكبر دفاع عن حكم تطليق زوجته التى عانت طويلاً من هذا السلوك!.. لكن الشريعة اليهودية كانت تدفع الحاخامات ـ أيضاً ـ إلى زيارة زوج رائيل أسبوعاً بعد أسبوع.. وعيداً بعد عيد.. ومناسبة بعد أخرى.. رتلوا التوراة إلى جواره.. دعوه للصلاة والاستغفار والتوبة..

نصحوه أن يبعد الشيطان عن نفسه ويشترى حريته ورضاء الرب.. فبمجرد نطقه بالطلاق سيتم الإفراج عنه فى الحال..

لكن الرجل العنيد الذى جاوز الستين عاماً كان يبكى بحرقة ثم يقول: «.. إذا كانت رائيل تنتظر الطلاق لتتزوج من آخر فلتتوجه إلى الرب ثم تدعو بقلب خالص لأموت!.. أما فى حياتى فلن ينطق لسانى به أبداً!».

يأس الحاخامات.. ويأست الزوجة!

مضت خمسة وثلاثون عاماً والرجل داخل السجن..!

أصبحت رائيل فى عمر لايسمح لها بزواج جديد.. كبر الأولاد وتزوجوا.. بينما بلغ الزوج أرذل العمر بعد أن تجاوز عمره الثمانين عاماً!.

فجأة.. ساءت صحة الزوج.. سارع الأطباء إلى السجن.. وقف رجال الدين حول سريره يحثونه على التوبة وتطليق زوجته قبل أن يحصد غضب ربه وروحه تتأهب للصعود إلى السماء.

نظر إليهم الزوج للحظات ثم همس قائلاً: «انقلوني إلى المستشفى».. لم يرفضوا طلبه.. على الفور طارت به سيارة الإسعاف إلى واحدة من أكبر مستشفيات تل أبيب.. ويحاول الحاخامات من جديد مع زوج رائيل.. إنها الفرصة الأخيرة ليكفر عن ذنوبه وعصيانه لرجال الدين وتمرده على أحكام التوراة والتلمود.. لكن أحد الواقفين حول سرير زوج رائيل ينظر إلى الآخرين في حزن.. ويتراجعون جميعاً.. لقد فهموا من النظرة الحزينة أن الزوج قد مات!

وهكذا أغلقوا فى إسرائيل ملف أشهر قضية طلاق على الطريقة اليهودية.. إلا أن ملف الطلاق اليهودى لن يغلق أبداً.. بل ستظل الحكايات الغريبة للمطلقات لسنوات طويلة قادمة بلا حل.. أو نهاية.. طالما ظل الشعب اليهودى المتدين تحت راية الحاخامات الأرثوذكس..

والشعب اليهودى المتحرر من قيود الدين الثقيلة تحت راية حاخامات الإصلاح الذين يرون أن التوراة يجب أن تتغير أحكامها مع تغير الزمن بحيث تواكب متطلبات العصر!.. ولعل المطلقات وهن فئة من فئات الشعب اليهودى فى عمومه يدفعن ثمن الخلاف الكبير بين المعسكرين.. رغم أنهم جميعاً يهود قلباً وقالباً!

ولنأخذ مثالاً آخر من حالات الزنا!

يرى يهود حركة الإصلاح أن الطلاق بين الزوجين يمكن أن يتم بالانفصال الجسدى.. أو الانفصال المدنى.. وفى هذه الحالة إذا زنت الزوجة أثناء طلاقها المدنى وأنجبت ابناً أو ابنة كثمرة لجريمة الزنا.. فإن هذا الولد يكون ابناً شرعياً.. ويعتبر الزنا فى مقام الزواج الثانى!

.. بينما يرى اليهود الأرثوذكس أن الطلاق لم يقع ولم يتم.. فليس هناك فى الشريعة اليهودية مايعرف بالانفصال المدنى أو الجسدى.. وبالتالى فإن الأبناء فى مثل الحالة السابقة سوف يعتبرون «أولاد غير شرعيين».. حتى لو كانوا خارج إسرائيل أولاداً شرعيين طبقاً ليهود الإصلاح فى أوربا!



مثال آخر.. تأخذ فيه المطلقة حكم العاهرة!

تمنع الشريعة اليهودية رجال الدين كالحاخامات والكهنة من الزواج من المحولات لليهودية والمطلقات والعاهرات..

هن جميعاً فى خندق واحد.. والكاهن أو الحاخام الذى يتزوج من مطلقة أو عاهرة أو امرأة محولة للدين اليهودى يكون قد ارتكب ذنباً كبيراً.. قد يؤدى فى النهاية إلى حرمانه من شرف اعتناق الدين اليهودى!

ولعل قضية السيدة «بولا» من أشهر القضايا هى الأخرى داخل دولة إسرائيل.. بلد العجائب والغرائب!

«بولا» شابة جميلة عاشت طفولتها وشبابها المبكر فى ألمانيا.. لم تكن بولا يهودية بالمعنى الشرعى لأن أحكام التوراة حددت بوضوح أن اليهودى هو كل مولود من أم يهودية.. حتى لو كان ميلاده ثمرة اغتصاب أو سفاح!..

فالأبناء لاينتسبون إلى آبائهم.. فإذا كان الزوج يهودياً والزوجة غير يهودية فإن أبناء هذه الأسرة لايمكن اعتبارهم من اليهود!

وعندما صدر قانون العودة فور قيام دولة إسرائيل كان ضرورياً أن يحدد من هو اليهودى الذى يمكنه الهجرة إلى أرض الميعاد ليحصل على الجنسية الإسرائيلية فور وصوله داخل إسرائيل!.. ولكى تشجع حكومة إسرائيل آلاف اليهود فى الهجرة من كل بقاع العالم إلى إسرائيل تم تعديل القانون ليصبح تعريف اليهودى هو المولود لأم يهودية أو المحول إلى الديانة اليهودية.. بشرط أن يكون تحويله على يد حاخام أصولى!..

وهنا قامت عاصفة لم تهدأ للآن.. وامتلأت بيوت الدين والمحاكم الشرعية والمدنية بعشرات الحكايات المثيرة والغريبة التى نتناولها فى موضع آخر من هذا الكتاب..

المهم أن الآنسة «بولا» عاشت فى ألمانيا وعيونها على إسرائيل.. كان حديث جدها اليهودى عن أرض الميعاد يفجر فى صدرها شوقاً حاراً لاتعرف مبرراته.. شغلتها القضية

اليـهـودية منذ نعـومـة أظافـرها.. وحـتى مـات جـدها فـتـوقـفت حكاياته التى ظلت تدغـدغ مشاعرها ردحاً من الزمن!..

قررت بـولا أن تسافر إلى إسرائيل.. أن تعيش التجربة بنفسـها.. وتتأكد من كل كلمة سـمـعتـها من جدها العـجوز الراحل.. التحقت هناك بأحد المعسكرات لمدة تزيد على ثلاثة أشـهر.. بعد ذلك التحقت بمدرسة لتعليم اللغة العبرية.. ثم تشجعت أكثر فالتحقت بإحدى المدارس الدينية التى تعلم التلمود.. لقد وجدت نفسـها بلا مقدمات أمام الديانة اليـهودية وجهاً لوجه.. بل قالت بالحرف الواحد: «لم يكن فى استطاعتى أن أشعر بمتعة الحياة فى إسرائيل دون أن أكون يهودية».

ولأن الحب لاتوقيت له.. ولامنطق.. ولاعقل..

وقعت بولا فى غرام «كوهين»..

لم تستطع التمييز بين حبها لكوهين وعشقها للديانة اليهودية.. لقد جرفها التيار إلى الغرامين معاً.. فى توقيت واحد..

لكنها أخفت غرام كوهين فى قلبها.. بينما أفصحت عن عشق اليـهودية.. بل وحدد لها الحاخامات موعداً فى «بيت الدين» بتل أبيب حيث يجرى تحويلها إلى اليهودية فيما يشبه حفلات العرس!

داخل بيت الدين نزلت بولا إلى الحمام المقدس!

كانت الشابة الجميلة واعية لكل إجراءات التحويل.. لكن سعادتها جعلتها لاتفكر كثيراً فيـمـا يحـدث.. لقد جلست أمـام الحـاخـام الذى تولى تحـويلـهـا قـبل أيام من نزولـهـا إلى «المغطس» المقدس.. وقبلت سـاعـتـهـا كل شـروط الحـاخـام وهى تكاد تقفـز من السـعـادة.. أقسـمت على التوراة ألا تغادر إسـرائيل.. وأن تحترم يوم السبت.. ولاتأكل من طعام غير اليهود لأنه طعام غير طاهر!

بعـد لحظات من نزول «بولا» فى الحـمـام المقـدس نظرت إلى أعلى وهى ترتجـف فى

لحظة لن تتكرر فى حياتها مرة أخرى.. كان فى أعلى المعبد ثلاثة حاخامات يقفون فى اتجاه بولا وينظرون نحوها وهى تنغمس فى المياه المباركة طبقاً لطقوس الديانة اليهودية.. وتخرج بولاً لتسمع الحاخامات الثلاثة وهم يهمسون لها: «مرحباً بك وسط الشعب اليهودى».

تقول بولا: «إن تلك اللحظات كانت أحلى وأروع لحظات عمرها.. لكن المفاجآت لم تكن قد ظهرت بعد»!

ذهبت بولا إلى الحاخام الذى تولى تحويلها منذ البداية لتحصل على شهادة تثبت يهوديتها.. وبالفعل حصلت على الشهادة التى وقعها الحاخام «جوريون» وكانت مذيلة بعبارة «لاتسرى هذه الشهادة خارج إسرائيل»..

المقصود ـ طبعاً ـ من هذه العبارة ألا تصبح شهادات التحويل وسيلة تحايل وجسراً لليهودية يسارع المتحول باستخدامها خارج إسرائيل ولايلتزم بخدمة أرض الميعاد!

قررت بولا أن تتزوج من كوهين بعد حصولها على شهادة التحويل.. وغيرت اسمها من بولا إلى ناعومى..

لكنها بدأت تصطدم بالعقبات التى أطارت النوم من عينيها!

أخبروها أنه طبقاً للقانون فى إسرائيل لن تتمكن من الزواج من كوهين بالذات!.. صرخت «هو حبيبى.. ولن يملأ رجل آخر فى العالم كله.. مكانه فى قلبى!»..

قالوا لها: «نأسف ياسيدتى.. لقد أصبحت يهودية وعليك واجب الالتزام بأحكام وشرائع دينك الجديد.. كوهين ممنوع من الزواج من أى مطلقة!»..

قاطعتهم تسأل فى غضب:

● لكنى لست مطلقة!

■ ليس له أن يتزوج من مطلقة أو عاهرة!

قاطعتهم من جديد تكاد تفقد صوابها:

● لكنى لست عاهرة!

■ ليس له أن يتزوج من مطلقة أو عاهرة أو محولة للدين اليهودى!

بكت بولا.. التى أصبح اسمها ناعومى.. انهمرت دموعها بحرقة.. كيف يساوون بينها وبين العاهرة؟!

لماذا تأخذ حكم إنسانة بلا شرف.. وهى التى تحرص على شرف الزواج!

أخيراً نصحوها بأن تسافر خارج إسرائيل.. أى دولة من دول أوروبا حيث يعيش اليهود التابعون لحركة الإصلاح.. هناك يمكنها أن تتزوج ممن تشاء.. إنهم لايتمسكون في حركة الإصلاح بحذافير التوراة والتلمود كما يحدث داخل إسرائيل من اليهود الأرثوذكس.. لم تكذب بولا خبراً.. طارت إلى إنجلترا مع حبيبها كوهين حيث تم الزواج فى أحد المعابد اليهودية الإصلاحية!

وتتنفس بولا الصعداء بعد زفافها.. لقد كانت حاملاً فى شهرها الثالث دون أن يعلم أحد.. لكنها تعود على الفور إلى إسرائيل بصحبة زوجها الذى ينتمى إلى طائفة الكهنة المحظور عليهم الزواج إلا طبقاً لأحكام الشرع اليهودى..

تنجب بولا ولداً ثم تنجب بنتاً.. وتعيش فى سعادة غامرة حتى يكبر الطفلان.. وتأخذهما الأم لتقدم لها فى المدرسة.. لتنفجر مفاجأة جديدة لم تحسب لها الأم الشابة حساباً من قبل..

أخبروها أن المدرسة اليهودية لن توافق على قبول الطفلين لأن زواجها باطل!

ولأنها تركت إسرائيل وجاءت لتعيش فى إنجلترا.. وتلحق أولادها بالمدارس هناك!

ثارت الأم.. وطاشت منها الكلمات.. وراحت تبحث عن حل مع الحاخامات اليهود فى إنجلترا.. لكن دون جدوى.. اهتمت وسائل الإعلام اليهودية فى جميع أنحاء العالم بقضية

بولا.. ويخرج الحاخام «جوريون» عن صمته ويفتح النار على الأم الشابة التى أشرف على تحويلها إلى يهودية..

قال الحاخام: إن بولا كذبت عليه مرتين.. حينما أخفت عنه أن لها صديقاً من رجال الدين.. وأنها حامل منه.. وعندما أقسمت على التوراة ألا تغادر إسرائيل وغادرتها إلى إنجلترا لتعيش هناك وتلحق أولادها بمدارسها.. وقال الحاخام أن العيب ليس فى اليهودية ولكن فى السيدة ناعومى.. أو بولا سابقاً!

انقسم الرأى العام الإسرائيلى من جديد!

معسكر الأرثوذكس يهاجم السيدة بولا التى هجرت أرض الميعاد رغم أنها أقسمت على التوراة بالحياة فيها.. واحترام التعاليم الشرعية.. وهاجمها المتدينون دون تطرف باعتبارها تزوجت من كوهين رغم الحظر الشرعى!

ولم يسلم كوهين هو الآخر من الغمز واللمز.. والنقد اللاذع سواء كناية أو صراحة.. أما معسكر العلمانيين وأتباع حركة الإصلاح وهم ليسوا بقلة داخل إسرائيل فقد وقفوا إلى جوار بولا التى أصبحت صورتها وأخبارها تملأ صحف إسرائيل وأوروبا.. بل أضحت قضيتها مادة خصبة لوسائل الإعلام الإنجليزية واليهودية.. فالسيدة لاتريد أن تتنازل... تصر على أن من حق أولادها أن يتعلموا فى المدارس اليهودية.. وتعلن أنها ستحارب من أجل قضيتها العادلة حتى لو كلفها ذلك عمرها.. لكن حاخامات انجلترا ينصحونها بأن تفعل ماتشاء.. لكن من هناك.. من داخل إسرائيل!

فجأة.. يتقدم كبير الحاخامات بحل لإنقاذ مستقبل الطفلين..

لابد من طلاق بولا وكوهين.. ثم يتم تحويل بولا من جديد إلى اليهودية.. بحيث يختفى كوهين من حياتها تماماً.. لقد كان التحذير واضحاً: «هناك من سيتولى مراقبتكما.. والجزاء سيكون عسيراً لو ثبت أن الطلاق كان شعاراً.. مجرد ستار لحل المشكلة!»..

تصرخ بولا فى تحدٍ صريح.. تعلن أنها لن توافق على الطلاق تحت أى ضغط.. ولن تمكنها الحياة إلا مع كوهين..

قالوا لها: «إذن عودى إلى إسرائيل لتسرى هذه الشهادة هناك!»..

إلا أن بولا تصر على أن من حقها أن تكون يهودية فى أى مكان فى العالم.. فمن العبث أن تتحكم ورقة فى مشاعر الإنسان نحو الدين الذى يختاره.. ومن الظلم أن يحرم أبناء هذا الإنسان من حقوق أطفال آخرين فى سنهم.. يهود مثلهم.. متدينون مثلهم.. يرغبون فى التعليم ودراسة التوراة.. لكن إجراءات إدارية تقف حائلاً أمام مستقبلهم وديانتهم..

أصبحت بولا هى سيدة الساعة فى إسرائيل.. وفى كل التجمعات اليهودية بشتى أنحاء العالم.. خاصة حينما انبرى الحاخام «جوريون» ليعلن على الملأ قراره المثير بإلغاء زواج بولا من كوهين.. وإلغاء تحويل بولا إلى الديانة اليهودية!

وهكذا سحبوا الديانة اليهودية من الأم الشابة.. وأرسلت تل أبيب وثائق حاخاماتها إلى المحاكم الإنجليزية التى تنظر قضية بولا..

وتقول الوثائق بوضوح وعلنية أن زواج كوهين من بولا.. باطل!

لكن يهود حركة الإصلاح مدوا أيديهم بسرعة إلى الأم الشابة.. قبلوا طفليها فى مدارسهم وسمحوا لها بارتياد معابدهم مع أسرتها.. لكن بقيت مشكلة أخرى أخطر بكثير من كل ماحدث.. لكنها ستنفجر بعد سنوات قليلة.. وبالتحديد حينما يكبر الطفلان.. ويقرران مثل أى يهودى الهجرة إلى إسرائيل.. لن تعترف إسرائيل بأنهما من اليهود.. لأن طائفة اليهود الأرثوذكس هى التى تتولى تنظيم هذه المسائل داخل إسرائيل.. سيكون ضرورياً فى هذه الحالة أن تتم عملية تحويل جديدة للأبناء!

هذه القضية مازالت ساخنة داخل إسرائيل..

البعض ينتقد النتيجة التى انتهت إليها.. لأنه غير مضمون حينما يكبر الطفلان أن يظل حماسهما لليهودية.. والبعض يرى أنها ناقوس خطر يدق بشدة لينذر إسرائيل بأنها قد تنفجر من داخلها.. دون حروب مع العرب.. ودون أن تنقذها الأسلحة النووية.. لأن وجود شعبين مختلفين تحت راية واحدة سوف يؤدى حتماً إلى الانفجار!

ومازالت هذه القضية تسبب حرجاً وجرحاً عميقاً للمطلقات من ناحية أخرى.. فلا يمكن الحديث عن ظروف بولا ومأساتها دون الرجوع إلى أساس المشكلة..

وهو حرمان رجال الدين من الزواج من العاهرات أو المطلقات أو المحولات لليهودية.

فأى واحدة من هؤلاء لاتستحق شرف الارتباط العائلى برجل دين يهودى!

هذا هو
اليهودى..!

«يؤمن اليهودى بأن الله واحد لاشريك له.. لكنه حينما يصلى يقوم ويقعد، يصرخ ويبكى، يركع ويسجد..! حرام عليه أكل لحم الأرانب والجمال!.. حلال له اغتصاب غير اليهودية وحرام عليه الزواج منها.. ولاتتطهر المرأة من الحيض إلا بالانغماس فى الحمام المقدس.. ولاتتطهر بعد الولادة إلا بتقديم خروف وحمامة قرباناً للرب! ويحق لها طلب الطلاق فى حالة العجز الجنسى لزوجها!

ومن النصائح التى توجه للرجل نصيحه تقول:

«لاتمش بين خنزيرين أو كلبين أو امرأتين!»

كان مطلوباً من الشاب الألمانى «كروجر» أن يثبت يهوديته داخل إسرائيل.. وبالتالى يذهب إلى «بيت دين» للمثول أمام لجنة ثلاثية من الحاخامات.. ثم يخلع ملابسه!

بعدها تتجه عيون الحاخامات إلى عورة الشاب المهاجر للتأكد من أنه قد أجرى عملية الختان.. وأصبح من اليهود.. ومن حقه أن يذهب إلى المعابد ويحضر احتفالات عيد الفصح!

اليهود المهاجرون هم الذين تصيبهم نظرات الشك وحدهم من حاخامات إسرائيل.. هم الذين يحتاجون ـ دائماً ـ إلى إثبات يهوديتهم.. وأحقيتهم فى الانضمام إلى شعب الله المختار.. لهذا لم يعد غريباً أن تجد «بيت الدين» ـ وهو المحكمة الدينية التى يرأسها الحاخامات ـ مشغولاً بمثل هذه الاختبارات قبل اعتبار المهاجر إلى إسرائيل يهودياً..

ومن هذه الإجراءات انغماس المهاجر فى الحوض المقدس.. وإعلان قبوله للوصايا العشر.. والتزامه بشريعة موسى عليه السلام والعمل بالكتاب المقدس..

عموماً.. سوف تجد اختلافات كثيرة بين اليهودى المعاصر الذى هاجر إلى إسرائيل.. واليهودى المعاصر الذى يعيش داخل إسرائيل أصلاً.. لكن مهما اختلف الاثنان فى صفات وأشياء كثيرة، فإن الطقوس الدينية سرعان ماتجمع بينهما..

فالشريعة اليهودية تجعلك تميز.. وبسرعة شديدة ـ هذا اليهودى المتدين عن باقى خلق الله سواء وهو يصلى أو يصوم أو يقدم القرابين أو يقرأ كتابه المقدس.. وسواء كان ينتمى إلى فرقة الربانيين أو القرائين أو السامريين أو أى طائفة أخرى!

سوف تميز اليهودى حينما يأكل طعامه.. أو يتطهر من نجاسة.. أو يتحدث عن ربه..

وسوف تميزه حينما يتحدث عن غير اليهود باعتبارهم حيوانات نجسة وقذرة.. أو عن المرأة باعتبارها أم الخطيئة فى العالم، فاليهودى مطالب بألا يسير بين كلبين.. أو بين خنزيرين.. أو بين امرأتين!

وهذه رحلة سريعة فى حياة المتدينين اليهود داخل إسرائيل..

والغريب أننا فى الوقت الذى نرى فيه يهوداً يكرهون العرب كراهة الموت.. سوف نرى يهوداً آخرين يكرهون إسرائيل ويتهمون الصهيونية بالوثنية والتعدى على حقوق الرب!..

ولنبدأ الرحلة من مكانها الطبيعى من المعبد اليهودى الذى يسمى «الكنيس»!

الصــلاة

يصلى اليهودى ثلاث مرات فى اليوم:

صلاة السحر: وهى تقابل فى الإسلام صلاة الفجر.. وهى الصلاة التى تحدد التوراة زمانها بالوقت الذى ينكشف فيه اللون الأبيض من اللون الأزرق من أول ضوء للنهار.

صلاة القيلولة: وتقابل فى الإسلام - أيضاً - صلاة الظهر وتبدأ من الوقت الذى تنحرف فيه الشمس عن نقطة الزوال فى السماء.

صلاة الغروب: وهى الصلاة الأخيرة وتقابل فى الإسلام صلاة المغرب.. ووقتها قصير لأنها تبدأ مع غروب الشمس واختفائها وراء الأفق إلى أن تسود ظلمة الليل.

ولاتجوز صلاة الجماعة اليهودية إلا إذا وصل عدد المصلين إلى عشرة، فلا تجوز بأقل من هذا العدد.. بينما يكفى فى صلاة الجماعة فى الإسلام أن يقوم بها اثنان يتولى أحدهما الإمامة.. لكن يتولى الإمامة فى صلاة اليهود الجماعية الحاخام أو الحزان.. وهو الشخص الذى يقوم بتلاوة المزامير.. أو أى شخص آخر ينوب عنهما..

وقبلة اليهود فى اتجاه جبل الهيكل فى القدس.. بينما قبلة المسلمين فى اتجاه بيت

الله الحرام بمدينة مكة المكرمة بالسعودية.. ويجب الفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة.. تغطى النساء رؤوسهن، ويضع الرجال فوق رؤوسهم طاقية صغيرة فى النصف الخلفى من الرأس، يتم تثبيتها بدبوس أو مشبك.. وتسمى «الكبة» ويطلق عليها ـ أيضاً ـ «القلنسوة».. ولايشترط فيها لون محدد فقد تكون سوداء أو زرقاء أو بيضاء.

وتعتمد صلوات اليهود على حركات كثيرة أثناء الصلاة منها مايثير فضول غير اليهودى ويجذب انتباهه بشدة..

فاليهودى يركع فى صلاته ويسجد.. ويقوم من مكانه ويقعد.. وينفخ فى البوق.. ويصرخ ويبكى بعنف!.. واليهودى له أن يقوم بصلاة خاصة بمفرده وقتما يشاء.. وحيثما يشاء.. ولكنه يؤدى صلاة الجماعة لغرضين.. طلب البركة من الرب.. أو الدعاء لله.. والله سبحانه وتعالى له ثلاثة أسماء عند اليهود:

● الأول هو اسم «ايلوهيم» ويقصد به رب العالمين.. أى رب اليهود وغير اليهود من خلق الله..

● والاسم الثانى «يهوه».. ويقابل فى الإسلام وصف «هو».. ويعتقدون ـ كما جاء فى التوراة ـ أن الرب لم يعلن عن اسمه هذا لأى نبى من أنبياء اليهود قبل موسى.. وأنه اختص به موسى وحده.. والغريب أن اليهود يحاولون عدم استخدام هذا الاسم ويرمزون له ببعض الحروف أمام غير اليهود حتى لاينطق به أحدهم فيدنس الاسم المقدس!

● أما الاسم الثالث فهو «أدوناى».. وهو اسم يعنى أن الله واحد لاشريك له واستخدمه اليهود ليتجنبوا النطق بالاسم المقدس «يهوه».

أثناء الصلاة ـ أيضاً ـ يقوم بعض المتدينين بوضع حزام يفصل بين القلب فى النصف الأعلى من الجسد وبين العضو الجنسى فى الجزء الأسفل كما تأمرهم التوراة!

ويقرأ الحاخام صلاة الجماعة جزءاً من التوراة كل أسبوع.. بحيث يتم الانتهاء من كل التوراة بالجزء الأخير منها فى صلاة الأسبوع الأخير من السنة.. والحاخام يقابل عالم

الدين فى الإسلام.. والقسيس فى المسيحية.. لكنه فى اليهودية ليس وسيطاً بين الرب والعباد.. فهو يقدم المواعظ ويشرح التوراة والتلمود.. ويدعو للفقراء والمحتاجين والمهمومين..

وأهم مكان فى «الكنيس» أو المعبد اليهودى هو تابوت العهد..

وتابوت العهد صندوق من الخشب المغطى بالذهب.. وفى كل ركن من أركانه حلقة مستديرة من الذهب.. وفى داخله توجد الوصايا العشر على لوحين وعصا هارون ووعاء المن..

ويمكن وضع عمود من الخشب داخل كل حلقتين من الحلقات الأربع حتى يمكن حمل تابوت العهد.. أما محتويات التابوت فهى لوحا الوصايا العشر التى أنزلها الله على موسى.. وعصا هارون التى ترجع حكايتها إلى الوقت الذى شعر فيه موسى بأن أجله يقترب من النهاية فأراد أن يختار من بين قومه من يكون الكهان من سلالته.. فأمر قومه بأن يضرب كل منهم عصاه فإذا أنبتت إحدى العصى كان لصاحبها هذا الشرف.. وضرب القوم كل بعصاه فلم تنبت إلا عصا هارون.

أما وعاء المن.. فهو الوعاء الذى كان ينزل فيه الطعام من الرب إلى بنى إسرائيل أثناء رحلة التيه فى صحراء سيناء فى أعقاب هروبهم من مصر ونجاتهم من فرعون وبطشه.. كان المن ينزل عليهم من السماء طوال أيام الأسبوع ماعدا يوم السبت.. فقد كان الرب ـ كما يعتقدون ـ يضاعف لهم المن فيكفيهم يومين عندما ينزل عليهم طعام الجمعة.. فالسبت هو راحة الرب!

لقد ضم تابوت العهد هذه الأشياء المقدسة الثلاث.. لوحا الوصايا العشر وعصا هارون وإناء المن.. واحتفظ به اليهود فكان قرة أعينهم.. يتباركون به.. ويحملونه فى الحروب.. ويضعونه فى قدس الأقداس داخل المعبد المقدس.. وهو هيكل سليمان..

فلا يحق لمخلوق النظر إليه غير الحاخام الأكبر وفى المعبد الكبير فقط.. ويحكم بالموت على غير اليهودى إذا تطرقت عيناه نحوه!

لكن المعبد تهدم.. ويدعى اليهود أن تابوت العهد وقدس الأقداس موجودان الآن أسفل المسجد الأقصى.. ويقال أنه لن ينام لهم جفن حتى يهدموا المسجد الأقصى بحثاً عن مقدساتهم ولكنهم يحلمون وظهورهم عارية!

ومن أغرب الصلوات اليهودية صلاة يؤديها الرجل فقط..

يشكر بها الله على أنه خلقه رجل ولم يخلقه أنثى.. وتسمى عندهم صلاة شكر الذكر!

ولايقترب من الصلاة غير الشخص الطاهر.. بل يجب على هذا الشخص الطاهر أن يغسل يديه وقدميه جيداً..

ويتأكد من طهارة ونظافة ملبسه.. ثم يقضى وقتاً قبل الصلاة يستجمع فيه تركيزه ويبعد عن ذهنه أى شرود أو سرح أو تفكير يشتت فكره.. بعد ذلك يقوم إلى صلاته وهو يرتدى «شال» الصلاة فوق كتفيه.. وهو شال مصنوع من القماش الأبيض.. وفى نهاية كل ركن من أركانه الأربع توجد ثمانية خيوط منسوجة.. أربعة منها من اللون الأبيض.. والأربعة الأخرى من اللون الأزرق.. وإلى جانب الشال توجد أيضاً «التفلين» وهى علبة من الجلد بداخلها جزء من التوراة.. وتثبت هذه العلبة على شريط من الجلد يلف حول الجبهة أثناء الصلاة بحيث تكون العلبة على منتصف الرأس.. وبعض اليهود يلفونها ـ أيضاً ـ حول الأيدى عملاً بالنص التوراتى الذى يقول عن التفلين:

ـ «... واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك»..

أما أجزاء التوراة الموجودة داخل العلبة هى جزء من سفر العدد.. وجزءان من سفر تثنية الاشتراع..

ـ وهكذا يلعب اللون الأزرق فى صلاة اليهود دوراً ملحوظاً.. فهو ضمن ألوان شال الصلاة.. وهو لون قبة المعابد.. وهو لون تمييز صلاة السحر عن باقى الصلوات..

طعام اليهودي

طعام اليهودى غير طعام باقى خلق الله!

يعتقد اليهود أن طعامهم يجب أن يكون حلالاً وطاهراً.. لأن غير اليهود طعامهم نجس ومدنس.. والطعام الطاهر فى نظر اليهود وطبقاً للتوراة يجب أن يخضع لقواعد وشروط غاية فى الأهمية تسمى فى مجموعها «كاشروط»!

ومن هذه القواعد:

● فيما يتعلق باللحم الطاهر.. أو كما يمسونه «الكوشير».. يجب أن يقوم بالذبح جزار شرعى يسمى «الشوحيط» ويقوم بالذبح عن طريق شق القصبة الهوائية والمرىء ثم التخلص من كل الدماء باستخدام الملح أو الغسل بالماء.. فإذا سالت دماء فوق الأرض يجب أن تغمر بالتراب..

ويشترط حضور أحد الحاخامات لعملية الذبح.. ويقوم هذا الحاخام بالتوقيع على اللحم المعد للبيع بأنه حلال.. ومن هنا كان سر ارتفاع سعر اللحوم الطاهرة «الكوشير» حيث يضاف إلى ثمنها نفقات الإشراف الدينى على عملية الذبح..

● الحيوانات الجائز ذبحها وأكلها وكذلك الطيور.. هى ذوات الأربع.. ولايكون لها أنياب.. ويكون لها أظلاف مشقوقة..

ونتيجة للقاعدة السابقة يكون لحم الجمال محرماً.. وكذلك لحم الأرانب.. وتبلغ قمة التحريم فى لحم الخنزير..

تقول التوراة: «.. والأرنب فإنه يجتر ولكنه غير مشقوق الظفر فهو رجس لكم».. وهو نص من سفر الأحبار.. الإصحاح الحادى عشر بالآية السادسة..

وقالت التوراة فى نص آخر بنفس السفر والإصحاح ولكن فى الآيتين السابعة والثامنة: «.. والخنزير فإنه ذو ظفر مشقوق، ولكنه لايجتر، فهو رجس لكم.. لاتأكلوا شيئاً من لحمها وميتها.. ولاتمسوا فإنها نجسة لكم..»..

وقد حدث أن قامت إحدى الجهات بتربية مجموعة من الخنازير لأغراض علمية إلا أنه قامت قيامة المتدينين والأحزاب المتشددة.. ولم تهدأ العاصفة إلا حينما وافقت هذه الجهة على وضع فاصل من الخشب السميك بين الأرض والخنازير حتى لايتسبب مشى الخنازير فوق أرض إسرائيل فى تدنيسها!

● ولايجوز الجمع بين منتجات اللحوم والألبان فى وقت واحد.. لابد أن يكون هناك فاصل زمنى لا يقل عن سبع ساعات.. فلا تضم المائدة ـ مثلاً ـ لحماً وزبادى!

● جميع السلع التى تدخل فيها عدة مكونات يجب أن تحمل توقيع الحاخام على أنها حلال لم يتخللها أى شبهة.

رغم القواعد السابقة فإن اليهود الأشكناز (المهاجرون من ألمانيا وبولندا وروسيا) لايأكلون لحماً تم ذبحه تحت إشراف حاخام من يهود السفارديم (المهاجرون من أسبانيا)..

كما أن اليهودى الأشكنازى لاياكل من بيت اليهودى السفرديم فى عيد الفصح.. لأن السفارديم يأكلون الخضروات والأرز والفاصوليا فى هذه المناسبة مما لايأكله فيها الأشكناز..

وبالتالى يكون طعام السفارديم وأوانيهم غير طاهرة!

طهارة البدن

الطهارة بالعبرية تعنى «طاهاروت».

يعتقد اليهودى أن المعاشرة الجنسية بين الزوجين تسبب النجاسة.. بينما الإسلام يصفها بالجنابة ويستبعد لفظ النجاسة تماماً..

ويعتقد ـ أيضاً ـ أن المرأة الحائض نجسة.. وأن المرأة بعد الولادة تظل نجسة فترة تختلف فى ولادة الذكر عنها فى ولادة الأنثى.

تظل نجاسة الرجل حتى غروب الشمس حتى يتم التطهر بالاستحمام وغمر الجسد كله بالماء.. وهذا طقس يتشابه وحده مع الطهارة فى الإسلام.. ونفس مايفعله الرجل بعد المعاشرة الجنسية ينطبق على الزوجة..

تقول التوراة فى سفر الأحبار [الإصحاح ١٥- الآية ١٦]:

«.. وأى رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميع بدنه بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب.. وأى امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتحضا بالماء ويكونا نجسين إلى المغيب».

لكن المرأة الحائض.. مسكينة!

فهى تظل نجسة فى نظر اليهود طوال فترة الحيض وسبعة أيام أخرى بعد الحيض وقبل التطهر.. كل شىء تمسه يصبح نجساً.. فإذا مضت فترة الحيض والسبعة أيام يجب أن تذهب إلى الحمام المقدس وتغمر جسدها فيه حتى تعود إليها طهارتها!

وتكاد تكره المرأة الحائض نفسها خلال فترة «الطمث» لأن قائمة الممنوعات والمحرمات عليها لاتعد ولاتحصى.. فمثلاً يظل الفراش الذى تنام عليه نجساً.. وكذلك مقعدها الذى تجلس فوقه.. وإذا لمسها زوجها أو ابنها تنتقل إليه النجاسة.. وكذلك كل من يلمس فراشها.. ولا حل لمن يرتكب هذا الخطأ الفادح إلا أن يسارع بالاستحمام وغسل ثيابه لأنه سيظل نجساً حتى غروب الشمس.

ولايختلف حال المرأة فى فترة النفاس بعد الولادة عن حالها فى فترة الحيض..

تقول التوراة فى سفر اللاويين بالإصحاح الثانى عشر:

«.. وكلم الرب موسى قائلاً.. كلم بنى إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها.. وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته.. ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً فى دم تطهيرها.. كل شىء مقدس لاتمس.. وإلى المقدس لاتجىء حتى تكمل أيام تطهيرها.. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها.. ثم تقيم

ستة وستين يوماً فى دم تطهيرها.. وبعدئذ تأتى إلى الكاهن بخروف وفرخ حمامة أو يمامة.. فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها».

وهكذا لاتكون طهارة المرأة بعد الولادة بالانغماس فى الحمام المقدس فحسب كما فى طهارتها من الحيض.. وإنما بتقديم خروف وحمامة يذبحهما الكاهن أمام الرب.

الصوم

فى التوراة صوم محدد، من لايلتزم بالقيام به لايعد يهودياً ويخرج عن شعب الله المختار.. هذا الصوم يسمى صوم الكفارة.. وقد تعرض اليهود للانتقام من أعدائهم فى هذا اليوم بالذات فى أكثر من معركة لأنه يوم انقطاع عن كل عمل وتفرغ تام للعبادة..

وتقول التوراة فى سفر الأحبار:

«.. أما العاشر فى الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة.. محفلاً مقدساً يكون لكم تذللون فيه نفوسكم وتقربون وقيدة للرب.. وفى هذا اليوم عينه لاتعملوا عملاً.. لأنه يوم كفارة يكفر فيه عنكم بين يدى الرب إلهكم.. فكل إنسان لايذلل نفسه فى هذا اليوم عينه يقطع من شعبه».

وإذا كان يوم الكفارة يحفل بهذه القداسة باعتباره يوم نجاة اليهود مع موسى عليه السلام من الهلاك فى مصر على يد فرعونها.. فإن هناك أنواع أخرى من الصيام يقوم بها اليهود على سبيل التطوع والدعاء والبركة والتعبير عن الحزن أو الخوف.. فمثلاً عند وفاة شخص عزيز يقوم أهله أو أصدقاؤه أو محبوه بالصوم بعد دفنه.. فقد جاء بالتوراة:

«.. وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة التى فى بابيتش وصاموا سبعة أيام».

ومن اليهود فى إسرائيل من يصوم تكفيراً عن ذنب ارتكبه ويقترن هذا الصوم بقيام الشخص بمسح جسده بالزيت..

يقول الكتاب المقدس فى العهد القديم:

« .. فلما سمع آحاب هذا الكلام مزق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً وصام وبات فى المسح ومشى ناكساً»..

ويتضح من ذلك النص فى سفر القضاة أن مرتكب الذنب الذى يريد التكفير عن ذنبه سنة عن آحاب يقوم بأكثر من عمل إلى جانب الصوم:

- يمزق ملابسه.

- يدهن جسده بالزيت حتى الصباح.

- يمشى منكس الرأس.

ويصوم اليهودى - أيضاً - تقرباً لله لشفاء مريض كما كان يفعل داود عليه السلام.. ومنهم من يصوم فى المحن أو الكوارث.

قواعد وآداب الجنس

فى المعابد اليهودية «الحديثة» داخل إسرائيل بدأت الدعوة إلى تخفيف حدة الجنس بين الأزواج الشبان.. وهناك مواعظ تتلخص فى:

- عدم إطالة اللقاء الجنسى بين الزوجين.
- تجنب الأزواج لأن يصبح اللقاء الجنسى مصدر لذة للزوجات.. وموعد يحرص عليه كل مساء!
- القيام بالعملية الجنسية مرة واحدة فى الأسبوع وعدم الإفراط فى عدد اللقاءات الأسبوعية.
- الذهاب إلى المعابد أفضل من الالتصاق بجسد الزوجات على فراش واحد!

رغم هذه القواعد والمواعظ يحرص المتدينون والمتشددون فى الديانة اليهودية على العودة إلى أحكام العهد القديم وأحكام الجنس وزيادة النسل اليهودى وتشجيع الزواج حتى لكبار السن والعواجيز الذين يفقدون زوجاتهم بالموت أو بالانفصال..

وهم يرجعون دائماً إلى نصوص وأحكام الكتاب المقدس سواء كان التوراة أو التلمود.. ومن هذه الأحكام:

● ضرورة التكاثر بين الزوجين عملاً بقول التوراة:

ـ «باركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها».

● يسمح للزوجة بالطلاق فى حالة العجز الجنسى لزوجها.. ويسمح بالطلاق للزوج إذا كانت زوجته باردة أو تعانى مرضاً يعوقها عن أداء الجنس بالصورة المطلوبة!

ومن باب أولى يسمح للزوج بطلاق زوجته إذا رفضت الجنس معه.

● اليوم المناسب للقاء الجنسى بين الزوجين هو ليلة الجمعة.

● عدد مرات اللقاء الجنسى الأسبوعى فى التلمود لاتقل عن لقاءين لأصحاب الحرف من الأزواج.. ولاتقل عن مرة واحدة لأصحاب الفكر والمثقفين.. ويستحسن أن تزيد اللقاءات عن ذلك..

● وإذا أردت أن تقرأ جنساً عارياً فالعهد القديم ملىء بالنصوص الجنسية خاصة فى أناشيد سليمان كما يعتقد اليهود.. ومنها:

ـ تصف المرأة حبيبها قائلة فى النشيد: «.. بين ثديى يبى».

ـ وتصف المرأة نفسها وهى تشتاق للجنس قائلة:

«.. كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين النبين.. تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى.. أدخلنى إلى بيت الخمر وعلمه فوقى.. اسندونى بأقراص الذبيب.. أنعشونى بالتفاح، فإنى مريضة حباً.. شماله تحت رأسى.. ويمينه تعانقنى»..

- وتقول أيضاً:

«.. فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى.. وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرض حتى أدخلته بيت أمى.. وحجرة من حبلت لى»! وتقول أيضاً:

«قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه؟»

● وتصف المرأة حبيبها مرة أخرى فتقول:

«ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدة من أبريز.. طلعته كلبنان.. حلقه حلاوة.. وكله مشتهيات».

● ويصف الرجل حبيبته قائلاً فى نشيد سليمان بالكتاب المقدس:

«.. دوائر فخذيك مثل الحلى صنعه يدى صناع.. سرتك كأس مدورة لايعوزها شراب ممزوج.. بطنك صبرة حنطة.. ثدياك كخشفتى توأمى ظبية.. ماأجملك وماأحلاك أيتها الحبيبة باللذات.. قامتك هذه شبيهة بالنخلة».

● ويمضى الوصف حتى يصل لذروة اللقاء الجنسى فيقول:

«.. وثدياك بالعناقيد.. قلت أنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها.. وحنكك كأجود الخمر.. لحبيبتى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين.. هنالك أعطيك حبى»!

الكتاب المقدس

كنت أعتقد حتى وصولى إسرائيل أن الكتاب المقدس لليهود هو التوراة والتلمود.. لكنى بعد أيام من وصولى دولة اليهود أدركت أن معلوماتى قاصرة وناقصة.. وأننا لانعلم عن معتقداتهم الدينية شيئاً مما يعرفونه هم عن معتقداتنا الدينية!

قرأت.. وسألت..وتعلمت.. وناقشت.. ووضعت يدى على أمهات الكتب عندهم..

وترجمت العديد من الوثائق وأوراقهم التاريخية إلى أن تبلور فى ذهنى مايجب على كل عربى ومسلم ومسيحى ومصرى أن يكون فى متناول يده..

الكتاب المقدس عندهم جزءان: العهد القديم والتلمود..

ـ العهد القديم: ينقسم العهد القديم إلى أجزاء ثلاثة:

١ ـ التوراة:

ويطلق عليها اليهود الناموس.. وتعنى كلمة التوراة بالعبرية «الهداية».. ويعتقد اليهود أنها نزلت على موسى مكتوبة من الرب.. ويعتقد آخرون أن الرب أوحى بها إلى موسى فتولى كتابتها بنفسه.. وتتكون التوراة من خمسة أسفار كل سفر مكون من عدد من الإصحاحات «أقسام» وكل إصحاح يضم عدداً من الآيات..

وأسفار موسى الخمسة هى سفر الخروج والتكوين واللاويين والعدد وتثنية الاشتراع.

٢ ـ سفر الأنبياء:

ويضم ثلاثة أسفار.. أسفار الأنبياء الأوائل الكبار أمثال يشوع وصموئيل.. وأسفار الأنبياء الكبار التاليين للأوائل كسفر أشعيا وسفر أرميا وسفر حزقيال.. ثم أسفار الأنبياء الصغار مثل أسفار عاموس ويونان وميخا وزكريا.

٣ ـ الكتابات والأناشيد:

وهى أسفار تضم المزامير والأمثال ونشيد الإنشاد وسفر أستير ودانيال وعزرا..

والواضح تاريخياً أن أجزاء العهد القديم اشترك فى كتابتها المئات ومن مختلف الفئات والطوائف.. ويرجح أن يد التحريف دخلت عليها بالإضافة والحذف.. فهناك تناقضات صريحة وواضحة سواء من حيث الأحكام الشرعية أو من جيث الصياغة..

وإذا كان المسيحيون يعتبرون أن الإيمان بالعهد القديم هو جزء لايتجزأ من إيمانهم بالعهد الجديد المتمثل فى الأناجيل المسيحية.. فإنهم لم يأخذوا بكل مايأخذ به العهد القديم الذى فى يد اليهود.. فالمسيح قال للمسيحيين أنه لم يبعث لينقض وإنما بعث ليتمم..

أى أنه عليه السلام لم يأت لهدم العهد القديم وإنما جاء ليضيف عليه.. لهذا تحتل أجزاء العهد القديم السابقة مكاناً هاماً فى صدور المسيحيين حتى الآن..

ويقال أن التوراة وباقى كتب العهد القديم ضاعت أكثر من مرة عبر التاريخ من يد اليهود..

ويقال إن أهم اكتشافات القرن العشرين كان فى وادى قمران بالقرب من البحر الميت حيث عثر أحد الرعاة أثناء بحثه عن خروف ضائع منه.. عثر داخل إحدى المغارات على بعض لفائف وصحف من العهد القديم ترجع إلى أكثر من ألفى عام مضت.. وعلى الفور قامت إسرائيل فى الخمسينيات من هذا القرن بتحويل الوادى كله إلى منطقة بحث وتنقيب حتى تم العثور على باقى العهد القديم فى أكثر من خمسة عشر مغارة من مغارات الوادى.. وسميت هذه الاكتشافات فى كتب التاريخ بلفائف البحر الميت.. بينما يسمى اليهود كتب العهد القديم بأجزائه الثلاثة «التناخ»..

أما نسخة التوراة الوحيدة الباقية من عهد موسى عليه السلام والتى قيل إنها نزلت مكتوبة من الرب أو أوحى بها الرب إلى موسى فكتبها.. هذه النسخة الوحيدة يعتقد اليهود اعتقاداً راسخاً أنها موضوعة داخل تابوت العهد الذى يضم عصا هارون ووعاء المن.

٤ – التلمود:

التلمود هو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود.. ويعتقدون أنه شريعة موسى الشفوية وغير المكتوبة.. وتعنى كلمة التلمود فى العبرية «التلميذ».. وهى اشارة إلى التلمذة على يد أنبياء الرب..

لكن كيف انتقلت الشريعة من موسى إلى اليهود المعاصرين رغم أنها كانت شفاهة.. ولم تكن مكتوبة؟

يقول اليهود أن الرب أوحى بها إلى موسى عليه السلام ونقلها موسى إلى أخيه هارون ومنه إلى أليعازر ثم إلى يشوع ثم باقى أنبياء اليهود حتى وصلت إلى أعضاء «السنهدرين» وهو «المجمع العظيم».. ويتكون من سبعين حبراً من كبار رجال الدين اليهودى، ويتولى مهام التشريع للأمة اليهودية فى كل مجالات الحياة ويصدر فتاوى غير قابلة للمناقشة.. ومن السنهدرين إلى كبار الحاخامات الذين قرروا كتابة هذه الشريعة الشفوية حتى لاتندثر وتضيع مع الزمن.. ومن هنا عكف على كتابة التلمود أكثر من ٥٠٠ حاخام واستغرقوا حوالى ٥٠٠ عام حتى انتهوا من كتابته!

.. وإن كان يقال إنهم أضافوا واختلقوا وقائع لاتمت لموسى عليه السلام بصلة كان أخطرها العداء الرهيب لكل ماهو غير يهودى.. خاصة موقفهم من المسيح عليه السلام وأمه السيدة العذراء مريم..

فهم يعتبرون أن المسيح عليه السلام ابن زنا ـ حاش لأنبياء الله ـ وأن أمه ولدته سفاحاً بعد أن زنى بها أحد الجنود ويدعى بندار!

والتلمود يتكون من جزئين:

(أ) **المشناه:** وهى بإيجاز تفسير وشرح التوراة.

(ب) **الجمارا:** وهى تفسير التفسير.. أى خلاصة المناقشات والآراء التى دارت بين الحاخامات أثناء تفسيرهم للمشناه التى تفسر بدورها التوراة!

والمشناه فى اليهودية مكونة من أجزاء ستة.. و٦٣ بابا و٥٢٥ فصلاً وآلاف الفقرات.. أما الأقسام الستة فهى قسم يتحدث عن قوانين الزراعة والأرض ويسمى «زراعيم».. وقسم يتحدث عن الأعياد والطقوس والمناسبات ويسمى «موعد».. وثالث يتحدث عن العقوبات والجرائم الجنائية والمدنية ويسمى «نزيقين».. ورابع عن المرأة والزواج والخيانة والمواريث

وباقى أمور الأحوال الشخصية ويسمى «ناشيم» وتعنى بالعبرية النساء.. وقسم خامس عن الأمور الدينية والقرابين والنذور ويسمى «قداشيم» وتعنى بالعبرية المقدسات.. والقسم الأخير «طهاروت» ويعنى كل أنواع الطهارة سواء للأجساد أو الأشياء.. وماهو الحلال وماهو النجس وماهو الحرام..

والتلمود نفسه كتابان:

(أ) **التلمود البابلى:** وهو الأكثر اعتماداً واكتمالاً فى أحكامه.

(ب) **التلمود الأورشليمى:** أى تلمود القدس «أورشليم» وهو الأقل من ناحية اكتماله.

عموماً ينظم التلمود حياة اليهودى منذ استيقاظه من النوم وحتى نفس هذه اللحظة من اليوم التالى.. كل كبيرة وصغيرة فى الحياة يناقشها.. ويقدم الحكم الشرعى فيها.. لكن أخطر ماأصاب اليهود من جراء هذا التلمود تلك الحرب التى أعلنتها ضدهم أوروبا وبلدان العالم بسبب موقف التلمود من غير اليهود بشكل عام.. واعتبارهم حيوانات قذرة ونجسة وعبيداً لشعب الله المختار.. وبشكل خاص من المسيح ومريم العذراء اللذين أهانهما التلمود بشكل سافر..

ففى بعض دول أوروبا خلعوا عنهم لقب المواطن أثناء فترة شتاتهم، وبعض هذه الدول مع بعض الدول العربية كالجزائر أمرت اليهود بارتداء ملابس من لون معين.. أو أحذية بلا كعوب حتى يمكن تمييزهم عن باقى الشعوب.. واتخاذ الحيطة والحذر منهم!

بل تعرض اليهود فى روسيا نفسها لاضطهاد لامثيل له.. وانتهكت أعراض نسائهم هناك.. كما فتح عليهم هتلر أبواب جهنم وقام بحرقهم فى أفران الغاز بسبب تلمودهم..

فماذا فى هذا التلمود من أحكام؟!

تعالوا نجوب فى جولة سريعة مع بعض الأحكام التى نص عليها التلمود:

● وهب الله اليهود حق السيطرة والتصرف بدماء جميع الشعوب وماملكت.

- وبالنسبة لمطالبة الأغيار حق استملاك أى شىء، فإن مايملكون هو كالأراضى المشاعة فى الصحراء التى ليست ملكاً لأحد.

- الاستيلاء على مايملكه غير اليهودى عمل له مسراته دائماً.

- محظور عليك أن تسرق أخاك اليهودى ولكن من حقك أن تسرق غير اليهودى.

- تقديمك هدية إلى غير اليهودى إثم عظيم.. ولكن يسمح لليهودى أن يعطى الصدقات لفقراء غير اليهود وعيادة مرضاهم والتعزية بموتاهم، وذلك لخلق جو من الوئام بحيث يخيل إلى الأغيار بأن اليهود أصدقاء طيبون لأنهم يعبرون عن مشاعرهم الطيبة.

- إذا فقد غير اليهودى شيئاً فمن حق من يعثر عليه الاحتفاظ به وحرام إعادته.

- فى يوم كول حامود يحرم القيام بأى نشاطات عملية ويسمح فقط بتعاطى الربا مع غير اليهود لأن التعامل معهم أمر يسرّ الرب فى أى وقت.

- فى يوم الحمان على جميع اليهود أن يؤدوا الصلاة والحمد للرب فى دعاء «أرون حمان» الذى يقول: «ملعونة هى جميع الشعوب ومباركة هى أمة اليهود».

- يجب على اليهودى السعى دائماً لغش المسيحيين.

- من يفعل خيراً للمسيحيين فلن يقوم من قبره قط.

- اليهود بشر لهم إنسانيتهم، أما الشعوب والأمم الأخرى فهى عبارة عن حيوانات.

- أرواح غير اليهود من الشيطان، تماماً كأرواح الأغنام والحيوانات، ونطفة غير اليهودى كنطفة الحيوان.

- كل النساء غير اليهوديات مومسات.

- الزواج الذى يتم بين غير اليهود لاقيمة له، وليس له حرمة الرباط الزوجى.. والعمليات الجنسية التى يمارسها هؤلاء الأزواج كالعمليات الجنسية التى يمارسها

الحصان مع آنثاه.. لذلك فإن الأولاد الذين يظهرون إلى الوجود ثمرة لهذه العلاقات لايمتون لأى صلة إنسانية إلى آبائهم أو أمهاتهم.

● يحل لليهودى اغتصاب غير اليهودية ولكن يحرم عليه الزواج منها.

● يحل اغتصاب الطفلة غير اليهودية متى بلغت من العمر ثلاث سنوات.

● لاتنقذوا حياة المسيحيين خشية عقاب الموت.

● إبادة المسيحيين تضحية ضرورية.

● يجب تخفيض نسبة الموالين عند المسيحيين.

● كل غير يهودى يقدس يوم الأحد وجب قتله دون أى سؤال.

● إذا قتل غير اليهودى رجلاً يهودياً أو غير يهودى فهو مسئول وتجب محاكمته.. أما إذا قتل يهودى رجلاً غير يهودى فهو غير مسئول ولايحاكم.

● حتى أفضل شخص من الأغيار يستحق الموت.

● يحق قتل اليهودى المرتد عن دينه أينما كان، حتى وإن كانت ردته مجرد نية.

● من يسفك دم غير يهودى فإنه إنما يقدم قرباناً للرب.

● إذا افتتن يهودى بوثنية وجب قتله.

● غير اليهودى الذى يدرس التلمود.. واليهودى الذى يساعده على ذلك يجب قتلهما.

● من المحرم إدخال غير اليهودى إلى المجتمعات اليهودية وإطلاعه على أسرار القوانين اليهودية.. واليهودى الذى يبذل وقته فى هذا السبيل يرتكب إثماً عظيماً.. وهو كمن ترك العالم كله يضيع من بين يديه دون فائدة، أو كمن كفر بالرب المقدس.

● ضرر المتحولين إلى اليهودية كضرر القرحة فى الجسم السليم.

● الحيوان الذى يذبحه غير اليهودى أو اليهودى المرتد يعتبر حيوانا ناقلاً للأوبئة.

● محظور على اليهودى الشرب بكوب نبيذ مسه من قبل غير يهودى.. لأن لمسة هذا الأخير للكوب دنسته.

● خلق اليهود ليخدمهم غير اليهود الذين عليهم أن يزرعوا ويفلحوا ويبذروا ويحفروا ويحلبوا ويحزموا وينحلوا.. أما اليهود فقد خلقوا ليكون كل هذا جاهزاً ومهيئاً تحت تصرفهم.

● من تضاجع حيواناً ـ كالكلب ـ يحق لها أن تتزوج قسيساً.

الغريب والمثير والذى لم أجد له تفسيراً هو تلك النصوص التى تحث اليهود فى التوراة على حب الأغراب مثل «أحبوا الأغراب فقد كنتم أغراباً فى مصر».. ثم هذا العداء للأغيار الذى قالوا به فى التلمود.

طوائف اليهود

لكن موقف الطوائف اليهودية من التلمود لم يكن واحداً!

هناك إجماع تام من كل اليهود على الإيمان بالعهد القديم وتقديسه.. لكن المسألة تختلف إزاء التلمود.. وهذه فرصة جديدة للتعرف على هذه الطوائف اليهودية ومعتقداتها.

الربانيون:

أكثر الطوائف اليهودية تشدداً فى الدين وكراهية لغير اليهود.. ويسمون أنفسهم ـ أيضاً ـ بالناموسيين نسبة إلى التوراة.. ويتخرج منهم الأحبار والحاخامات المغالون فى أصول الدين.

القراءون:

هذه الطائفة تؤمن بالتوراة فقط.. ولاتؤمن بالتلمود.. وتعتبر التلمود كلاماً لم يصدر

عن الرب أو موسى عليه السلام.. وكانوا أقرب الطوائف اليهودية للدخول فى الإسلام.. ومعظم أبناء هذه الطائفة يعيشون فى بئر السبع وأشدود والرملة.. ويبلغ تعدادهم فى إسرائيل خمسة عشر ألف يهودى.. ولايتزاوجون إلا من بين أبناء الطائفة.. ولهم محاكم شرعية خاصة بهم.

السامريون:

هذه الطائفة يعتبر أبناؤها أنفسهم اليهود الحقيقيين..

لايؤمنون إلا بالتوراة.. ويرفضون التلمود.. ويعتقدون أنهم من نسل سبط سيدنا يوسف عليه السلام ونجليه منشيه وإفراييم..

والمكان المقدس عندهم هو جبل جريزيم، ويؤمنون بأنه كان مقر الهيكل الحقيقى.. ويوجد الآن من السامريين حوالى ٦٠٠ شخص فقط يعيشون فى فئتين تقطن إحداهما مدينة «حولون» بينما تسكن الأخرى مدينة نابلس العربية.. وتتكلم هذه الطائفة اللغة العربية، وقليلاً مايستخدمون العبرية فى بعض الطقوس الدينية.

الصدوقيون:

وكانوا أكثر الطوائف اليهودية ثراء.. ولايؤمنون بالتوراة المكتوبة.. ومن معتقدات هذه الطائفة عدم الإيمان بيوم القيامة أو الجنة أو النار أو وجود الشياطين والملائكة ولا بالخلود بعد البعث ولا بالقضاء والقدر.

الفريسيون:

وهم طائفة تسمى فى إسرائيل ـ أيضاً ـ بالحسيديم وهم من غلاة التشدد فى أحكام الدين.. ويؤمنون بكل مالا يؤمن به الصدوقيون فهم يؤمنون بالقيامة والجنة والنار والقضاء والقدر والملائكة والشياطين.. كما أنهم يؤمنون بالتوراة والتلمود معاً.. ولهم فى إسرائيل مدارسهم الخاصة وزيهم وملابسهم الخاصة.

أسرار وهموم القدس!

«.. يكتب اليهود رسائل إلى الرب.. ويضعونها فى شقوق حائط المبكى.. الذى يتكون من ثلاثة أقسام.. قسم للبكاء وآخر للمناسبات وثالث للتأملات!..

وفى المسجد الأقصى فتحة تضع فيها يدك ثم تخرجها فتشم فيها رائحة أجمل عطر.. لقد لمست يدك موضع قدم النبى محمد عليه الصلاة والسلام فوق الصخرة التى صعد منها للسماء ليلة الإسراء والمعراج!.. أما طريق الآلام فما زال يحمل ذكريات اللحظات الأخيرة فى حياة المسيح عليه السلام.. مكان المؤامرة التى اتفق فيها اليهود على إعدام المسيح.. والمكان الذى قبضوا عليه فيه بقبلة الخيانة!

ثم دار رؤساء الكهنة.. ودار الوالى الرومانى.. ومحاكمة المسيح.. ثم حكاية «الجلجثة» وكنيسة القيامة.. ودير السلطان».

القدس هى أورشليم.. عاصمة الأديان الثلاثة!

ومن لم يزر مدينة القدس.. فاته نصف عمره!

فى القدس الدنيا غير الدنيا.. سوف تأخذك المدينة المقدسة بين أحضانها الدافئة منذ الوهلة الأولى.. سوف تسقط منك كل الأشياء التى تشغل فكرك أو تنغص عليك حياتك.. لن تفكر فى البيت أو الأولاد أو العمل.. سوف تضع رأسك فى أى مكان وتنام ساعات طويلة بعمق حتى لو كنت تعانى الأرق منذ سنوات!.. كأن على أبواب المدينة يقف حراس لاترهم العيون يخلعون عن الزائرين كل حزن وهم وفكر.. وحراس آخرون يخلعون عليهم ثوب الطمأنينة والسعادة والاستقرار النفسى!

بين أرجاء القدس سوف تشهد أعظم أسرار الكون.. وأدق أسرار العالم.. هنا جبل صهيون بكل حكاياته وأساطيره.. وهناك تفوح رائحة عطر نفاذ من فوق المكان الذى لمسته قدم النبى محمد عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج.. هنا طريق الآلام الذى مشى فيه المسيح عليه السلام بعد عشائه الأخير.. ولقائه الأخير بحوارييه!.. هنا المسجد الأقصى ومغارة الأنبياء ذات القبلتين.. وهناك كنيسة القيامة وقبر المسيح كما يعتقد المسيحيون.. وبين هنا وهناك حائط المبكى.. حيث يحج اليهود وتنهمر دموعهم ويضعون رسائلهم إلى الرب بين شقوق الحائط!

فى شوارع القدس يمشى الشيوخ والقساوسة والحاخامات.. وتفوح رائحة الحب والكراهية.. تسمع دقات الحروب وترى زيتونة السلام.. وتمر على قلعة داود عليه السلام ومسجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

رسائل إلى الرب!

طلبت أن يكون أول مكان أذهب إليه هو المسجد الأقصى.. لكننى فوجئت بأن الطريق إلى المسجد الأقصى يمر بكنيسة القيامة وحائط المبكى.. وأن المسافة الزمنية بين مكان صلب السيد المسيح كما يعتقد المسيحيون والمكان الذى عرج منه النبى محمد عليه السلام إلى السماء فى ليلة الإسراء لاتزيد عن عشرين دقيقة!

تحركت من المكان الذى أقيم فيه حوالى السابعة صباحاً.. وماأعظم القدس فى هذا الوقت.. وكل وقت.. البيوت أثرية لاتزيد عن أربعة طوابق.. مبنية كلها من الحجر الأبيض.. أبوابها على شكل بوابات واسعة نصف مستديرة.. الطراز المعمارى القديم يثير الشجن ويحرك القلوب.. الوجوه كالفاكهة الصابحة.. واللغة العربية هى سيدة الموقف دائماً!

نسيت أن أخبركم أننا الآن فى القدس الشرقية.. وشتان الفارق بينها وبين القدس الغربية اليهودية لحماً ودماً!.. كل اليهود يعتبرون القدس بشقيها عاصمة أبدية لهم.. هكذا تقول كل أوراقهم الرسمية.. وصحفهم.. ووسائل إعلامهم.. وجماعاتهم وأحزابهم الدينية.. جعلوا فيها مقر حكومتهم.. ومقر الكنيست.. وملأوا الدنيا صراخاً بأن القدس لن تكون يوما إلا عاصمتهم!

لكن العرب يفسدون عليهم هذا الحلم دائماً.. ويعلنون أمام اليهود باستمرار أن القدس العربية لن تكون فى يد اليهود وحدهم، حتى لو قامت حرب جديدة أو نشبت حروب أخرى مع نهاية القرن العشرين أو بدايات القرن الواحد والعشرين!

عيون العالم كله على القدس!

مفاوضات السلام التى تراقبها الدنيا بقاراتها الست لن تتم إلا بعودة القدس للسيادة العربية.. ولو وصل «نتنياهو» إلى قمة السلطة فى إسرائيل فربما يصاب السلام بنكسة.. وربما ـ أيضاً ـ يذبح «الليكود» حمامة السلام على مرأى ومسمع من العالم كله!

كل هذه الأفكار كانت تدور بخاطرى وأنا أشق طريقى أولا إلى حائط المبكى.. إلى هذا المكان الذى سمعنا عنه كثيراً.. ولانعرف عنه إلا قليلاً..

كنت أسير فى الشارع الضيق الذى يبدأ من أول باب الخليل ويمتد بكل تفرعاته حتى بوابة المسجد الأقصى.. شارع ممتلىء بالسياح من كل الجنسيات.. لايوجد متر واحد إلا فوقه محل أو متجر أو فاترينة لتغيير العملة.. كل أصحاب المحلات فلسطينيون تنبعث من متاجرهم أغنيات عبد الحليم حافظ وأم كلثوم ونجاة وفايزة.. لكن هناك أغنيات تنبعث من معظم المحلات.. ويبدو أن الفلسطينيين يعشقونها مثل «غريبة منسية» لنجاة و«غريب يازمان» لفايزة و«حاول تفتكرنى» لعبد الحليم و«لسه فاكر» لأم كلثوم.. أحسست كأنى أمشى فى شارع الموسكى بقلب القاهرة.. لكن سرعان ماتفرض القدس نفسها برائحة الزعتر التى تفوح من محلات العطارة والياميش.. وفاترينات «الكوبيبة» الشامى التى تحل الواحدة منها محل وجبة كاملة وتباع بخمسة شيكلات.. لايخلو الشارع- أيضاً- من محلات الصاغة والفضيات والملابس والفاكهة واللحوم!

وكثيراً ماتهب رائحة الفلافل وهى تقلى فى أوانى الزيت.. أما سندوتشات الحمص أو «الفول» كما نسميه فالسياح يقفون فى طوابير لشرائها!

فجأة انحنى الشارع الضيق.. على ناصية المنحنى يقف جنديان إسرائيليان يحملان المدافع ويرقبان حركة السير وفى أيديهما أجهزة لاسلكية للاتصال بزملائهم عند الضرورة.. كل مائتى متر تقريباً يوجد جنديان إسرائيليان.. وإذا كان هذا المشهد الذى يمثل الاحتلال البغيض يثير الغيظ.. فإن مشهد الجنود الإسرائيليين وهم يتبادلون حوارات ضاحكة مع بعض الباعة العرب يثير الدهشة والاستغراب!

أمام المنحنى بيت عربى فوق جدرانه عبارات الانتفاضة وعبارات السب للإسرائيليين.. وآثار طلقات نارية.. وبعد خطوات قليلة يبدو باب حائط المبكى!

بوابة حائط المبكى تحيطها حراسة مشددة!

استوقفنى جندى إسرائيلى وأنا أهم بالدخول.. نظر إلى الكاميرا ثم قال لى بعد أن شاهد جواز سفرى:

- لن يمكنك التصوير.. لكن يمكنك حمل الكاميرا.. واحذر من التقاط أى صورة.. اليوم السبت!

ظننت أن الأمر انتهى عند هذا الحد.. لكن الجندى نظر إلى سيجارتى المشتعلة ثم أضاف قائلاً:

- من فضلك أطفىء هذه السيجارة.. أو اشربها بالخارج.. يمكنك الدخول وعلبة السجائر فى جيبك.. لكن احذر من إشعال سيجارة بالداخل.. اليوم السبت!

تحرك تخطوات قليلة فوقعت عيناى على حائط المبكى.. أصبحت أمامه وجهاً لوجه.. هنا مشهد من سيناريو التاريخ الذى يعرفه العالم كله.. تذكرت الحادثة الشهيرة التى وقعت فى هذا المكان عام ١٩٢٩.. اصطنع اليهود مشاجرة مع المسلمين فتحول المكان إلى بركة دماء.. مات ١٣١ يهودياً.. بينما توفى فى المعركة ١٥ مسلماً!

أمام هذا الحائط - أيضاً - وقف موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يصلى للرب صلاة شكر بعد هزيمة العرب عام ١٩٦٧.. أمام هذ الحائط يقف دائما رؤساء الحكومات الإسرائيلية وكبار الساسة وكل اليهود لإرسال خطابات إلى الرب!

كل من له أمنية أو طلب أو يرجو المغفرة أو يتوب عن ذنب أو يعترف بخطايا يكتب مايريد فى ورقة ثم يدسها فى شقوق الحائط ليطلع عليها الرب!..

لكن اليهود الذى لايمكنهم الحضور إلى إسرائيل ماذا يفعلون!

أنشأوا فى إسرائيل مكاتب خاصة تتلقى الرسائل البريدية ورسائل الفاكس ويقوم مندوبون عن هذه المكاتب بعد فرز هذه الرسائل والبرقيات من كل أنحاء العالم بحملها إلى حائط المبكى ثم دسها بين الشقوق نيابة عن أصحابها.. ليس مطلوباً من أى يهودى فى العالم غير أن يكتب رسالته ويرسل معها الدولارات المطلوبة لتغطية نفقات توصيل الرسالة إلى المكان الذى يتسلمها فيه الرب!

الحائط يحج إليه اليهود من كل بقاع العالم!

طوله مائة متر وعرضه ٤٥ متراً.. أمامه فناء واسع يتم الفصل فيه بين الرجال والنساء.. هذا الفناء مقسم ـ أيضاً ـ إلى أقسام.. قسم للبكاء على المجد اليهودى الضائع.. وقسم لإقامة الاحتفالات الدينية.. وقسم ثالث للصلاة والتأملات!

لماذا يحج اليهود إلى هذا المكان؟!

لماذا يتعمدون البكاء أمام الحائط الذى تبدو جدرانه وقد امتلأت الشقوق فيها بالرسائل المكتوبة إلى الرب؟!

وماهى علاقة هذا الحائط بهيكل سليمان؟!

الحكاية عمرها أكثر من ألفى وخمسمائة عام.. كان الملك داود نبى اليهود الذى فتح القدس قد قرر بناء بيت للرب فوق جبل صهيون.. لكن ـ كما يعتقد اليهود ـ أمره الله أن يؤجل هذا البناء ليتم على يد ابنه سليمان.. وحينما شرع سليمان عليه السلام فى البناء قرر أن يكون البناء تحفة يتحاكى بها العالم كله.. فاليهود ليسوا أقل من المصريين الفراعنة بناة الأهرامات!

أقام سليمان الهيكل المقدس على شكل خيمة الاجتماع.. فاليهود كان لديهم اعتقاد راسخ طوال ترحالهم عبر سنوات التاريخ أن الرب كان يرافقهم فى عمود من السحاب أثناء سيرهم.. فإذا نزلوا بمكان أقاموا خيمة يقيم فيها الرب ويعبدونه فيها!.. فلما صدر أمر الرب ببناء بيت له يكون فى نفس الوقت مكاناً يعبده فيه اليهود أخذ سليمان الحكيم بفكرة الخيمة لتكون شكلاً للهيكل بعد أن أصبحت القدس فى يد اليهود.. ولم تعد هناك حاجة للترحال!

اشترك فى بناء الهيكل ١٨٠ ألف عامل (!) استقدمهم سليمان من اليهود وغير اليهود كما تقول التوراة.. واستورد ذهب الهيكل من البلاد المجاورة.. والأحجار الكريمة من اليمن.. والأخشاب من لبنان.. واستمر البناء أكثر من سبع سنوات متواصلة حتى خرج الهيكل فى صورة التحفة المعمارية المتلئة بخيرات الله من المجوهرات والأحجار الكريمة فكان من معجزات الزمان فى هذا الوقت!

وكانت تحيط بالهيكل ثلاثة أسوار ضخمة.. السور الخارجى يضم تسع بوابات من الذهب الخالص.. والبوابة العاشرة من النحاس النفيس.. بمجرد الدخول من إحدى هذه البوابات تكون الساحة الخارجية التى تضم سقفاً من خشب الأرز وأكثر من خمسمائة عمود من الرخام الفاخر.. أما الساحة الداخلية فكانت مكاناً للعبادة يضم قدس الأقداس وفيه تابوت العهد المكون من صندوق من الذهب الخالص.. بداخله عصا هارون وألواح الوصاياالعشر ووعاء الطعام الذى كان ينزل على اليهود من السماء فى رحلة هروبهم من مصر عبر سيناء!.. ولايجوز النظر داخل قدس الأقداس إلا للحاخام الأكبر.. ومن يتجرأ على ذلك غير الحاخام يكون عقابه القتل!

فجأة.. استحق اليهود كما يعتقدون أن تنزل عليهم لعنة الرب.. ويتهدم المعبد.. ويختفى من فوق الأرض..!

يعتقد اليهود أن النبى سليمان كان سبب المأساة والميلودرامية.. فهم يروون أنه كان زير نساء وسكير وكلما تزوج من امرأة تفرغ لعبادة الإله الذى تعبده زوجته!!

ومن هنا كانت غضبة الرب وثورته على نبيه الذى تفرغ للنساء وأضاع الرسالة..

فكان قرار الرب بتدمير الهيكل وتشتيت اليهود عقاباً لهم على خطاياهم!..

جاء البابليون بالخراب على القدس.. أشعلوا النيران فى المعبد.. أشاعوا الذعر فى البلاد.. قتلوا النساء والرجال والأطفال.. وأسروا عدداً كبيراً من اليهود.. ولم يتمكن من الهرب غير نفر قليل عاد فيما بعد بمئات السنين!

وأعيد بناء الهيكل المقدس.. لكن اليهود لم يرتدعوا!

حولوا مكان العبادة إلى مكان للتجارة وبيع الطيور والخراف وتبديل العملة.. نسوا أن الهيكل الثانى تم بناؤه بأعجوبة حتى أن البناء نفسه استغرق حوالى خمسين عاماً!.. نسوا ماحدث لهم على يد قائد البابليين فجاء الخراب الثانى.. هاجمهم الرومان.. دمروا المعبد عن آخره.. ضاعت التوراة واختفى تابوت العهد ولم يعد لمكان العبادة المقدس أثر فوق

الأرض!.. كل الذى تبقى جزء من سور الهيكل الخارجى هو الذى أطلق عليه اليهود اسم حائط المبكى.. إنهم يذهبون إلى هناك لتنهمر دموعهم على الهيكل الذى أضاعوه.. والمجد الذى بددوه.. لأنه حينما أمرهم الرب ببناء الهيكل على يد سليمان وعدهم أن تكون القدس عاصمتهم للأبد.. فهم يعتقدون أن الرب كلم النبى داود قائلاً:

ـ «.. فيكون إذا تمت أيامك لتنصرف إلى آبائك.. وأقمت من يليك من نسلك الذى يكون من بنيك وأقررت ملكه.. إنه هو يبنى لى بيتاً وأنا أقر عرشه إلى الأبد».

أشاهد من مكانى أمام الحائط دموعاً فوق وجوه رجال ونساء.. بينما أرى شاباً يهودياً لايبكى.. لكنه يمسك بالتوراة أو يقرأ المزامير بصوت مسموع.. بين لحظة وأخرى يسود الصمت التام ولايبقى غير صوت زقزقة العصافير..

وعلى فكرة يحرم اليهود أى زراعات حول الحائط!

وأخرج من بوابة حائط المبكى بعد نصف ساعة وأفكار عديدة تتزاحم فى عقلى.. هذا المكان الفسيح الذى يشمل حائط المبكى حتى المسجد الأقصى قد يكون سبباً فى حرب بشعة بين اليهود والمسلمين.. قد تكون قريبة.. وربما يكون موعدها مازال بعيداً.. فاليهود يعتقدون أن هيكل سليمان قد اندثر تحت أرض المسجد الأقصى.. ويعتقدون ـ أيضاً ـ أن تابوت العهد مازال موجوداً أسفل المسجد لأنه تابوت مقدس لايفنى!.. حرم المكان الفسيح أصبح الآن يشمل مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى وحائط المبكى..

وهكذا أصبح المكان كله قنبلة موقوتة قد تنفجر فى أى لحظة!.. ولهذا يحاول اليهود كل يوم التفكير فى حيلة لهدم المسجد الأقصى.. وأحياناً يحاول هز أساساته بالحفر أسفله بحجة إقامة أى مشروع لولا أن العرب مازالوا حتى اللحظة يقفون بالمرصاد أمام هذه السلوكيات!

خرجت من حائط المبكى وأعترف أن أى أثر دينى لليهود لم يشغلنى مثلما شغلنى حائط المبكى.. ففى إسرائيل ضريح الآبا فى مغارة «المخييلا» فى الخليل.. وفيها

ضريح موسى بن ميمون فى طبريا.. وقبر راحيل.. وجبل صهيون.. لكن حائط المبكى أكثرها إثارة!

ويلفت انتباهى بعد خروجى من بوابة الحائط وعلى بعد أمتار قليلة منه بوابة مسجد.. هنا يدخل المسلمون للصلاة.. وعلى بعد أمتار يتدفق اليهود على حائط المبكى..

وسبحان الله!

طريق الآلام!

تخبطت قدماى وأنا أقترب من سور القدس القديم!

بقعة فوق أرض الدنيا لاتزيد مساحتها عن سبعمائة متر.. لكن فوقها دارت أحداث واحدة من أشهر قصص التاريخ.. وأكثرها إثارة.. وغرابة!

هذا المكان اسمه طريق الآلام.. هكذا تقول اللافتة المعدنية المعلقة فى بدايته.. وهكذا تقول النصوص المسيحية المتعارف عليها.. وهكذا يعرفه اليهود أيضاً..

لو أردت أن تتخيله فهو طريق أقل طولاً من شارع الموسكى فى قلب القاهرة.. لكن شتان الفارق بين هنا وهناك!

كل شبر يحكى حدثاً رهيباً.. لم تجرؤ كتب التاريخ أن تغفله..

كل شبر يصور لنا الساعات الأخيرة فى حياة السيد المسيح عليه السلام.. ويالها من ساعات وأسرار.. وأماكن يشيب لها شعر الرأس.. مكان اتخذ فيه كهنة اليهود قرار إعدام السيد المسيح عليه السلام.. ومكان ألقوا فيه القبض عليه بقبلة الخيانة!.. وثالث حاكموه فيه ولفقوا له التهم.. ورابع جهزوه لتنفيذ حكم الإعدام.. مؤامرة كبرى اشترى فيها اليهود روح المسيح بما يساوى خمسة جنيهات!

ماذا دار فى وادى قدرون؟!

وماذا حدث فى دار الكهنة ودار الوالى ومنطقة «الجلجثة»؟!

ولماذا أصبح يوم الأحد مقدساً فى الديانة المسيحية؟!

ولماذا تدق الأجراس فى الكنائس مع غروب شمس الخميس وصباح يوم الجمعة؟!

أسئلة مثيرة.. وأسرار أكثر إثارة.. كل الإجابات عليها دارت فوق هذا المكان الذى

أسير فوق ترابه الآن منذ حوالى ألفى عام.. مازالت الرهبة تخيم على المكان.. ومازالت شمسه تشرق فى حزن.. ولياليه تسافر فى انكسار.. لكن كشف أسرار هذا المكان تقتضى أن نكشف أولاً عن قصة الصدام الرهيب بين السيد المسيح عليه السلام وشعب إسرائيل..

هذه القصة التى انتهت فصولها فى طريق الآلام بشكل مأساوى اتجهت نحوه عيون وآذان العالم.. ومازالت تتجه حتى الآن.

●●●

النبى والملك!

ولد السيد المسيح عليه السلام فى بيت لحم بمعجزة تعرفها الدنيا كلها.. وتربى عليه السلام فى مدينة الناصرة بفلسطين ومن هذا الاسم جاءت تسمية المسيحيين بالنصارى.. وبدأ دعوته لله فى سن الثلاثين بمدينة الجليل.. وهنا بدأ الصدام الكبير بين اليهود والمسيح عليه السلام.. اعتبره اليهود فى البداية نبياً وليس مسيحاً.. وشتان الفارق بين الوصفين عند اليهود.. هم يعتبرون أن المسيح القادم ملكاً وليس نبياً.. ملكاً يجعلهم يسودون على العالم.. ويعيدون مجدهم القديم.. يمنحهم المال ويوزع عليهم الثروات والهبات والمتع الدنيوية.. وينزل فى عهده من السماء الهيكل الجديد منحة من الرب!.. هذا هو الاعتقاد اليهودى الراسخ منذ آلاف السنين وحتى لحظة كتابة هذه السطور.. وربما إلى أن يظهر المسيخ الدجال فيلتفون حوله.. ويؤمنون به.. ويعتبرونه المسيح المخلص لهم!.. لهذا كان الصدام عنيفاً حينما ظهر المسيح عيسى عليه السلام وأعلن عن دعوته فى مدينته الجليل.. كان عليه السلام يتحدث عن الحب والسلام والمعنى والرمز.. وكان اليهود يتحدثون عن الماديات والثروات والمتع.. بل اسقطوا من ديانتهم ومعتقداتهم أى حديث عن الآخرة والعالم الآخر.. وربطوا بين الدين والحياة فوق الأرض فحسب.. إذا صلى اليهودى دعا ربه أن يبارك له فى أرضه وبيته ومعجنه.. أصبحت حياته وثيقة الصلة بالأرض

والماديات ونسى حياة الروح والقلوب والرموز والمعانى التى أتى بها السيد المسيح عليه السلام.. قال لهم أن الهيكل المقدس ليس طوباً وحجارة.. وإنما هو رمز ومعنى.. وضرب لهم مثلاً بنفسه فاتهموه بالكفر.. واتهموا معجزاته بأنها من فعل الجان والشياطين.. ثم رموا أمه مريم العذراء عليها السلام بالزنا والفجور.. وأشاعوا أن المسيح عليه السلام ولدته أمه سفاحاً بعد أن زنا بها جندى رومانى!

لم يكن هذا الاتهام البشع غريباً على اليهود!!

لقد سخروا من قبل من أنبيائهم.. وعذبوهم.. ولفقوا لهم الاتهامات.. قالوا أن موسى عليه السلام كان لايجيد النطق.. يتلعثم فى الكلام ويتهته.. قالوا هذا رغم علمهم أن موسى هو النبى الوحيد الذى اصطفاه الله ليحدثه ويكون كليمه.. واتهموا سليمان بالعربدة وحب النساء والكفر لأنه كان يعبد إله المرأة التى يتزوجها.. وكم كانت زوجاته..! ومن قبله اتهموا داود بالزنا بامرأة أحد جنوده!

لم يلتفت المسيح عليه السلام لسخافات اليهود.. مضى فى دعوته واثقاً من نفسه.. التف حوله تلاميذه الإثنى عشر.. وعدد كبير من الفقراء والمساكين والمخطئين الذين وجدوا فى دعوته خلاصاً لهم.. إلا أن اليهود لم يستسلموا.. حاصروه بالمكائد .. وفشلت محاولاتهم.. كان أشهرها حينما أتوا له بسيدة ارتكبت الزنا.. أوقفوها أمامه.. ثم أخبروه بجريمتها وماذا هو فاعل بها؟!

كان كبار الكهنة قد وضعوا هذه الخطة الجهنمية ليخطىء المسيح عليه السلام ويمنحهم مبرر محاكمته وقتله.. فإن هو أنكر رجم هذه السيدة وقتلها يكون قد كفر بالتوراة وأهدر دمه بيده.. وإن هو وافق على رجمها وقتلها يكون قد هدم دعوة التسامح والحب التى جاء بها .. وتناقض مع نفسه، أمام أتباعه وحوارييه.!

.. وهنا يلقنهم المسيح عليه السلام درساً!

سألهم: «هل أخطأت هذه السيدة وحدها؟»..

تلعثموا.. أسقط فى يدهم.. فهموا قصد المسيح عليه السلام.. إن جريمة الزنا لاتتم إلا بين رجل وامرأة.. فإن كانت هذه هى المرأة فأين الرجل؟!.. وكان المفهوم الضمنى أن هذا الرجل منهم.. تواطأ معهم فلم يظهروه.. أو يقدموه للمحاكمة..

سألوه: لكن ماذا أنت فاعل بهذه السيدة.. هل نرجمها على دين الآباء والأجداد.. أم أنك أتيت بجديد؟!

وهنا بلغ الدرس قمته.. والإحراج ذروته.. قال لهم المسيح:

«.. من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها»!.. لم ينكر عيسى عليه السلام رجم الزانية. لكنه فتح ملف قضية خطيرة.. من يرجم خاطياً يجب ألا يكون خاطياً مثله.. لأن معنى ذلك أن من يفلت من العقاب يعاقب غيره!.. وهنا لم يتقدم أحد من كهنة اليهود وشعب إسرائيل لرجم السيدة!

ضاق اليهود ذرعاً بالمسيح عليه السلام.. لقد كشف زيفهم وفسادهم وظلمهم.. فضح معتقداتهم التى تقف عند ظاهر النصوص وتتمسك بحرفية الكلام دون أن تتطرق إلى المعنى والروح والآخرة التى أسقطوها من حساباتهم.. لقد ضرب لهم مثلاً جديداً من نص القصاص الذى يقول أن العين بالعين والسن بالسن والجراحة بالجراحة.. طالبهم ألا يقفوا عند حرفية النص.. فصرخوا ومزقوا ملابسهم وصاحوا بأعلى صوت يطالبون بإعدام هذا الكافر!..

كان المسيح عليه السلام قد دخل أورشليم «القدس» مرتين حتى هذا الوقت.. وفى كل مرة كانوا يخططون لخطفه ومحاكمته وإعدامه..كان مبررهم أنه كاذب.. فلو كان ملك اليهود المنتظر.. فلماذا لم يخلصهم من الاحتلال الرومانى؟!.. إلا أن المسيح نجح فى الإفلات منهم فى المرتين مؤكداً أن الوقت لم يحن بعد.. وقت محاكمته وتعذيبه!.. لكن المرة الثالثة كانت الأخيرة.. قمة الإثارة.. الأحداث حتى هذه اللحظة لم ينكرها الإسلام حتى لحظة الاتفاق على إعدام المسيح.. ولكن الأحداث من لحظة محاكمة المسيح وحتى قيامته بعد الموت لم تأت بها غير أناجيل المسيحية الأربعة.. بينما كانت تفاصيل إنجيل «برنابه» غير المعترف

بها من المسيحيين أقرب إلى التفاصيل التى أوردها القرآن الكريم من أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وإنما شبه لهم.. وأرسل الله ملائكته إلى الأرض ليصعدوا بعيسى عليه السلام إلى السماء.

عموماً.. الأحداث كلها دارت فى «طريق الآلام».. هذه المنطقة التى أكتب إليكم منها الآن.. واتنقل بين دروبها.. وأشاهد بيوتها وآثارها التى لم تنفض عنها عبق ورائحة التاريخ بعد.. هنا يبكى المسيحيون.. وتمتلىء صدورهم بأحداث القصة والساعات واللحظات الاخيره فى حياة المسيح..

سوف نرويها من أناجيل المسيحية من خلال الأماكن التى تأخذنى قدمى إلى زيارتها الآن!

●●●

المؤامرة!

● أخيراً.. وجد اليهود فرصة عمرهم فى أحد تلاميذ السيد المسيح الإثنى عشر.. ساومهم وساوموه.. قالوا له نريدك أن تدلنا على طريقه ومكانه.. سلمه إلينا وخذ المكافأة.. سال لعاب «يهوذا الاسخريوطى» تلميذ المسيح الخائن.. سألهم كم سيمنحونه؟!.. قالوا له: ثلاثين شاقل.. وكان الشاقل قطعة فضية تستخدم كعملة يهودية أصبح اسمها الآن «شيكل».. وكانت الثلاثون قطعة من الشاقل تساوى الآن حوالى خمسة جنيهات!.. فرح بها يهوذا.. وجلس يرسم معهم سيناريو الخيانة.. سوف يتتبعونه حتى يصل إلى مكان المسيح ومعه تلاميذه الأحد عشر.. فإذا وصل يهوذا طبع قبله على وجه المسيح فيعرفه اليهود ويلقون القبض عليه!

نحن الآن أمام بستان وادى قدرون!

كان السيد المسيح قد وصل إلى هذا البستان مع تلاميذه.. تناولوا معه العشاء

الأخير.. وألقى خطبته الأخيرة.. وفجأة.. وصل يهوذا الاسخريوطى يتخفى خلفه اليهود.. تقدم يهوذا من المسيح وهو يناديه «سيدى.. سيدى».. ثم طبع قبلته على وجهه.. يسود صمت رهيب يقطعه صوت المسيح قائلاً يخاطب يهوذا:

ـ أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!

كان الوقت مع غروب شمس الخميس... وكانت دعوة السيد المسيح فى عامها الثالث والثلث.. أى كان عمر الدعوة ثلاث سنين وثلاثة أشهر.. بينما كان عمر السيد المسيح ثلاثين عاماً وثلاثة أعوام وثلاثة أشهر..

ألقى اليهود القبض عليه بعد أن أهانوه بشدة.. ثم اصطحبوه معهم إلى أكثر من مكان.. وأكثر من موقع تشكل كل خطوة منها جزءاً من «طريق الآلام» الذى أطلق على المواقع التى شهدت باقى الأحداث!

وهنا دار رؤساء الكهنة اليهود فى طريق الآلام!

وصل اليهود بالسيد المسيح من وادى قدرون إلى دار رؤساء الكهنة وأحبار اليهود.. كان لابد من اتخاذ القرار الدينى بإعدام السيد المسيح.. وتلفيق التهم له.. ومحاكمته.. بحثوا عن شهود الزور فرفض كل الناس.. حتى حينما لفقوا له تهمة أنه ادعى أنه ابن الله.. أجابهم بأنهم هم الذين نطقوا بها أما هو فلم يقلها.. اتهموه بأنه قال أنه سيهدم الهيكل ويعيد بناءه فى ثلاثة أيام.. فرد بهدوء أنه يقصد بالهيكل نفسه.. وأنه سوف يموت ويقوم من موته بعد ثلاثة أيام.. أى أنه يقصد بالهيكل جسده.. لكن كهنة اليهود فى واحدة من أكبر المؤامرات التى عرفها التاريخ أصدروا الحكم الدينى بإعدام السيد المسيح.. ثم أخذوه وهم يصبون عليه لعناتهم إلى خارج دار رؤساء الكهنة..

● وهنا.. دار «بيلاطيس» فى طريق الآلام!

إنها دار الوالى الرومانى.. كان لابد من صدور حكم سياسى بعد الحكم الدينى بإعدام السيد المسيح.. ويقوم بيلاطيس بالإطلاع على ملف القضية فلا يجد دليلاً واحداً يدين المسيح فينظر إلى كهنة اليهود قائلاً فى دهشة:

ـ « ... لاأجد فيه علة!»

يستـخدم اليهود كل ذكائهم ومهاراتهم العقلية فى التأثير على الوالى الرومانى ليوافق على إعدام المسيح.. فالوالى بلاطيس كان على وشك إصدار قرار سياسى يشبه فى الوقت الحاضر قرار حفظ الدعوى أو «قرارت ألا وجه لإقامة الدعوى»!

أقنعه اليهود فى نهاية الجلسة بأنه لو ترك المسيح يعيش فلن يكون محباً للقيصر.. اهتز الوالى ووافق!

هنا.. «الجلجثة».. فى طريق الآلام!

الجلجثة تعنى الجمجمة.. وهى مكان لتنفيذ حكم الإعدام فى القدس «أورشليم».. ويقع على مسافة سبع دقائق على الأكثر من حائط المبكى.. وعشر دقائق من المسجد الأقصى.. ويجاور كنيسة القيامة..

طار اليهود من السعادة بعد موافقة الوالى الرومانى وخروجهم بالسيد المسيح من داره.. تعجلوا تنفيذ الحكم بأقصى سرعة قبل حلول يوم السبت.. يوم الراحة المقدس.. أخذوه صباح الجمعة إلى موضع «الجلجثة» وسط مظاهرة استنكار وسخرية اهتزت لها المدينة المقدسة.. لكن الإسلام يرفض باقى الأحداث باعتبار أن المسيح كان قد صعد إلى السماء حماية لمكانته المقدسة من استهزاء اليهود وتطاولهم عليه.. لكنى أنقل من هذا المكان باقى الأحداث طبقاً للمعتقدات المسيحية من خلال إنجيل «متى»..

يقول إنجيل متى فى الإصحاح «٢٦» أن جلد السيد المسيح تم على الطريقة الرومانية فى الإعدام.. فالطريقة اليهودية لايزيد عدد الجلد فيها على أربعين جلدة طبقاً لشريعتهم.. أما الرومان فكانوا يجلدون المحكوم عليه إلى أن يقترب من النفس الأخير فيصعدوا به إلى الصليب لطعنة بحربة قاتلة تزهق معها روحه!

الساعة الآن التاسعة صباحاً بالتوقيت الحالى الذى تدق فيه أجراس الكنائس لإحياء هذه الذكرى.. كما تدق مع غروب شمس الخميس لإحياء ذكرى القبض على المسيح..

والتاسعة صباحاً بالتوقيت الحالى كانت هى السادسة صباحاً بتوقيت أورشليم فى هذا الوقت البعيد..

أتوا بالمسيح وهم يضربونه من الخلف ثم يسألونه فى سخرية أن يعرف من الذى ضربه لو كان هو بحق المسيح المنتظر..! ثم راحوا يبصقون على وجهه. ويلكمونه ويضربونه بقسوة ويهزأون به ويسخرون منه.

استمر جلد المسيح عليه السلام فى موضع «الجلجثة» حتى سالت دماؤه بغزارة وتمزقت ملابسه فخلعوها عنه.. ثم أجروا قرعة فيما بينهما لاقتسام هذه الملابس.. وألبسوه ثوباً قرمزياً لايلبسه غير الملوك تأكيداً للاستهزاء به.. ووضعوا فوق رأسه تاجاً من الشوك.. وأمسكوه فى يده بعود من القصب كما يمسك الملوك بالصولجان.. وعلقوا لافتة فوق وجهه تقول:

«هذا هو ملك اليهود يسوع»..

ثم كانوا يأخذون عود القصب من يده ويضربون به على الشوك فوق رأسه حتى ينغرس فيها..

كل هذا بعد أن فردوا جسده فوق الصليب المعلق بالجلجثة.. وقاموا بتثبيت يديه وقدميه بالمسامير فى الصليب!.. وراح كهنة اليهود ينادون عليه أن يخلص نفسه إن كان حقاً ابن الله!

كان المشهد مثيراً كما يصورة إنجيل متى!

المسيح المصلوب.. وإلى جواره لصان مصلوبان معه..

تأكيداً لسياسة السخرية والاستهزاء بالسيد المسيح.. ثم كانت اللحظات الأخيرة حينما أرادوا أن يتأكدوا من موت المسيح.. طعنوه بحربة قاتلة فى جنبه فسالت منه الدماء والماء معاً!

حملوا جثته فى سعادة غامرة.. وجهزوا لها قبراً.. ويقال أن زلزالاً كبيراً وقع بأرض أورشليم حينما صرخ المسيح وأسلم الروح..

ويقال أن الهيكل المقدس تصدعت جدرانه.. وتفتحت قبور القديسين فخرجوا منها وشاهدهم الناس.. بينما اختنقت الشمس تماماً فى هذا اليوم وسادت المدينة غمامة باردة ظلت حتى مساء هذا اليوم..!

●●●

كنيسة القيامة!

بعد سنوات من هذه الحادثة المثيرة.. جاءت أم الامبراطور اليونانى التى آمنت بالمسيدية على رأس قوة كبيرة إلى القدس..

بحثت عن مكان قبر المسيح.. وعن صليبه..

فالأناجيل المسيحية تقول أن المسيح عليه السلام قام بعد موته.. وبالتحديد فى اليوم الثالث من تنفيذ الحكم.. وهو صباح الأحد.. وهو اليوم الذى اعتبره المسيحيون مقدساً وبداية للأسبوع للرد على الديانة اليهودية.. ومن باب تغيير المفهوم الدينى الذى كان يقدس يوم السبت..

يقال أن المسيح قام من قبره بالقرب من «الجلجثة» وظل أربعين يوماً يظهر للناس فرآه خمسمائة فرد ثم صعد للسماء..

ويقال فى روايات أخرى أن المسيح قام من موته عند بحيرة طبرية وهى تقع الآن ضمن الأراضى الإسرائيلية.. لكن قصة أم الامبراطور اليونانى تشير بوضوح إلى هذا المكان القريب من «الجلجثة»..

أما تفاصيل الأحداث فتكاد تكون قمة الإثارة والغرابة معاً!

يقال أن المكان الذى شهد صلب المسيح وقبره تحول مع الوقت إلى مقلب كبير لقمامة اليهود.. يتجاوز ارتفاعه أربعة طوابق.. هكذا استمر اليهود فى عدائهم الشديد تجاه المسيحية حتى بعد واقعة الإعدام.. إلى أن جاءت أم الامبراطور اليونانى فأمرت بإزالة هذا التل.. على الفور راح الجنود يعملون ليل نهار على مدار أيام طويلة إلى أن تخلصوا من هذا الارتفاع الهائل وظهرت أمامهم ثلاثة صلبان..

قالت أم الامبراطور وأكد لها رجال الدين أنها صلبان المسيح واللصين اللذين صلبا معه..

لكن كيف تتعرف أم الامبراطور على صليب المسيح من الصلبان الثلاثة؟!

قضى رجال الدين المسيحى وقتاً فى التفكير والتشاور حتى شاهدوا جنازة ميت تسير بالقرب منهم.. اقترح أحدهم إحضار الميت.. وإنزاله إلى الأرض.. ثم وضعوا الصليب الأول فوقه فلم يحدث شىء.. وضعوا الصليب الثانى فلم يتغير الموقف.. أما الصليب الثالث فما أن لمس جسد الميت حتى قام للحياة.. هلل الحاضرون وصاحوا جميعاً فى صوت واحد:

«إنه صليب مخلصنا المسيح»!

على الفور صدر أمر من أم الامبراطور اليونانى بإقامة كنيسة القيامة فى هذا المكان.. خاصة وأن كل ملامح وأوصاف القبر الذى قام منه المسيح ـ كما يعتقد المسيحيون ـ قد توافرت فى قبر عثروا عليه إلى جوار الصلبان!

ويكتمل بناء كنيسة القيامة فى شكل هندسى بديع.. وتصبح هدفاً لحج المسيحيين بالقدس.. ومزاراً سياحياً يدر الآن آلاف الدولارات كل صباح لإسرائيل!

دخلت كنيسة القيامة مع مئات السياح من كل الجنسيات.. رائحة بخور نفاذة تخترق الأنوف.. أيقونات ومبانى تبدو كالتحفة الفنية الرائعة.. هنا المذبح.. وفوقه بالطابق العلوى قبر المسيح.. انظر نحو القبر فأجد طابوراً لا أول له ولا آخر من السياح.. حجزوا أماكنهم

فى هذا المكان من طلوع الفجر حتى يتمكنوا من رؤية القبر.. زحام هائل.. لكن النظام غاية فى الدقة.. والرهبة تملأ العيون.. والذكرى تحلق فى الأجواء والصدور..

●●●

دير السلطان

دير السلطان.. حكاية مصرية فوق أرض إسرائيل!

كل عام.. وكلما اقترب عيد القيامة فى مصر تهفو قلوب الأقباط الأرثوذكس المصريين إلى القدس.. إلى دير السلطان الذى يلعب دور القلب فى الجسد.. فالحديث عن كنيسة القيامة لن يمر دون الحديث عن الدير المصرى القبطى!

إسرائيل حاولت المراوغة بعد أن احتل الرهبان الأحباش دير السلطان.. لكن المحكمة الإسرائيلية العليا التى لجأ إليها أقباط مصر اعترفت لهم بأن الدير من حقهم.. ويمر عام بعد عام.. وفى كل مرة تؤكد الحكومة الإسرائيلية أنها سوف تنفذ حكم القضاء وتعيد الدير لمطران القدس المصرى.. لكنها السياسة الإسرائيلية التى تقوم على المثل الشعبى الشهير: «تحلفى لى أصدقك.. أشوف أمورك أستعجب»!

حكاية الدير غريبة.. وكان المسلمون حريصون كالمسيحيين تماماً على أن يظل للتمثيل المسيحى منه فى كنيسة القيامة نفس العدد المسموح به.. وهذه قصة أخرى!

ماهى حكاية دير السلطان؟

وماهى قصة سلبه من أقباط مصر؟

وهل يعود الدير إلى الأقباط المصريين؟!

●●●

قصة الدير!

كانت قصة الدير القبطى تلح على خاطرى وأنا فى طريقى إلى القدس..

فالقضية لاتتعلق بالديانة المسيحية فحسب.. بل هى قضية حق ضائع.. حق لأحد جناحى الأمة المصرية سلبته منه إسرائيل.. وراحت تبيع عليه الوعود عاماً بعد عام!

دير السلطان ـ كما يتضح من اسمه ـ بناه المصريون منذ مئات السنين فوق أرض القدس.. كان السلطان المصرى فى رحلاته إلى القدس يصطحب معه وزيراً قبطياً فى حكومته.. واشترى السلطان المصرى الأرض ـ المقام عليها الدير الآن ـ ثم أهداها إلى وزيره القبطى وكل أقباط مصر.. كان الهدف وقتها التيسير على أقباط مصر وهم يؤدون الحج..

فالدير ملاصق لكنيسة القيامة.. لايبعد عنه جغرافياً أكثر من مائة متر.. وزمنياً ٣٠ ثانية فقط.. الموقع ـ إذن ـ غاية فى الأهمية.. خاصة بعد أن بنى المصريون الأقباط كنائسهم داخل الدير.. وأقاموا مضيفة كبيرة لاستقبال الحجاج المصريين فى موسم الحج بلا مقابل.. واستقبال أى زائر مصرى باعتبار أن أرض الدير مصرية.. لاتفرق بين مسلم ومسيحى.. وتمضى السنوات.. ويتجاوز كرم الطائفة الأرثوذكس المصرية استقبال المصريين إلى استضافة كل من لايجد مكاناً للمبيت من أبناء الطوائف المسيحية الفقيرة على مستوى العالم كله.. خاصة الأحباش.. الذى استقبلهم الدير متسامحاً على سبيل الضيافة.. لكن بعضهم طلب الإقامة فيه حتى تنصلح أمور دولتهم.. تمتد إقامة الأحباش المسيحيين داخل الدير.. ويبدأ الصراع العربى الإسرائيلى فى النصف الأخير من الأربعينات.. وتفجر إسرائيل مفاجأتها حينما أرادت مضايقة الحكومة المصرية ومعاقبتها بإصدار الأمر إلى الأحباش للإقامة الدائمة بالدير باعتبار أنه ديرهم!.. كان الهدف الإسرائيلى الواضح هو إيغار الصدور والوقيعة بين أقباط مصر والنظام الحاكم.. لكن الجهود الدبلوماسية ـ غير المباشرة ـ تنجح ويعود الدير إلى أصحابه.. أقباط مصر!!

وفى الستينيات وفى أعقاب حرب النكسة عام ١٩٦٧ تبلغ إسرائيل مداها فى الظلم والعجرفة.. ذات ليلة يفاجأ مطران الدير وكل من فيه بالدبابات الإسرائيلية والجنود الإسرائيليين يحيطون أرض الدير ومبانيه.. يسأل الأقباط إيه الحكاية؟!.. يرد الجنود: «إجراء أعمال تتعلق بالأمن القومى الإسرائيلى!».. هذه الإجابة يعرف مطران القدس أنها إجابة لاتقبل الجدل أو المناقشة.. يطالبه الجنود بتسليم مفاتيح الدير.. وبالفعل يتسلمها قائد القوة ليسلمها بدوره إلى الأحباش المقيمين بالدير.. وتدمع عين المطران وهو يكتشف كذب الادعاء بالأمن القومى الإسرائيلى..

وسلب الدير من أصحابه وتسليمه إلى ضيوف يقيمون ـ على سبيل ـ الضيافة والكرم!

●●●

حكم تاريخى!

لم يسكت أقباط مصر.. أقامت الكاتدرائية المسيحية ـ للأقباط المصريين الأرثوذكس ـ دعوى قضائية ظلت تتداول حتى وصلت إلى المحكمة الإسرائيلية العليا.. قدم المصريون وثائق خطيرة.. وأدلة دامغة.. من بينها:

■ حجة تعمير دير السلطان بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٦٨٦.

■ أمر صادر من سليمان «باشا» والى الشام إلى وكيل دير القبط بالقدس يخبره فيه بالموافقة على ترميم الدير فى ٢٢ ديسمبر عام ١٨٢٠م.

■ وثيقة باللغة التركية عبارة عن حجة تفيد الاعتراف بأن مفاتيح دير السطان وكنيستيه القبطيتين فى يد القبط المصريين.. ويجب أن يستمر هذا الوضع التاريخى.. الوثيقة حررت فى فبراير عام ١٨٥١م.

■ مضبطة المجلس الكبير بالقدس فى ٩ مارس عام ١٨٥٩م تقر بوجود مفاتيح دير السلطان مع أقباط مصر.

■ قرار باللغة التركية بإعطاء رخصة للأقباط المصريين لتوسيع باب دير السلطان فى عام ١٨٨٦م.

■ أما أخطر وثيقة قدمتها الطائفة الأرثوذكس المصرية للمحكمة الإسرائيلية العليا فكانت أمراً باللغة التركية صادر من فخامة الصدر الأعظم لسعادة إبراهيم حقى «باشا» عمدة القدس فى عام ١٨٩٤م ويقرر الأمر مايلى:

١- الأحباش يقيمون على سبيل الضيافة في دير السلطان..

٢- دير السلطان ملك القبط المصريين..

٣- ينبه على الأحباش عدم إزعاج الأقباط..

■ وتصل الوثائق التاريخية الدامغة إلى ٣٢ وثيقة بخلاف وثائق أخرى بالصور الفوتوغرافية والمذكرات المقدمة طوال تاريخ الدير لجلالة الملك حسين ملك الأردن ولمجلس الوزراء الإسرائيلى قبل وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ولعمدة القدس ومحافظيها..

كانت المفاجأة فى السبعينيات هى صدور حكم المحكمة العليا الإسرائيلية بأحقية أقباط مصر فى الدير.. لقد أخلى القضاء الإسرائيلى ذمته وأبرأ ساحته.. وألقى بالكرة فى ملعب الحكومة الإسرائيلية.. لكن أحداً لم يستبشر خيراً.. فالدولة التى تتباهى بديمقراطيتها تجاهلت حكم المحكمة العليا وغضت البصر عن تطبيق القانون..!

●●●

رياح السلام .. والأمل!

.. وهبت رياح السلام بقوة بعد كامب ديفيد.. وحصل المصريون على آخر قطعة أرض محتلة من الجيش الإسرائيلى.. وأصبحت إسرائيل تلح فى تطبيع العلاقات مع مصر.. وتحاول بكل جهدها خطب ود المصريين.. إلا أن مطارنة القدس المتعاقبين لم ينسوا قضيتهم العادلة.. ولم يفرطوا فى حكم القضاء الإسرائيلى بأحقيتهم فى استرداد دير السلطان!..

ويدافع الأنبا شنودة الثالث عن هذا الحق منذ توليه قداسة الكاتدرائية الأرثوذكسية بالاسكندرية.. وتتوالى الوعود الإسرائيلية التى لاتنفذ أبداً!

يستقلبنى الأنبا إبراهام مطران القدس بملامح الحب المصرى الأصيل.. أدخل معه إلى مضيفة الدير.. ألمح الحزن فى عينيه.. وأسمعه فى صوته حينما بدأنا الحديث عن دير السلطان..

● إلى أى حد وصلتم؟!

■ الموضوع الآن فى ملعب الحكومة الإسرائيلية.. وثقتنا بلا حدود فى الدبلوماسية المصرية خاصة بعد أن زار عمرو موسي وزير الخارجية المصرى الدير من فترة قريبة ومعه محمد بسيونى سفر مصر فى إسرائيل.. ووعدا ببذل كل الجهد مع الحكومة الإسرائيلية ليعود الحق إلى أصحابه..

● هل هناك اعتراضات إسرائيلية على إعادة الدير؟!

■ الغريب أن الحكومة الإسرائيلية قالت فى أكثر من مناسبة أنها لاتمانع فى إعادة الدير للأقباط المصريين.. بل زار الدير شيمون بيريز حينما كان وزيراً للخارجية الإسرائيلية وكان بصحبته عدداً من كبار المسئولين من بينهم وزير العدل الإسرائيلى وعمدة القدس ونائب وزير الأديان.. وقد أبدوا تفهماً كبيراً للحق المصرى.. لكن حتى الآن لم يتم شىء.

مسلمون بملابس الرهبان!

ويروى لى الأنبا إبراهام مطران القدس واقعة مثيرة تشير إلى مدى الترابط الأسطورى بين مسلمى مصر ومسيحييها.. وحرص المسلمين على عدم التفريط فى أى حق من حقوق أقباط مصر.. فقد حدث فى أحد أعياد القيامة.. وأثناء الحج المسيحى أن كان عدد ممثلى دير السلطان يقل عن العدد الذى تفرضه القيود والأعراف لدخول كنيسة القيامة يتم تثبيت العدد الجديد فى الأعوام التالية.. والذى حدث أن عدد ممثلى طائفة الأرثوذكس المصريين كان ينقص عشرة أفراد.. فالعدد المسموح به خمسين فرداً من الرهبان والقساوسة والآباء.. والمحفل لايضم غير أربعين فقط.. ومعنى ذلك أن يتقلص العدد إلى أربعين فى الأعوام التالية.. وتبدو الطائفة القبطية المصرية بهذا العدد الضئيل مستقبلاً.. لكننا فوجئنا بإخواننا المسلمين المصريين الموجودين فى هذا الوقت بالقدس يهرعون إلينا.. وتطوع عشر أفراد منهم لإكمال العدد حفاظاً على النسبة المقرر مستقبلاً..

ارتدى المسلمون زى الرهبان والقساوسة.. وحملوا الصليب.. وانخرطوا فى موكب الطائفة الأرثوذكسية.. وتعاملت معهم سلطات القدس على أنهم مسيحيين مصريين.. واحتفظوا للكاتدرائية المصرية بالعدد الذى لم ينقص أبداً إلا فى هذا العام.. ومرت الواقعة بسلام والحمد لله.. بفضل إخواننا المسلمين المصريين..

احتجاج!

● قلت للأنبا إبراهام مطران القدس المصرى:

«سمعت أنك لاتعبر الدير إلى كنيسة القيامة مهما كانت الظروف.. وأنك تسير خلال طريق آخر مدته نصف ساعة ويزيد لكى تصل إلى الكنيسة.. لماذا؟!

■ قال:

«.. مجرد احتجاج سلمى.. لايمكن أن نكون أصحاب الحق ويتحكم فينا آخرون.. نعم

المسافة عبر أراضى الدير لاتستغرق غير نصف دقيقة.. لكنى لاأريد أن أخضع لسياسة الأمر الواقع.. قلبى لايحتمل أن أمر فى أرضى التى يجلس عليها مغتصبها.. وفرج الله قريب»..

● هل لأبواب الدير مواعيد لفتحها وإغلاقها؟

■ إنهم يغلقونها فى المغرب ويفتحونها فى السادسة صباحاً.. لكنهم حريصون على أن تظل مفاتيح الدير بحوزتهم مهما كانت الأسباب غيظاً للمصريين.

ينتهى لقائى بالأنبا إبراهام الذى يصر على توديعى بنفسه..

كان الوداع مثيراً على أبواب الدير الذى تبلغ مساحته ألفين متر مربع.. ويقع بين بطريركية الأقباط وبين كنيسة القيامة.. وتظهر فى منتصفه قمة مغارة الصليب.. ويحتوى الدير فى زاويته القبلية على كنيستى الملاك ميخائيل والأربعة حيوانات غير متجسدين..

ونغادر دير السلطان.. وفى أسماعنا صدى صوت المطران يذكرنا بالأمانة التى وجهها لى بإثارة قصة الحق المغتصب من الرهبان الأحباش والحكومة الإسرائيلية..

●●●

دموع المسجد الأقصى!

إذا كان اليهود يبكون أمام حائط المبكى فإن المسجد الأقصى ظهر أمامى حينما وقعت عيناى عليه للوهلة الأولى وكأنه يبكى للمسلمين.. وتصرخ دموعه التى لم تتوقف منذ أن وقع أسيراً فى أيدى اليهود.. منذ ثلاثين عاماً فقط!

تذكرت وأنا أسير فى الساحة المؤدية إلى المسجد هذا المشهد الذى أشعر معه بالخزى والعار كمسلم.. هنا فوق هذه الأرض. وفوق هذا المكان الذى أمشى عليه الآن اندفعت الدبابات والمصفحات الإسرائيلية صباح السادس من يونيو عام ١٩٦٧.. قوة عسكرية

هائلة بقيادة موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى كانت تحتفل بهزيمة العرب بعد ساعات من حرب النكسة.. اندفعت القوة العسكرية صوب المسجد الأقصى فتصدى لها نفر قليل من الجنود العرب.. عدد من الجنود لايزيد عددهم عن عشرين جندياً تصدوا بكل إيمان وحماس داخل سيارتهم المصفحة الوحيدة لمقابلة الغزو.. فإذا بموشى ديان يأمر بإشعال السيارة وإحراق كل الجنود العرب!

أكاد أشم رائحة دماء الشهداء العرب أمام بوابة المسجد الأقصى!

أكاد أفقد أعصابى وأنا أتذكر العجوز جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل «الأسبق» وهى تدخل مع موشى ديان وقادة الجيش الإسرائيلى من بوابة هذا المسجد وهم يرتدون الأحذية جميعاً!

نعم.. دخلوا المسجد الأقصى بالأحذية.. والعالم الإسلامى يتفرج!

تغوص خطواتى داخل المسجد.. يرتجف جسدى.. ويرتعش قلبى.. أتوضأ وأصلى ويتحقق الحلم الذى كنت أظن أنه لن يتحقق أبداً!

أقوم من صلاتى.. أتجول فى أرجاء المسجد الفسيحة.. أسمع صوت امرأة تصلى بمجموعة من النساء لايقل عددهن عن مائة سيدة.. يقترب منها مسئول بالمسجد بعد انتهاء الصلاة يذكرها أن صوت المرأة عورة.. وأنه إذا كانت المرأة إماماً لنساء أخريات وجب عليها خفض صوتها.. لكن السيدة بعد أن استمعت للنصيحة عادت لتكمل باقى الركعات دون أن ينخفض صوتها أو يعود إليها مسئول المسجد.. هكذا نحن نختلف من أول لحظة.. ونستكبر على أن نذل أنفسنا لبعضنا البعض!

فى جانب من جوانب المسجد جلس شباب كثيرون.. كل شاب جلس بمفرده يقرأ من مصحف.. بعضهم نسى كل ماحوله واستغرق فى تلاوة القرآن.. وبعضهم فاض دمعه دون أن يشعر.. وبعضهم يتلو القرآن وكأنه يتهته.. كان واضحاً أن هذا البعض الأخير من دول إسلامية غير عربية.. وجاءوا إلى المسجد الأقصى كواحدة من أعظم السياحات الدينية.

قبة المسجد كانت قد بهرتنى من الخارج.. رغم كبر حجمها الواضح فهى مطلية كلها من الذهب الخالص.. ويقال هنا أن الملك حسين عاهل الأردن هو الذى سدد فاتورة الذهب.. جزاه الله عنها خيراً إن كان قد فعل.

أما قبة المسجد من الداخل فهى أعجوبة ومعجزة.. التجويف يبدو مستحيلاً على صنع البشر.. ولهذا لايكون غريباً ماتسمعه من الواقفين تحت القبة الذين يؤكدون أن الجان قد شارك فى بناء القبة ومنحها هذا الإبهار والإعجاز.. رسومات ونقوشات وآيات قرآنية فى أشكال هندسية تخطف البصر.. وينعقد معها اللسان!

.. لكن تحت القبة بكيت!

نظرت إلى أعلى حيث أشار مسئول المسجد الذى يقوم بالشرح للسياح العرب والأجانب.. وجدت آثاراً لعدد من الطلقات النارية التى أطلقها جندى يهودى متطرف على قلب القبة.. الحادث أستدعيه من ذاكرتى كأنه وقع بالأمس رغم مرور أكثر من عامين على ارتكابه.. لقد دخل هذا الجندى الإسرائيلى المتطرف إلى ساحة المسجد الداخلية أثناء قيام المصلين بأداء صلاة المغرب.. وفجأة فتح هذا الجندى نيران مدفعه الآلى نحو المصلين وهم يسجدون لله فتحول المكان هنا إلى بركة من الدماء.. مات من مات وأصيب من أصيب.. ولم يكتف الجندى بهذا الحد من السفالة بل راح يطلق نيرانه صوب قبة المسجد فاخترقت رصاصته السبع جدار القبة.. ومازالت شاهدة على جريمته حتى الآن.. أما كل ماحدث لهذا الجندى فهو محاكمة عسكرية سريعة باعتبار أن هذا الجندى مختل عقلياً!

قال مسئول المسجد الذى يبدو أردنى الجنسية أن الدول الإسلامية حاولت ترميم هذه الشروخ والفتحات فى جدار القبة.. بل استقدموا كبار الأساتذة المتخصصين فى الترميم من أمريكا وأوروبا للقيام بهذه المهمة.. لكنهم اعتذروا جميعاً..

ويقال أن سبب اعتذارهم لم يكن بسبب الارتفاع الشاهق للقبة.. وإنما لتأكيداتهم أن الحال لن يعود إلى ماكان عليه أبداً.. لأن الذى شاهدوه لايمكن أن يكون من صنع بشر.. وبالتالى لن يفلح فى علاجه بشر!

على بعد خطوات نكون فى منتصف ساحة المسجد الداخلية.. وهنا لاتحتمل القلوب هذه المشاهد التى أنقلها إليكم كما عشتها:

■ صخرة المعراج.. صخرة كبيرة وطولية.. بيضاء وملساء تحيطها الرهبة من كل جانب.. فوق أحد أطرافها وقف النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى أول رحلة المعراج إلى السماء.. طرف الصخرة فى هذا المكان مرتفع.. بل يبدو شبه معلق بين الفضاء والأرض.

ويقول مسئول المسجد فى شرحه أنه حينما هم النبى محمد عليه الصلاة والسلام بالمعراج مع جبريل ارتفعت الصخرة مع قدمه حتى لاتفارقه.. إلا أن النبى محمد عليه الصلاة والسلام أمرها بالعودة إلى مكانها، فصعد هو وبقيت هى على هذا الوضع حتى الآن.. ويقال ـ أيضاً ـ أنها صخرة من صخور الجنة.. وإذا تأملتها لن تستكثر عليها أن تكون بالفعل من مكونات النعيم!

فوق الموضع الذى داسته أقدام النبى عليه الصلاة والسلام أقام المسلمون من زمن طويل دولاب من الخشب فى أوسطه فتحة لاتتسع إلا لدخول يد واحدة.. وتستطيع اليد أن تلمس هذا الموضع.. كان مسئول المسجد يطلب من السياح المسلمين والأجانب أن يشموا أيديهم بعد خروجها من فتحة الدولاب.. ولمسها لموضع قدم الرسول عليه السلام.. ورحنا جميعأنشم أيدينا ونضرب كفاً بكف.. لقد التصقت بكفوف الأيدى رائحة عطر نفاذ لامثيل لها.. عمرها الآن يقترب من الألف وخمسمائة عام!.. وكم كانت دهشة الأجانب!

أتحرك خطوتين بالضبط.. أجد زحاماً كبيراً.. أغلب المتزاحمين من النساء!

أسأل: ماذا فى هذا المكان المزدحم؟!

يقولون فى رهبة:

■ مغارة الأنبياء.. المغارة ذات القبلتين.. قبلة زكريا عليه السلام.. وقبلة محمد عليه السلام.. المغارة التى صلى فيها محمد عليه الصلاة والسلام إماماً بكل الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج!

المغارة عبارة عن تجويف أسفل الصخرة.. يرتجف جسدى وأنا ألمس صخرة الجنة بيدى.. وأتحرك إلى أسفل وسط الزحام لأدخل المغارة التى تجمع فيها كل أنبياء الله بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام.. أى مكان هذا؟! وأى لحظة تلك؟!

أقف الآن داخل المغارة مبهوراً.. هذه قبلة زكريا.. وهذه قبلة محمد.. وربما كان يقف فى نفس المكان الذى أقف فيه الآن سيدنا موسى أو عيسى أو محمد.. ترى أين كان يقف سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام؟!.. هنا.. أم هناك.. لماذا لاأسير فيها كلها حتى أنال هذا الشرف العظيم.. أشق طريقى بصعوبة بالغة فالرجال يصلون هنا.. والنساء تصلى هناك.. وأسأل مسئول المسجد عن سبب تزاحم النساء، فيجيبنى بأن لدى بعض النساء اللاتى لاينجبن اعتقاداً بأنهن إذا زرن هذه المغارة أنعم الله عليهن بالأولاد!.. الوجوه لاتريد أن تناقش هذا الاعتقاد.. والجدل ليس مطلوباً فى هذا المكان.. أستدير عائداً من باب المغارة المقدسة.. أتلفت حولى فأجد وجوهاً سمراء وبيضاء.. جنسيات مختلفة.. النقاب والحجاب يزين المسلمات.. وصوت القرآن يأتى من داخل المغارة كأنه صوت من الجنة.. لاترتيل بشر!

يشرح مسئول المسجد لمجموعة جديدة أسراراً مذهلة تشد الانتباه..

عدد نوافذ المسجد له حكاية.. عدد الفتحات.. عدد الآيات المكتوبة على الجدران.. والنقوش والرسومات.. والأبواب العديدة للمسجد.. وعدد التحف واللمبات الكهربائية التى تبدو على ارتفاع شاهق للغاية.. كل شىء منها له حكاية وحكمة!

وقبل أن أخرج من باب المسجد سمعت حواراً مثيراً بين أستاذ جامعى من إحدى الدول العربية وبين مسئول المسجد.. قال الأستاذ الجامعى الذى يقوم بالتدريس فى إحدى الجامعات الإسلامية أن حائط المبكى ليس أثراً يهودياً.. وإنما هو أثر إسلامى من أغلى الآثار!

سألته.. كيف؟!

قال: أن النبى محمد عليه الصلاة والسلام حينما وصل بالبراق إلى المسجد الأقصى فى رحلة الإسراء.. قام بربط البراق فى هذا الحائط حتى أتم عروجه إلى السماء وعاد للأرض ليعود بالبراق إلى بيته فى أرض جزيرة العرب

●●●

افتراءات يهودية!

اليهود يعتبرون القدس مدينة يهودية.. بالذوق والعافية!

والعرب يؤكدون أنها عربية.. بالوثائق والمستندات!

مازلت أذكر ملامح سائق التاكسى الإسرائيلى الذى توقف لى بسيارته فى شارع باسل فى قلب تل أبيب.. ومازلت أذكر صوته الخشن وهو يسألنى بالإنجليزية عن المكان الذى أقصده.. لم تشغلنى ملامحه ولا صوته.. وجلست إلى جواره وأنا أقول له:

- القدس.

وكأنى أخطأت فى الكتاب المقدس.. تجهم وجهه.. ثم قال لى باللغة العربية:

- أورشليم يعنى!

لم أعلق على ملحوظة السائق.. ولم يثرنى غضب السائق من أننى نطقت الاسم العربى لمدينة القدس.. فكل اليهود يحلو لهم أن يسمونها «أورشليم».

ظللت صامتاً طوال الطريق إلى القدس. طريق يلهب الخيال ويمنح النفس صفاءً بلا حدود!.. إلا أن السائق عاد ليمطرنى بأسئلته من جديد على طريقة رغى الحلاق المصرى.. قال لى مثلاً:

- بالقطع أنت ذاهب إلى القدس الشرقية.. وربما تنتهى زيارتك لإسرائيل دون أن تذهب إلى القدس الغربية.. إنها أقرب إلى أحياء أوروبا.. نظافة ونظام ومبانى حديثة!

فهمت قصد السائق.. كان يريد أن يخبرنى بسوء حال الأحياء العربية.. وفوضى الإهمال فيها.. لكنى حسمت النقاش من بدايته وأنا أقول له:

ـ ألا يكفى القدس الشرقية أنها عاصمة الأديان الثلاثة.. إليها يحج العالم كله بمختلف أديانه ومعتقداته؟!

ثم سألت السائق بغتة:

ـ هل تعرف جنسيتى؟!

ضحك ورد بسرعة:

ـ أهلاً بك يامصرى!

جاملته بابتسامة ثم عدت لصمتى وقد هاجت مشاعرى وأنا أتذكر الافتراءات اليهودية حول مدينة القدس.. والمحاولات المستميتة التى يبذلها الإسرائيليون لتطويق عرب القدس الشرقية بيهود القدس الغربية.. وهى السياسة المعروفة بتهويد القدس.. وجعل كل مافيها ينطق باليهودية!

ظننت أن السائق قد مل الحديث.. وأحرجه صمتى.. إلا أننى كنت واهماً.. توقف بسيارته بأحد الشوارع الصغيرة بالقرب من القدس.. ثم أشار لى بيده نحو أحد المبانى وهمس قائلاً:

هنا كانت الأسلاك الشائكة والجدار الذى كان يفصل بين القدس الشرقية والقدس الغربية حتى عام ١٩٦٧.. كان الجنود الأردنيون يقفون على حدود القدس الشرقية بالقرب من الأسلاك الشائكة.. كان الجنود اليهود يقفون على حدود القدس الغربية.. لاتفصل بينهما غير عدة أمتار قصيرة. وكانوا يقضون معظم الوقت فى تبادل الحوار والنكات!

لكن بعد حرب ١٩٦٧ توحدت مدينة القدس.. وأصبحت عاصمة أبدية لإسرائيل.. فيها الآن مقر الحكومة ومقر الكنيست والعديد من المنشآت الهامة!

طلبت من السائق التوقف.. تفاديت استفزازه.. قررت أن أكمل الطريق سيراً على الأقدام حتى باب الخليل.. كنت على مسافة لاتزيد عن كيلو متر واحد من القدس.. وهى فرصة حتى استمتع بالقدس أكثر.. لكن الحوار الملعون ظل يقتحم أفكارى مع كل خطوة..

ـ لماذا يعتبرون القدس عاصمة لهم مدى الحياة؟!

ـ إذا كان هذا المفهوم هو إحساس رجل الشارع البسيط فى إسرائيل.. فأى حكومة يهودية يمكنها أن تتحدى هذا الشعور وتعيد القدس للسلطة العربية؟!

ـ كم شاب عربى يعرف تاريخ القدس الحقيقى بنفس الحماس الذى يحفظ به سائق التاكس الإسرائيلى تاريخ القدس الذى دخلت عليه الافتراءات والتشويشات؟!

وجدت نفسى أغوص فى تاريخ القدس!

كنت أقطع شارعاً واسعاً يؤدى إلى باب الخليل فى قلب القدس الشرقية.. وقتها وقعت عيناى على جبل صهيون.. الذى يبدو وكأنه يحتضن القدس.. ويحاصرها!!.. لكن نسمات التاريخ كانت أقوى من المشهد الذى شد عينى أكثر من مرة نحو هذا التل المرتفع.

اليهود يتكلمون عن القدس منذ ثلاثة آلاف عام فقط!

منذ دخلها نبيهم وملكهم داود عليه السلام.. ثم تبعه يهوذا.. لكنهم يسقطون من ذاكرتهم أحداث التاريخ قبل ثلاثة آلاف عام!

يتجاهلون مثلاً أن سيدنا إبراهيم منذ أكثر من خمسة آلاف عام هاجر من أرض الفرات لينشر دعوته لله فى أرض فلسطين.. وكانت بصحبته السيدة سارة زوجته وبنت عمه.. وكانت سارة عاقراً لاتنجب تجاوزت مع زوجها أرذل العمر.. من فلسطين ذهب إبراهيم عليه السلام لينشر دعوته فى مصر لكنه لم يجد آذاناً صاغية.. وفى مصر وهبه فرعونها جارية مصرية اسمها هاجر لتكون فى خدمة سارة.. بل يقال أن الهدية كان مقصوداً بها سارة رائعة الجمال التى حاول فرعون أن يراودها عن نفسها فصدته بعنف.. فإذا به يستكثر أن تكون حسناء مثل سارة بلا جارية.. وإمعاناً فى تكريمها منحها هاجر..

ولما كانت سارة قد يأست من الإنجاب وهبت هاجر ليتزوجها إبراهيم عليه السلام.. وأنجب منها عليه السلام سيدنا إسماعيل.. ثم شاءت الأقدار أن تلد سارة سيدنا إسحق.. وهنا قررت سارة أن تنفرد بزوجها وتبعد عن بيتها ضرتها هاجر.. ونجحت فى خطتها.. أخذ إبراهيم هاجر إلى شبه الجزيرة العربية وتركها مع إسماعيل عليه السلام.. وعاد إلى فلسطين.. وكانت المشاهد التى تحولت إلى مناسك لحج المسلمين فى شبة الجزيرة العربية بين إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.. بينما كبر إسحق.. وتزوج ثم أنجب ابنه الثانى يعقوب.. وينجب يعقوب إثنى عشر طفلاً بينهم سيدنا يوسف عليه السلام.. ومن هؤلاء الأبناء كانت اللبنة الأولى لشعب اليهود!

نعود إلى القدس!

قبل أن يصل إبراهيم عليه السلام من الفرات إلى فلسطين.. كانت مدينة القدس تدعى «أورشليم».. ويسكنها قوم من الكنعانيين اسمهم «اليبوسيون».. وكان لها اسم آخر هو «يبوس».. ويقول التاريخ أن كلمة أورشليم أصلها «أورسالم».. و«أورسالم» كلمة من جزئين: «أور» وتعنى أقامها.. و«سالم» وتعنى الإله..

أى أنها مدينة أقامها الإله!

هكذا لم يكن اليهود أول من أسس مدينة القدس أو أول من جعلوها عاصمة لهم.. لكن الغريب أن العهد القديم وكتابهم المقدس يعترف ـ أيضاً ـ بهذه الحقيقة التى يتجاهلها اليهود.. وبأن أول من سكن المدينة كانوا «اليبوسيون».. ففى الإصحاح الخامس عشر من سفر يشوع:

ـ «.. وأما اليبوسيون سكان أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم.. فأقام اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم».

وتعاقب الاحتلال على مدينة «أورشليم» سواء من الفرس أو الإسكندر الأكبر أو البطالسة من مصر ثم السلوقيين من سوريا ثم الرومان الذين دمروا الهيكل المقدس لليهود..

القدس إذن أنشأها العرب الكنعانيون!

القدس إذن لم يدخلها اليهود إلا مع داود ويهوذا منذ ثلاثة آلاف عام.. أى بعد أكثر من ألفى عام عاش فيها العرب الكنعانيون وحدهم..

القدس إذن حتى بعد أن دخلها اليهود لم ينفردوا بالحياة فيها.. بل عاشوا مع أهلها.. ولم تدم لهم الحياة فيها.. بل نكل بهم الأعداء وطردوهم منها أكثر من مرة..وتوالت عليها الفتوحات فى عهدهم.. وكان آخرها الفتح الإسلامى على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

كانت القدس قديماً محاطه بسور ضخم.. تتخلل السور عدة بوابات للدخول إليها والخروج منها.. وكانت مقسمة إلى أربعة أحياء.. الحى الإسلامى واليهودى والمسيحى والأرمنى.. وعاش العرب فى الحى الشرقى.. واليهود فى الحى الغربى!

وكانت آخر عهود الاحتلال للقدس عصر الامبراطورية الفارسية.. ثم عهد الانتداب البريطانى حتى صدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ونشبت حرب ١٩٤٨ بين العرب ويهود إسرائيل بسبب رفض العرب لقرار تقسيم فلسطين.. ثم كان من توابع هزيمة العرب إعلان الدولة الإسرائيلية فى فلسطين كلها.. ثم قرار الاستيلاء على القدس الغربية عام ١٩٤٩.. استوطن اليهود فى الحى الغربى وأقاموا العديد من المستوطنات بسرعة جنونية.. ثم فصلوا أنفسهم عن الحى الشرقى العربى بالأسوار الشائكة والحواجز الأسمنتية.. وظل الحى الشرقى العربى تحت السيطرة العربية المتمثلة فى السلطة الأردنية.. لكن جاءت الرياح من جديد بما لاتشتهى السفن.. نشبت حرب ١٩٦٧ وانهزم العرب مرة أخرى.. وكانت النتيجة هذه المرة هى الاستيلاء على القدس الشرقية وضمها إلى القدس الغربية.. ثم إعلان القدس الموحدة.. ثم جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل بقرار من الكنيست.. وبزعم تاريخى باطل يقول أنهم أصحاب الحق فى أورشليم!

هذا الوهم التاريخى أرادوا أن يجعلوه حقيقة وأمراً واقعياً يقنع الدنيا بأسرها أن مدينة القدس يهودية.. لهذا وخلال أقل من خمسين عاماً صدرت القوانين المحمومة وكأنها

تركب صاروخاً.. قانون بعد قانون.. وخطة بعد أخرى.. ودعاية صهيونية تملأ الدنيا كلها.. كان هدفهم المقدس هو تهويد القدس.. وجعلها واقعاً يهودياً فى نظر العالم أجمع.. ومن أجل هذا قامت سياستهم وقوانينهم المتتالية على تحقيق أهداف أخرى على رأسها محو الشخصية العربية للقدس والعمل باستماتة على ألا يزيد العرب فيها على نسبة ٢٥٪ دون أن يبلغ العرب بأى حال من الأحوال نسبة الـ ٣٠٪ التى تشكل الخط الأحمر الذى لاتسمح إسرائيل بتجاوزه أبداً.. ولهذا كانت وسائلهم وقوانينهم تحتم الآتى:

● منع عرب القدس الشرقية من شراء الأراضى فى القدس الغربية..

● تشجيع يهود القدس الغربية على شراء الأراضى فى القدس الشرقية..

● إقامة حزام ضخم من المستوطنات اليهودية حول القدس الشرقية وتشجيع اليهود المهاجرين للإقامة فيها..

● إغراء العرب على بيع بيوتهم ومحلاتهم بمبالغ كبيرة ثم إقامة منشآت أو بيوت يهودية مكانها!

قانون البلدية فى القدس لايمنح ترخيصات جديدة للبناء إلا إذا كان ذلك داخل النسبة التى تتراوح بين ٢٥٪ و٣٠٪ من السكان العرب داخل القدس.. كما يمنع من إقامة بيوت بدلاً من البيوت المتصدعة أو المنهارة.. حتى التصريح بتعلية طابق فإنه يحتاج إلى واسطة لايقدر عليها غير الواصلين من السكان العرب!.. وفى أحيان كثيرة لايصدر هذا التصريح أبداً.

وإذا كانت الأرقام خير شاهد وأبلغ دليل.. فإننا نقدم هذه الأرقام من واقع الأوراق الرسمية الإسرائيلية.. وهى ترد وتنطق بحقيقة سياسة التهويد الإسرائيلية فى القدس:

■ فى عام ١٨٧٠ كان عدد اليهود فى القدس مساوياً لعدد العرب من المسلمين والمسيحيين معاً.. بلغ عدد اليهود ١١ ألف يهودياً.. وكان عدد العرب ١١ ألف عربياً!

■ فى عام ١٩٨٥ بلغ عدد السكان أكثر من ٤٥٧ ألف ساكناً.. بينهم ٣٢٨ ألف يهودى و١١٦ ألف مسلم و١٤ ألف مسيحى.. أى عدد اليهود اقترب عام ١٩٨٥ من ثلاثة أضعاف عدد العرب..

■ عام ١٩٩٤ بلغ عدد السكان ٥٦٨ ألف ساكناً فى القدس.. بينهم ٤٠٧ ألف يهودى و١٤٦ ألف مسلم و١٥ ألف مسيحى!..

■ يعيش فى المستوطنات وحدها ١٦٠ ألف يهودى بينما يبلغ عدد سكان العرب فى القدس الشرقية كلها ١٥٥ ألف مسلم ومسيحى تقريباً.. وبالتالى تظل النسبة المتفق عليها كما هى مهما مر بالمدينة من ظروف أو أحداث.. اليهود ٧٥٪ والعرب ٢٥٪.

توقفت الأفكار فجأة!

اكتشفت أننى قد وصلت إلى عمق القدس الشرقية.. تنفست الصعداء وأنا أسمع اللغة العربية تحيطنى من كل جانب.. وتبددت مشاعر الغربة وأنا أشعل سيجارة أمام أحد المتاجر ثم أطيل الوقوف لأسمع أكبر جزء ممكن من أغنية «باحلم بيك» لعبد الحليم حافظ.. كان صاحب المتجر يدخن نرجيلته وقد منح كل حواسه لجهاز الكاسيت!

دولة غريبة.. وشعب أغرب!

«.. علم إسرائيل هونفسه شال الصلاة وكفن الميت.. وفى إسرائيل جنة اسمها الديمقراطية.. ونار اسمها غلاء الأسعار.. أهم أعيادهم عيد الفصح وعيد الفطير وعيد الأبواق وعيد الغورييم الذى يسميه العرب عيد المسخرة!

ويعتقد اليهودى أن المرأة أول من عصى الله وعليها أن تكفر عن خطيئتها حتى تقوم الساعة.. أما الأطفال فأول مناسبة يقيمون فيها الولائم للطفل الذكر هى إجراء الختان له فى اليوم الثامن من الولادة.. فالختان لايقل أهمية عن التعميد».

تبدو إسرائيل فى معظم الأحوال كصندوق الدنيا!

دولة غريبة وشعب أغرب.. عادات وتقاليد وطقوس.. ونظم اجتماعية.. لامثيل لها فى العالم كله!

مارأيكم فيما لو دخلنا إلى قلب المجتمع الإسرائيلى.. واقتحمنا أسراره.. وكشفنا أوراقه التى يحرص الإسرائيليون على أن تظل خاصة بهم وحدهم دون أن تطلع عليها عيون غير اليهود!

تعالوا نتعرف على إسرائيل من الألف إلى الياء.. أو من الشمعدان والعلم ونشيد الأمل حتى عيد المسخرة كما يسميه العرب.. أو عيد «الغورييم»كما يسميه اليهود!

كل شىء هنا فى إسرائيل له أصل وحكاية.. وتعالوا نبدأ من البداية:

علم إسرائيل:

هو راية الدولة الرسمية.. وهو ـ أيضاً ـ شال الصلاة.. وكفن الموتى!

يتكون العلم من لونين.. الأبيض والأزرق.. وتتوسطهم نجمة كبيرة هى نجمة داود النبى الملك.. أو الفارس الذى صنع مجد اليهود وانتصر على أعدائهم.. فالنجمة تشير إلى المملكة التى ضاعت من اليهود.. أما اللونين الأبيض والأزرق فيشيران إلى صلاة الفجر عند اليهود.. والتى تحددها التوراة لشعب اليهود بانفصال اللونين فى آخر لحظات الليل وبزوغ خيط النهار الأبيض!

هذا العلم نفسه هو شال الصلاة لكن بدون نجمة داود!

فالطقوس الدينية تلزم اليهودية «المرأة» بتغطية رأسها فى الصلوات الجماعية.. وتلزم الرجال بوضع شال فوق أكتافهم فى هذه الصلوات.. هذا الشال مستطيل أو مربع

الشكل.. وهو يشبه إلى حد كبير علم إسرائيل.. لكن دون نجمة داود.. وفى نهاية كل زاوية من زوايا الشال ثمانية خيوط.. أربعة منها منسوجة بالخيط الأبيض.. والأربعة الباقية بالخيط الأزرق.. هذا الشال يعلق فى البيوت.. ممنوع على النساء لمسه حتى لايفقد طهارته!.. ويتم إعداد هذا الشال لكل ولد ذكر بلغ سن الثالثة عشرة ليكون جاهزاً لارتدائه فى الصلوات الجماعية..

هذا الشال يظل معلقاً فى بيت اليهودى حتى يموت!

وبعد الوفاة يتم تكفين كل يهودى بالشال الخاص به طوال حياته والذى استخدمه فى الصلوات الجماعية التى حضرها فى المعبد..

الشمعدان:

الشمعدان ذو الأفرع السبعة هو رمزالدولة فى إسرائيل.. ترمز الشموع السبع إلى عدد أيام الأسبوع التى اخترعتها الديانة اليهودية.. فكما يعتقدون خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدنيا فى ستة أيام.. ثم استراح فى اليوم السابع.. وكان يوم السبت!

ويرجع تاريخ الشمعدان إلى تاريخ الهيكل المقدس.. ويسمى الشمعدان- أيضاً- بالمنورة الذهبية.. ولايكاد يخلو منه بيت فى إسرائيل.. أو على الأقل صورته!

فهو رمز للدين.. وللدولة معاً.

نشيد الأمل:

هو السلام الوطنى لدولة إسرائيل.. يحفظه الإسرائيليون عن ظهر قلب.. ويهتفون بكلماته فى المناسبات القومية.. يقول النشيد:

مادامت فى أعماق الفؤاد
روح يهودية مفعمة بالحنين
ونحو أطراف الشرق قدماً
تتشوق الأنظار إلى صهيون
لن تعود الأمانى تضيع
أمانى ألفين من عمر السنين
لنعيش أحراراً فى أرضنا
أرض صهيون وأورشليم

فقراء .. ولكن!

الإحصاءات الرسمية تقول أن ١٠٪ من سكان إسرائيل يعيشون تحت خط الفقر.. ولم تكد هذه الإحصائية تنشر على الملأ حتى خرجت صحف المتطرفين تهاجم مؤسسة التأمين الحكومية صاحبة الإحصائية وتؤكد أن المؤسسة تقصد مجتمعاتهم المتدينة!

لكن فقراء إسرائيل لايتسولون.. ولايلبسون الملابس الممزقة.. أو يستدرون عطف الناس فى الشوارع.. إنهم فقراء من نوع خاص!

المساعدات المالية تتدفق عليهم من التجمعات اليهودية فى العالم كله.. الحكومة تقدم إعانات مستمرة لهم.. كما تلعب البنوك والصحف الخاصة بالمتدينين المتطرفين والمعابد دوراً بارزاً لمساعدة الفقراء على النحو التالى:

صحف المتطرفين تقدم دليلاً كاملاً عن الأماكن التى تبيع السلع أو تقدم الخدمات بثمن أرخص بكثير من غيرها.. هناك محل مثلاً يتعامل مع الذين يحملون «كارت» يشهد بأن صاحب الأسرة يعول أربعة أطفال فأكثر بأسعار تقل كثيراًعن نفس الأسعار لنفس السلع فى نفس المحل.. كما توجد سبعة أسواق تجارية على مستوى إسرائيل كلها تقدم خدمات من هذا القبيل.. لكن داخل هذه الأسواق والمحلات تختلف الصورة عن باقى محلات «السوبر ماركت» فى إسرائيل.. فلا موسيقى هادئة يتردد صداها بين الجنبات.. ولالوحات إرشادية مزخرفة كأنها لوحات فنية.. ولا ماكينات القهوة الحديثة ولأجهزة التكييف..!

هذه المحلات الرخيصة لاتخسر بالطبع.. لكنها تبيع السلع بثمن التكلفة بينما باقى النفقات التى تكبدها المحل تعتبرها المؤسسات الدينية من قبيل الصدقة على المحتاجين!

وتقدم البنوك لبعض الطوائف الفقيرة قروضاً بلا فائدة.. وهو مايعرف بـ «الجماشا».. بينما تقدم فروق البنك الإسرائيلى سندات تجارية موقعة من الحاخامات

للتعامل بين التجار.. ويعتبر توقيع الحاخام على السند تطهيراً له من شبهة الربا التى تحرمها التوراة..

من ناحية أخرى هناك قاعات يستطيع الفقراء فى المناسبات أن يستأجروا منها مايشاءون مجاناً ودون أى مقابل.. من هذه الأشياء أطباق خاصة لحفظ درجة حرارة الطعام يوم السبت.. موائد الحفلات.. أشرطة تسجيل عليها مواعظ من التوراة.. حضانات للأطفال.. فساتين للزفاف.. حواجز خشبية لفصل النساء عن الرجال فى الاحتفالات.. الخ!

كما توجد جهات تتولى جمع الصدقات والمساعدات من الأغنياء.. وتتحرى وتبحث عن الفقراء.. وتصدر إعلانات تقول فيها:

«عندما تستطيع يجب أن تعطى.. وعندما تحتاج يجب أن تطلب.. هذا هو العطاء المتبادل»!

وعندما تمشى فى شوارع إسرائيل قد يصادفك أحد المعابد اليهودية.. إذا اقتربت منه ودخلت من بابه سوف تطالعك لوحة الإعلانات فى كثير من الأحوال وبها حكاية إنسانية.. أو كشوف بحالات حرجة تحتاج المساعدة.. ويحدد الإعلان وسيلة تقديم الإعانة.. ولايلتفت أحد للحالات التى لم تحمل فى نهايتها توقيع الحاخام بصحة البيانات!

وتنتشر بين الحاخامات المتدينة الفقيرة تجارة الشنطة.. والسبب ارتفاع ثمن الملابس فى إسرائيل أكثر من ضعفى ثمنها فى أوروبا.. لهذا يقوم بعض الأزواج بسؤال أقاربهم ومعارفهم عن الملابس والأشياء التى يحتاجونها من أوروبا.. ويسافر الزوجان أو أحدهما ثم يعود بعد أن يضيف ثمن الرحلة إلى سعر المشتروات ويجرى التخفيض اللازم والذى يحقق له ربحاً معقولاً!

الجنة والنار!

لاتصدق أن إسرائيل كلها جنة!

ولاتصدق أنها نار.. كلها!

منذ اللحظة الأولى لوصولك إلى إسرائيل قد تشعر بجنة الديمقراطية على صفحات الجرائد والمجلات وفوق شاشة التليفزيون.. لكن سرعان ماتشعر- أيضاً- بنار الأسعار في الفنادق والمحلات والمتاجر.. وكل مكان يتطلب منك أن تضع يدك في جيبك لإخراج النقود.. سواء دولارات أو شيكلات.. فالشيكل هو العملة الرسمية في إسرائيل.. والدولار عموماً يساوي ثلاثة شيكلات تقريباً!

هذا هو الموجز.. وإليك التفاصيل!

عندما وصلت إلى إسرائيل شممت رائحة الديمقراطية.. قرأت في الصحف عن قضية رفعها مواطن فلسطيني.. تدور وقائع القضية ذات يوم أراد فيه المواطن الفلسطيني ركوب أحد الأتوبيسات في تل أبيب.. ويبدو أن هذا المواطن كان مضطراً لذلك.. فلا يوجد أي خطر على وجود الفلسطينيين في تل أبيب.. القانون الإسرائيلي لايمنع ذلك.. لكن عرب فلسطين يبتعدون عن الشبهات من ناحية. ويوفرون على أنفسهم نظرات الشك والريبة من الإسرائيليين تجاههم.. فلو صعد أحدهم أتوبيساً في تل أبيب.. تلك المدينة التي تكاد تنطق باليهودية.. فإن الركاب سوف ينفرون منه.. ويبتعدون عنه.. ويمطرونه بوابل من نظرات عدم الارتياح!.. ركب المواطن الفلسطيني الأتوبيس الإسرائيلي فنهض السائق بسرعة.. ومنعه من دخول الأتوبيس.. لم يستسلم الفلسطيني.. وطالب بحقه.. حرر محضراً في الشرطة.. ثم أقام دعوى ضد شركة الأتوبيس الإسرائيلية.. فماذا حدث؟!..

تطوع محام إسرائيلي للدفاع عنه.. تطوعت أقلام إسرائيلية تهاجم سلوك السائق والشركة التي عينته لقيادة أحد أتوبيساتها.. وكسب الفلسطيني القضية وحكمت له المحكمة الإسرائيلية بالتعويض!

شاهدت في التليفزيون - أيضاً - أكثر من برنامج مثير.. لقاء بين بيريز رئيس الحكومة وبعض الشباب الإسرائيلي.. كان بيريز يبدو كالحمل الوديع.. بينما يتحدث الشباب بوحشية.. بل كان أحدهم يشير بيديه أثناء حديثه وكأنه سيقلع بها عين رئيس الوزراء!

عرض التليفزيون الإسرائيلي - أيضاً - مناظرة بين الحاخامات بعد حادث مصرع رابين رئيس الوزراء الراحل على يد شاب متطرف..بعض الحاخامات أدان القاتل الذى اغتال رئيس الوزراء الإسرائيلي صديق العرب!.. وبعضهم أكد أن الشاب لم يخطيء.. فقد سبقه رئيس الوزراء إلى الخطأ.. واختلف الحاخامات فوق شاشة التليفزيون الإسرائيلي الحكومي على واقعة اغتيال رئيس الحكومة.. ولم يمنع التليفزيون الرأى المؤيد لارتكاب جريمة الاغتيال في واحد من أكبر ميادين إسرائيل.. فلم يحدث من قبل أن قتل يهودى يهودياً آخر طبقاً للوصايا العشر.. ومن هنا أجرى التليفزيون هذه المناظرة بين رجال الدين اليهودى لمعرفة موقف التوراة من اغتيال رئيس الوزراء!

عرض التليفزيون - أيضاً - في وقت سابق لقاءً شد الانتباه من داخل أحد المستشفيات.. شاهد الناس أحد الجنود الإسرائيليين تملأه الجروح والدماء وتلفه الأربطة!.. حكى هذا الجندى حكايته التى تتلخص في اشتراكه مع قوة من جهاز الشرطة الإسرائيلي لقمع إحدى المظاهرات في انتفاضة الحجارة.. وداخل أحد الشوارع الضيقة فوجيء الجندى الإسرائيلي بطفل فلسطيني يطلق عليه سيلاً لاينتهي من الطوب والحجارة الصخرية.. كان الجندى مدججاً بالسلاح.. وكان الطفل أعزل يلتقط الحجارة من فوق الأرض ويقذفها نحو الجندى بقوة.. عمر الجندى تجاوز العشرين عاماً.. بينما الطفل لم يكمل عامه العاشر بعد.. كان بمقدور الجندى أن يضرب الطفل بحذائه الضخم.. أو بسلاحه الحديدى.. لكن الجندى - كما كان يحكي للمشاهدين - أدار رأسه للطفل وجرى من أمامه.. إلا أن الصغير جرى حتى سبق الجندى في شجاعة نادرة.. ثم استدار ليواصل قذف الجندى بالحجارة حتى نزفت الجراح من وجهه كله.. ثم سقط مغشياً عليه فنقلوه إلى المستشفى.. هنا تظهر المذيعة.. تسأل الجندى: «.. ولم تركته يضربك؟!».. يرد الجندى: «..

أنا من أصل عربى.. ولو كنت طفلاً فى عمر هذا الصغير لفعلت مثلما فعل.. لم تطاوعنى يداى على أن أضربه.. أو أسبب له أى أذى»!

عشرات الأمثلة تحاول وسائل الإعلام الإسرائيلية أن تؤكد بها جنة الديمقراطية هناك.. وكدت أصدق.. فلا يجب أن نغض البصر عن إيجابيات شعب طال بيننا وبينه العداء.. إلا أننى سألت نفسى.. ولماذا لايقدم لنا التليفزيون الإسرائيلى مجازر جيش الدفاع ضد الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين.. كلما أرادوا تأديب العرب!

وعن الأسعار.. فحدث ولاحرج!

سعر علبة الزبادى ١٢٠ قرشاً مصرياً.. كيلو اللبن ثلاثة جنيهات مصرية.. كيلو الجبنة البيضاء ٣٠ جنيهاً.. كيلو البطاطس أربعة جنيهات.. والطماطم تسعة جنيهات.. زجاجة الكوكاكولا بأربعة جنيهات (حجم كبير) وجنيه للحجم الصغير.. كيلو الباذنجان ثلاثة جنيهات وكيلو الموز ٢٩ جنيه.. كيلو اللحم ٤٦ جنيهاً والفرخة ١٦ جنيهاً.. أما رغيف الخبز فيباع بجنيهين!.. هذه عينة سريعة من الأسعار علماً بأن الشيكل يساوى ١١٥ قرشاً مصرياً.. أى مايزيد عن الجنيه!

نار الأسعار سببها نار الضرائب!

كل شىء فى إسرائيل تدفع عنه ضريبة.. ولولا الملامة لحصلوا ضرائب على الماءوالهواء.. لكن الناس يجدون أن الخدمات التى تقدم لهم على مستوى هذه الضرائب.. فلا أحد يشكو.. ولا أحد يهين سياسة الحكومة.. فالحكومة لاتتورع فى نفس الوقت عن تقديم إعانات ودعم للطوائف المتدينة الفقيرة مثلاً.. أوالأشخاص الذين يعانون من البطالة ويعولون أطفالاً.. بعض الإسرائيليين هنا فوجئت بهم يطلقون على أبناء بعض العرب لقب «أطفال التأمين»! وعندما سألت عن السبب عرفت أن هؤلاء العرب الذين لاعمل لهم الآن.. أصبح عملهم الوحيد هو إنجاب الأطفال للحصول على إعانة البطالة عن كل طفل.. وهكذا وصل عدد الأطفال فى بعض هذه الأسر إلى عشرة أطفال أو أكثر.. ووصل رقم الإعانة عنهم جميعاً إلى مايساوى مرتب أى موظف.. وبالتالى لم يعد لدى الأب أى طموح فى فرصة عمل.. طالما أن إعانة التأمينات توفر له أسباب الحياة مع أسرته!

قال لى سائق تاكسى فلسطينى اسمه نادر.. يعيش فى القدس: «.. أنا أدفع ضرائب وتأمينات عن نفسى.. وعن عملى.. وعن أبى.. وعن جهاز التليفزيون والراديو فى بيتى.. وأدفع للبلدية.. وأدفع لصاحب العمل.. لكنى فى النهاية أعيش.. ليست عندى مشاكل فى حياتى اليومية.. مشكلتى الوحيدة سياسية.. هى عودة القدس.. لهويتها العربية!

بالمناسبة.. سائق التاكسى وسيارته هنا حكايتهما حكاية!

ولنبدأ من البداية.. عندما يفكر شخص ما عربى أو إسرائيلى فى شراء سيارة فإن ثمنها يختلف بحسب الغرض من الاستعمال.. فإن كانت السيارة «ملاكى» فعلى صاحبها أن يدفع دم قلبه بلا اعتراض!.. وإن كانت «تاكسياً» فبإمكان صاحبها أن يدفع نصف الثمن فقط.. لأن القانون الإسرائيلى يعتبر التاكسى خدمة عامة للمواطنين!

لكن شراء السيارة التاكسى.. لايبدأ معه العمل فوراً!

لابد من شراء «أرقام» السيارة.. اللوحة المعدنية تباع بسعر مستقل عن سعر السيارة التاكسى.. بل يصل ثمنها فى بعض الحالات إلى ثمن السيارة نفسها.. فإذا كانت السيارة بأربعين ألف شيكل.. فقد يصل ثمن اللوحة المعدنية إلى أربعين ألف شيكل أيضاً!.. وهناك مكاتب مخصصة لبيع اللوحات المعدنية التى تحمل رقم السيارة.. وتتيح ـ أيضاً ـ فرصة تأجيرها شهرياً لمن لايملك ثمن اللوحة.. بل ظهرت ـ أيضاً ـ تجارة اللوحات على مستوى الأفراد.. فمن يملك ثلاثين ألف شيكل ـ مثلاً ـ يمكنه شراء الرقم ثم تأجيره بثلاثمائة شيكل فى الشهر لصاحب سيارة تاكسى.. وهكذا يحصل صاحب الرقم على دخل شهرى يعوضه عن وظيفة!

بعد شراء السيارة واللوحة المعدنية.. لابد من وجود سائق بحوزته رخصة.. هذه الرخصة يعد الحصول عليها نعمة من نعم الله.. فالسائق يلتحق أولا بمعهد تدريب يتعلم فيه فنون القيادة والجغرافيا والتاريخ.. فالمتوقع أن يركب معه سياح.. يتعلم ـ أيضاً ـ اللغة العبرية والإنجليزية بشكل يتيح له التفاهم مع الركاب من جميع الجنسيات.. يتعلم ـ أيضاً ـ الميكانيكا والإسعافات الأولية.. فالمتوقع أن يصادف السائق حادثاً أو زبوناً يصاب بنوبة مفاجئة.. أو يتعرض لقىء.. أو يكتشف السائق أنه مخمور ويتعرض لمتاعب صحية. فى كل

هذه الأحوال لايجب أن يقف السائق عاجزاً عن التصرف!.. بعد نهاية الدراسة يدخل السائق امتحاناً صعباً لاختباره فى كل المناهج السابقة.. إذا نجح فى النظرى اصطحبه أحد الممتحنين لاختباره عملياً.. وإذا نجح فى العملى حصل على الرخصة وانفتحت له طاقة القدر!.. لماذا؟!.. لأن القانون الإسرائيلى تشجيعاً لسائقى التاكسى ألزمهم بتسجيل أنفسهم فى المحاكم منذ اليوم الأول لبداية عملهم فى هذا المجال.. تسجيل أنفسهم مرة أخرى فى التأمينات.. والمرور.. وجهات تحصيل الضرائب.. وبمضى عشر سنوات بالتمام والكمال يذهب السائق إلى هذه الجهات.. فإذا حصل من المرور على شهادة بحسن سيره وسلوكه وعدم ارتكاب حوادث طريق عمدية أو تكشف عن استهتار أو لامبالاة أو عدم احترام لقوانين المرور.. ثم حصل على شهادة من التأمينات والضرائب بسداد جميع مستحقات الدولة خلال العشر سنوات بانتظام.. فإن المحكمة سوف تحكم له فى الحال بأربعين ألف شيكل تشجيعاً له على سلوكه.. وتقديراً لهذا الدور تمنحه هذا المبلغ لينتقل من وظيفة سائق إلى مالك سيارة.. أو يقوم بشراء لوحة أرقام بالمبلغ ثم يؤجرها للعيش من دخلها الشهرى.. كما يمكنه أن يفعل ذلك ثم يعمل عشر سنوات أخرى بنفس النظام ليحصل على مبلغ آخر!.. لهذا نادراً ماتجد سائق تاكسى فى إسرائيل يخالف تعليمات المرور.. أو يتهرب من سداد الضرائب والمستحقات الحكومية.. فهو يدفع عن طيب خاطر لأن الحكومة سوف تدفع له عن طيب خاطر أيضاً.. وسواء كان إسرائيلياً أو فلسطينياً!

ويمكنك استدعاء التاكسى بالتليفون من أى مكان بالطريق أو الفندق أو المنزل.. كل تاكسى به عداد وتليفون لاستخدام السائق والزبون.. وهناك سيارات تاكسى تعمل بلا عداد لكن الأجرة محددة سلفاً من قبل الحكومة.. يخبر بها السائق الزبون ولايتردد فى تقديم كشف الأسعار الحكومى ليتأكد بنفسه.. ولايمانع فى منح الزبون فاتورة بالمبلغ الذى دفعه!

وبالمناسبة فإن سائق التاكسى يكون أنيقاً على الدوام لأنه إحدى الواجهات الإسرائيلية فى عيون السياح.. كما أن السائق لايعرف حكاية الفوطة الصفراء أو تجاهل إشارات الزبائن.. كما لايوجد فى كل شوارع إسرائيل جندى أو ضابط مرور يخشاه

السائق.. فالإشارات كلها تعمل بالكمبيوتر.. وفى حالة أى مخالفة تنشق الأرض فوراً عن سيارة شرطة لإيقاف السائق ومعاقبته.. وغالباً مايكون العقاب بتعطيل الرخصة مدة من الوقت ودفع مبلغ مالى..

ومن القواعد المقدسة داخل التاكسى قيام الراكب فى المقعد الأمامى بربط حزام الأمان حول وسطه.. وإلا دفع السائق غرامة ٢٠٠ شيكل.. وكذلك إذا قام أى من الركاب بإشعال سيجارة والسيارة بالطريق.. حدث ذلك معى.. وكان السائق قد حذرنى وهددنى بإيقاف السيارة فوراً إذا لم أطفىء سيجارتى.. فى تلك اللحظة فوجئنا بسيارة شرطة نزل منها ضابط وجنود بالملابس المدنية.. وهذه هى عادة الشرطة غير الظاهرة فى شوارع إسرائيل.. وكانت المفاجأة التى لم يتوقعها السائق الفلسطينى حينما تسامح الضابط مع الواقعة فور علمه أننى مصرى.. هنا قال لى السائق بدهشة أنها المرة الأولى التى يحدث فيها هذا الموقف من الشرطة الإسرائيلية منذ عملى سائقاً للتاكسى!

وإذا كانت جنة الديمقراطية فى إسرائيل ترجع لارتباطها الوثيق بأمريكا وأوربا.. فإن نار الأسعار ترجع إلى غول الضرائب الذى يطارد المواطن الإسرائيلى فى كل مكان.. ويكفى أن نعلم أن ثلثى ميزانية الدولة من الضرائب وحدها.. وربما لهذا السبب لاتجد سلعة واحدة فى إسرائيل يمكن شراؤها بشيكل واحد.. لقد حاولت وفشلت! وبالمناسبة فإن «الشيكل» كلمة عبرية.. كما أنها وردت فى التوراة.. وعرفها الناس قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. وبالتحديد فى عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث يقول التاريخ اليهودى أنه كان وحدة وزن للتعامل مع الذهب أو الفضة.. وكان اسمه فى التوراة «شاقل» ثم أصبح مع الوقت ينطق «شيكل».. ويقول التاريخ اليهودى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام تعامل به.. وهذا هو نص التوراة فى هذه الحكاية التى تروى لنا لقاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بصاحب أرض أراد شراء أرض مغارة بداخلها لدفن ميت يخص سيدنا إبراهيم الذى قال للرجل:

ـ «.. أعطيك ثمن الحقول.. خذ منى فادفن ميتى هناك.. فأجاب عفرون صاحب الملك: الأرض ثمنها أربعمائة شاقل فضة.. فوزن إبراهيم لعفرون أربعمائة شاقل فضة جائزة عند التجار».. والمقصود بالجائزة فى هذا النص التوراتى ثمن الأرض..

عزيزتى حواء .. عفواً!

الساعة السادسة إلا الربع صباحاً.. شعرت السيدة «لينا» بآلام الوضع.. كانت عروساً منذ عام واحد.. وتلد للمرة الأولى.. تمنت أن يكون مولودها الأول ذكراً.. بل اختارت له اسمه «ديفيد».. لم أكن أعلم حتى هذا الوقت أن الإسرائيليين يعشقون إنجاب الذكور.. فالإناث لن يحققن السعادة لأسرهن.. لأن المرأة هى سبب شقاء البشرية.. هى التى ارتكبت أول معصية.. ومن أجل هذا حكم عليها الرب ـ كما يعتقدون ـ بأن تدفع الثمن حتى تقوم الساعة!

فهى تتألم من الحمل.. وفى الولادة.. وفى التربية.. وهى نجسة إذا حاضت.. ونجسة إذا ولدت.. لكن فترة النجاسة مع ولادة الأنثى تطول عنها مع ولادة الذكر!

الساعة السادسة تماماً.. ولدت السيدة «لينا» مولودتها الأولى.. وعندما علمت أنها أنثى تجهم وجهها.. وارتسمت علامات عدم الرضا فوق ملامحها. ربما لأنها أشفقت على مولودتها من أحكام التكفير التى تلزم بها التوراة كل بنات حواء.. وربما لأن فترة تطهرها من هذه الولادة سوف تطول.. فالتوراة تقول أن نجاسة المرأة فى ولادة الذكر أربعين يوماً.. منها سبعة أيام كنجاسة الحيض.. وثلاثة وثلاثين يوماً حتى يكتمل طهرها.. أما فى حالة الأنثى فالمرأة تبقى نجسة أسبوعين حتى تقضى ستة وستين يوماً حتى تكتمل طهارتها!

انتظرت السيدة «لينا» حتى اكتمل على ولادتها ثمانون يوماً.. كانت «لينا» طوال هذه الفترة تخضع لقائمة طويلة من الممنوعات.. فهى ممنوعة من الذهاب إلى المعبد أو حائط المبكى أو لمس الأشياء المقدسة أو قراءة التوراة.. لكنها فى اليوم الواحد والثمانين على ولادتها أخذت ابنتها الوليدة وذهبت إلى المعبد ومعها خروف وحمامة قدمتهما إلى الكاهن الذى قام بذبحهما تكفيراً عن نجاسة الولادة!

والشعب اليهودى فى إسرائيل يؤمن بالتوراة بشكل جنونى.. فليس غريباً أن تشاهد أحدهم يفتح كاسيت سيارته طوال الطريق على شروح ومواعظ الحاخامات.. إنها مسجلة

على شرائط تباع بأسعار زهيدة.. ليس غريباً أن تشاهد آخر يقرأ فى الكتاب المقدس وهو يجلس بالتاكسى أو الأتوبيس أو يسير بالطريق.. ولاتحاول أن تناقش أحدهم فى معتقداته الدينية.. لأننا جميعاً سواء كنا مسلمين أو مسيحيين فنحن من الأغيار.. أى من غير اليهود.. والأغيار كما يعتقدون حيوانات، قذرة، خلقها الرب لتكون فى خدمة الشعب اليهودى.. لأنه شعب الله المختار.. فهم يعتقدون أن الله قبل نزول الوصايا العشر على موسى عليه السلام أنزلها على كل شعوب الأرض.. فإذا بكل شعب يختار وصية ويرفض باقى الوصايا.. إلا الشعب اليهودى فقد قبلها جميعاً.. وهكذا يكون الشعب الذى اختاره الله.. والشعب الذى اختار الله!

يعتقد اليهودى ـ أيضاً ـ أن الله سبحانه وتعالى يسكن السحاب والنار.. فحينما خرج سيدنا موسى عليه السلام وشعب اليهود من مصر فيما يشبه المعجزة.. وعبروا إلى سيناء سكن الله ـ كما يعتقدون ـ سار الله أمامهم عامود من النار ليكشف لهم الطريق فى ظلمة الليل.. وهنا تقول التوراة:

«.. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عامود من غمام ليهديهم الطريق.. وليلاً فى عامود من نار ليضىء لهم ليسيرا نهاراً أو ليلاً.. لم يبرح عمود الغمام نهاراً، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب».

فالله ـ كمايزعمون ـ يطوف العالم وهو يركب السحاب ليطلع على أحوال البشرية.. ولما أراد ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون له بيت فى الأرض أمر نبيه داود ومن بعده ابنه سليمان عليهما السلام ببناء الهيكل المقدس.. ليكون بيت الله فى الدنيا!

ويعتقد اليهودى أن الله يندم ويتراجع عن أحكامه.. فالرب بعد حادثة الطوفان شعر بالندم وقرر ألا يكرر هذا العمل مرة أخرى!

ويعتقدون أن الرب يمشى ويتكلم ويبكى حتى تتورم عيناه!

فقد جاء فى التوراة على لسان الرب بعد أن تهدم بيته فى الدنيا.. ودمر الأعداء هيكل سليمان.. ونشروا الفزع فى مدينة القدس:

«.. كلت عيناى من الدموع.. وجاشت أحشائى.. كبدى أريقت على الأرض من أجل حطم بنت شعب.. إذ غشى على الطفل والمرضع فى ساحات القرية!».

وفى جانب آخر من التوراة جعلوا الله يمشى ويتكلم.. فبعد أن أكل آدم من الشجرة وعصى أمر ربه فسقطت عنه وعن حواء ورقة التوت فانكشفت عورتهما.. وأسرعا يختبئان خلف شجرة بعد أن سمعا صوت أقدام الله وهو يدخل الجنة.. وحينما نادى الرب على آدم.. أجابه آدم أنه خائف منه.. ومختبىء مع زوجته!.. وهكذا لم يكن الرب- كما يعتقدون- يعرف مكان آدم فنادى عليه!

ويعتقدون أن طاعة الوالدين تطيل العمر!

كما يعبدون إلهاً واحداً لاشريك له.. ويعتبرون أن تعليق صور أو وضع تماثيل داخل البيوت نوعاً من الشرك بالله.. وقد أجملت لهم الوصايا العشر قواعد الديانة اليهودية فنصت على:

«لايكن لك آلهة أخرى تجاهى.. لاتصنع لك منحوتاً ولاصورة شىء مما فى السماء من فوق.. ولامما فى الأرض من أسفل.. ولامما فى المياه من تحت الأرض.. لاتحلف باسم الرب إلهك باطلاً.. لأن الرب لايزكى من يحلف باسمه باطلاً.. اذكر يوم السبت لتقدسه.. أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك.. لاتقتل.. لاتزنى.. لاتسرق.. لاتشهد على قريبك شهادة زور.. لاتشته بيت قريبك.. لاتشته امرأة قريبك.. ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك».

وأخطر مافى الأمر أن حاخامات وأحبار اليهود اعتبروا أن هذه الوصايا خاصة بالشعب اليهودى.. فاليهودى مطالب بألا يسرق يهودياً.. ولايزنى بيهودية.. ولايشهد زوراً على يهودى.. فإذا زنا اليهودى بمسيحية أو مسلمة فلا تقع جريمة الزنا فى حقه.. كذلك فيما لو سرق يهودى غير يهودى أو شهد زوراً ضده.. فإنه لم يرتكب ذنباً ما.. بل قام بعمل يجب أن يثاب عليه.. لأن غير اليهودية لاعرض لها.. والمال غير اليهودى حق لليهود.. ولما

كان حادث اغتيال اسحق رابين هو الحادث الأول فى تاريخ اليهود الذى يقتل فيه يهودى شخصاً آخر من اليهود.... فإن الحاخامات المتشددين فسروا الحادث بأن رابين لم يعد يهودياً من اللحظة التى أعاد فيها الأرض المقدسة للعرب.. وبالتالى لايكون «عامير» مرتكب الحادث قد خالف الوصايا العشر التى تأمره بألا يقتل.. لأن كل الوصايا موجهة إلى اليهود من أجل حماية اليهود..ولاشأن للأغيار بها!

ومن أغرب معتقدات الشعب اليهودى أن الله له كرسيان للعرش.. يجلس على كرسى الدنيا يراقب العالم والأحداث حتى يعم الخراب وتصبح البشرية مهددة بالدمار.. فإنه ينتقل إلى كرسى الرحمة لإنقاذ العالم!

ويعتقدون أن الرب يعمل من خلال جدول!

فهو ينشغل بتعليم التوراة لطلابها أول ثلاث ساعات من النهار.. ثم يحاكم العالم ويرحمه.. وفى الساعات الثلاث الثالثة يوزع الطعام على كل الشعوب.. ومع نهاية العصر ينزل إلى البحر ليلعب مع الحيتان.. ثم يتكرر نفس السيناريو من أول الليل حتى إشراقة الفجر!.. وحاشا لله سبحانه وتعالى فيما يزعمون..

واليهود هم أول من آثار قضية القصاص!

تقول التوراة لهم:

«وأن تأتى ضرر فبىء نفساً بنفس.. وعينا بعين.. وسناً بسن.. ويداً بيد..
ورجلاً برجل.. وكياً بكى.. وجراحة بجراحة»..

فهم أصحاب أول نظرية قالت أن العين بالعين والسن بالسن.. والجزاء يكون من جنس العمل..

عادات وطقوس!

تعتقد المرأة اليهودية فى إسرائيل أنها إذا أرادت حملاً سهلاً.. وولاد ميسرة، فعليها

بتعليق أحجار الياقوت حول رقبتها!.. فإذا ولدت طفلاً ذكراً أقامت له وليمة كبرى ليلة أول جمعة بعد الولادة.. ويؤكل فى هذه الوليمة الحمص.. وفى اليوم الثامن على الولادة تقوم الأم بعملية الختان للمولود.. والختان فى إسرائيل لايتم على يد جراح أو من خلال عملية جراحية داخل مستشفى أو عيادة.. وإنما له طقوس دينية مهيبة تتم داخل المعبد.. ويقوم بعملية الختان أحد الكهان أو رجال الدين المخصصين لها!

والغريب أن كل يهودى لم تجر له عملية الختان يعد كافراً.. ومقطوعاًمن شعبه.. ولايجوز له حضور الصلوات فى الأعياد كعيد الفصح.. ولايجب أن يمثل أمام ربه.. لهذا أحاط اليهود عملية الختان بمظاهر واحتفالات دينية بالغة حيث تقام الولائم.،. وتتم دعوة الأهل الأقارب والأصدقاء.. ويقدم الجميع التهانى للأبوين بترسيخ اليهودية فى هذا اليهودى الصغير.. ابنهما!.. فالختان لايقل أهمية عن التعميد!

ومن عادات اليهود ترك زوايا الحقل بغير حصاد فى موسم جنى الثمار.. والهدف أن يستفيد منها الفقراء.. والحيوانات التى لاتجد طعاماً.. كما يقدم اليهود أول الثمار المحصودة وأول مايتم خبزه من العجين على سبيل الصدقة..

ودم الذبائح فى إسرائيل يعد محرماً.. يجب غمره بالتراب فوق الأرض بعد انتهاء عملية الذبح.. ودم الذبائح التى تقدم قرباناً للرب للتكفير عن الخطايا يقوم الحاخام بوضع جزء منه على المذبح ثم ينثر الباقى على الموجودين من باب البركة..

ولايأكل اليهود مع اللحم أى نوع من منتجات الألبان.. بل يجب أن يفصل بين النوعين مدة زمنية لاتقل عن ست ساعات.. فلا يحدث أبداً أن تجلس على مائدة طعام فى إسرائيل تضم بين محتوياتها لحماً وجبناً.. أو شرائح لحم ولبناً.. هكذا تأمرهم التوراة!

وتختلف ـ مثلاً ـ عقوبة الزانى فيما لو ارتكب الزنا مع غير يهودية أو مع يهودية ليست تمت له بصلة قربى أو مع يهودية قريبة له.. فالعقوبة المغلظة وهى الإعدام تكون لزنا الأقارب.. وإن كان القانون الإسرائيلى لم يطبق أو ينفذ حالة إعدام واحدة حتى الآن.. ويتحدثون فى إسرائيل عن أحكام لأفعال غريبة:

- من اغتصب بهيمة.. يتم قتله.. وقتل البهيمة!

- من زنى بامرأة وأمها.. يتم حرقه حتى الموت.. ويتم كذلك حرق المرأة وأمها حتى الموت!

- يقتل من يمارسون الشذوذ الجنسى من الرجال!

- لاعقوبة على الشذوذ الجنسى بين النساء!

آخر الأخبار أن الطوائف اليهودية «المتحررة» تطالب الآن بإلحاح أن يسمح للشاذين جنسياً بالوصول إلى «الحاخامية».. وكانوا قد وافقوا من قبل على أن تكون المرأة.. حاخاماً!.. لكن اليهود الأرثوذكس والمتشددين يقفون لهذه المحاولات بكل عنف!

عيد المسخرة!

الأعياد اليهودية أكثر من مثيرة..

الناس فى الأعياد يفرحون.. لكن الإسرائيليين ينفخون فى الأبواق.. ويصرخون،.. ويتعالى ضجيجهم بشكل لايصدقه عقل.. وقد أطلق العرب فى إسرائيل على أحد أعيادهم «عيد المسخرة» لما يحدث فيه من انفلات وتصرفات لاتمت للأديان بصلة!

والأعياد اليهودية بعضها له أصل دينى فى التوراة والتلمود.. وبعضها اخترعه اليهود فى مناسبات يعتزون بها.. ومن هذه الأعياد:

عيد الفطير:

مدة هذا العيد سبعة أيام تبدأ من اليوم الثالث لشهر آزار.. ويصنع فيه اليهود فطيراً من عجين بلا ملح ولم يتم تخميره!.. ومناسبته كانت إعادة بناء الهيكل المقدس فى أورشليم «القدس» على يد الأشوريين..

وحينما قرروا وقتها الاحتفال بهذه المناسبة على مدار التاريخ تذكروا مناسبة خروجهم من مصر بكل مافيها من آلام وأحزان ومعجزات.. لكن أبرز الأحداث التى لاتغيب عن ذاكرتهم ليلة أخبرهم سيدنا موسى عليه السلام بضرورة الهرب معه من أرض مصر هو حدث صنع الغذاء الذى سيحتاجونه فى رحلة الهروب عبر صحراء سيناء.. كان الوقت ضيقاً ولامتسع لصنع الفطير الذى يحبونه.. فالعجين يحتاج إلى وقت للتخمير.. إلا أنهم اختاروا طعاماً يملأ المعدة دون إضاعة الوقت فى طعام جميل المذاق يعرضهم لغضب الرب.. ضحوا بالخميرة وشراء الملح وصنعوا الفطير من الدقيق والماء فقط.. وظل هذا المذاق لفطيرهم يذكرهم بالهجرة من مصر.. لهذا حددوا سبعة أيام فى العام لتناول هذا الفطير إحياءً لذكرتين.. هروب الأجداد من مصر وإعادة بناء الهيكل المقدس!.. ويسمى هذاالعيد باللغة العبرية «حج همصوت».

عيد الأنوار:

يتم الاحتفال بهذا العيد يوم ٢٥ ديسمبر من كل عام.. وتستمر الاحتفالات ثلاثة أيام أولها وآخرها عطلة.. وترجع مناسبته إلى ماقام به الأجداد من تطهير للهيكل المقدس قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. فقد قام يهوذا المكابى بإعداد تجديد المعبد وتطهير المذبح.. لذا يسمى هذا العيد ـ أيضاً ـ بعيد التجديد.

عيد الخمسين:

هذا العيد مدته يوم واحد.. تطبق فيه نفس قواعد يوم السبت.. وتسرى عليه نفس قيوده.. وسموه «عيد الخمسين» لأنه يقع فى اليوم الخمسين من اليوم الثانى لعيد الفصح.. ومناسبته نزول التوراة على موسى عليه السلام فى سيناء.. فقد نزلت التوراة فى اليوم الخمسين لليوم التالى لمغادرتهم مصر «موسى وشعبه».. ومن تقاليد وطقوس هذا العيد الذى يقع فى اليوم السادس من شهر يونيو ذهاب الرجال إلى المعابد للمثول أمام الرب وشكره.. الرجال فقط.. ولايسمح للرجل الذى لم يقم بعملية الختان لنفسه بحضور هذا الاحتفال..

كما تقدم القرابين للرب وهى كما جاءت فى المعتقدات اليهودية تقديم رغيفين من الخبز المعجون بالخميرة رمزاً لحصاد القمح الذى يتم مع الاحتفال بهذا اليوم.. كما تذبح بقرة وخروف وسبعة حملان قرباناً للرب.. يوضع جزء من دمائها على المذبح بيد الحاخام.. ويرش الحاخام باقى الدم على الحاضرين من الشعب اليهودى الذى يلتزم بتذكر الفقراء والأرامل واليتامى فى هذا اليوم!

عيد اليوبيل:

يأتى هذا العيد كل خمسين سنة بنظام دقيق جداً..

وقد اقتبس العالم كله عن اليهود فكرة الاحتفال باليوبيل الفضى «٢٥ عاماً على مناسبة ما» واليوبيل الذهبى «٥٠ عاماً على مرور نفس المناسبة» من المعتقدات اليهودية

التى تسمى العام الخمسين بسنة اليوبيل المقدسة.. وهى السنة التالية لتسع وأربعين عاماً على النحو التالى:

● سبعة أيام سبت لسبع سنينx سبع مرات.. ويكون العام الخمسين عاماًمميزاً للغاية:

● لاتزرع الأرض فيه ولاتحصد..

● ينفخ اليهود فى الأبواق فى كل الأراضى المقدسة..

● تعد سنة عبادة وراحة وعتق للعبيد..

عيد الأبواق:

يقع هذا العيد فى اليوم الأول من شهر أكتوبر.. ويستمر ثلاثة أيام.. ينفخ فيه اليهود فى الأبواق ويقومون بذبح القرابين للتكفير عن خطاياهم... هذه الذبائح تكون عادة عجلاً من البقر وكبشاً وسبعة حملان وتيساً من الماعز..

كما تقدم الذبائح مع ظهور هلال هذا اليوم وعددها إحدى عشرة ذبيحة.. ويبدأ النفخ فى الأبواق منذ هذه اللحظة إلا إذا كان هذا اليوم «يوم سبت» فلا ينفخ فى الأبواق إلا داخل الهيكل دون خارجه.. ويسمى هذا العيد ـ أيضاً ـ عيد ميلاد العالم!

عيد الخيام:

تنتشر الخيام فى هذا اليوم ـ الخامس عشر من أكتوبر ـ فوق جبال القدس وأسطح المنازل وساحات المدينة وحول الهيكل المقدس.. ويعيش اليهود فى هذه الخيام خلال فترة العيد التى تستمر ثمانية أيام.. تقيم الأسرة بأكملها داخل الخيمة.. ويرمز العيد إلى مناسبة خروج أجداد اليهود من مصر مع سيدنا موسى عليه السلام حيث أقاموا داخل الخيام فى صحراء سيناء.. فالشريعة اليهودية تأمر الأحفاد أن يمروا بنفس تجربة الأجداد.. تقول التوراة عن هذا العيد الذى يسمى ـ أيضاً ـ عيد «المظال»:

«.. واصنع لك عيد المظال سبعة أيام حيث تستغل بيدرك ومعاصرك.. واخرج فى عيدك هذا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى والغريب واليتيم والأرملة الذين فى مدنك»..

وترجع قداسة هذا اليوم إلى أن يقع فى الشهر السابع من السنة اليهودية.. ويصادف يوم حصاد الحبوب..

عيد الفصح:

واحد من أهم وأكبر الأعياد اليهودية.. إن لم يكن أهمها على الإطلاق..

وكلمة «فصح» تكتب ـ أيضاً ـ «فسح».. والمقصود بها فى معنى هذا العيد «الفرج بعد ضيق».. وإن كان معناها بالعبرية «الربيع» لأن هذا العيد يقع فى شهر «أقيف» وهو شهر الربيع..

ويستمر هذا العيد سبعة أيام.. أما مناسبته فهو يوافق يوم خروج اليهود مع سيدنا موسى عليه السلام من مصر هاربين من العبودية واستغلال فرعون لهم فى أحط وأحقر الأعمال وقتل أطفالهم وهتك أعراض نسائهم.. لهذا اعتبروا هذا اليوم يوم نجاتهم من العبودية إلى الحرية وهو ـ أيضاً ـ يوم عبور من قسوة الشتاء إلى روعة الربيع.. أما طقوس هذا العيد فتبدأ مع اليوم الأول باعتباره كيوم السبت وتنطبق عليه كل قواعد وقيود وطقوس السبت.. وكذلك يتعاملون مع اليوم السابع ـ أى اليوم الأخير ـ من أيام هذا العيد.. ويذهب الرجال إلى المعبد ليقفوا أمام الله ويقدموا القرابين.. ويذبح اليهود فى هذا العيد خروفاً أو جدياً بين غروب الشمس وسواد الليل.. ثم يشوى هذا الخوف كاملاً مع فطير وأعشاب لها طعم العلقم حيث يذكرهم هذا المرار بقسوة العبودية فى مصر ونجاة أجدادهم منها.. تقول التوراة عن هذا العيد:

«.. فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر من دار العبودية، لأن الرب أخرجكم بيد قديرة من هناك، ولايؤكل خمير، اليوم أنتم

خارجون فى شهر الإسبال.. سبعة أيام تأكل فطيراً، وفى اليوم السابع عيد للرب.. فلا يرى لك خمير ولاشىء مختمر فى جميع تخمك».

وكما يبدو من هذا النص فإن اليهود طوال هذا العيد محرم عليهم أكل أى خبائز أو أطعمة دخلت فى تكوينها عملية التخمر!.. وموعد هذا العيد هو الرابع عشر من شهر أبريل..

يوم كيبور:

ويسمى ـ أيضاً ـ بيوم الغفران أو التكفير.. وهو عيد من الأعياد الهامة والمقدسة فى إسرائيل.. ويبدأ مع غروب شمس التاسع من أكتوبر وحتى بعد غروب الشمس فى العاشر من نفس الشهر.. ويعد يوماً للعبادة والندم على الخطايا والتوبة والتكفير عن المعاصى.. ويصوم فيه اليهود كمظهر من مظاهر الطاعة للرب.. ويتعاملون مع هذا اليوم كأنه يوم سبت من حيث الطقوس والأوامر والنواهى الدينية.. تقول التوراة عن هذا اليوم:

«.. وفى هذا اليوم عينه لاتعملوا عملاً لأنه يوم كفارة.. يكفر فيه عنكم ين يدى الرب إلهكم.. فكل إنسان لايذلل نفسه فى هذا اليوم عينه يقطع من شعبه.. إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم فى التاسع من الشهر من العشاء إلى العشاء تسبتون سبتكم».

●●●

ولاتنته الأعياد اليهودية عند هذا الحد.. فهناك الاحتفال ـ أيضاً ـ بأول الشهر القمرى.. فحينما يظهر هلال أول الشهر القمرى يتعامل اليهود مع هذا اليوم كأنه يوم سبت.. ويتم الاحتفال بهذااليوم لمدة يوم واحد حيث تقدم القرابين للرب تكفيراً عن الخطايا.. ويقوم اليهود فى هذا اليوم بالنفخ فى الأبواق حيث تقول التوراة:

«.. وانفخوا فى البوق عند رأس الشهر وفى أول البدر ليوم عيدنا»..

كما يحتفل اليهود بالسنة السابعة.. وهى السنة التى تأتى بعد كل ست سنوات من زراعة الأرض.. ففى هذا العام يجب أن يترك أصحاب الأرض أراضيهم للفقراء والمحتاجين

لاستغلالها لمصلحتهم.. ويتم التعامل مع هذا العام السابع بتقاليد يوم السبت المقدس.. وتقول التوراة عن السنة السابعة:

«.. ست سنين تزرع أرضك.. وتجمع أكلها.. وفى السابعة اجمعها، وتخل عنها فيأكل منها كل من مساكين شعبك، ومافضل بعدهم يأكله وحش الصحراء، وكذلك تصنع بكرمك وزيتونك».. أى أنه فى هذه السنة تترك الأرض للمساكين والحيوانات.. ويطلق على هذا السلوك «تسبيت الأرض»..

ومن الأعياد اليهودية الشهيرة كذلك عيد «الغورييم» وهو اليوم الذى نجا فيه اليهود من الملك الفارسى بفضل سيدتهم الجميلة «أستير» التى خلصتهم من الموت والهلاك وكانت سبباً فى عودتهم إلى القدس من جديد.. وفى هذا العيد يتجمع اليهود فى الرابع عشر من مارس فى المعبد ويقومون بالصلاة الجماعية وقراءة «سفر أستير» ثم يقومون بالدعاء على «هامان» وزير المملكة الفارسية الذى دبر الخطط لإبادتهم لولا أن تدخل اليهودى «مردخاى» بذكاء شديد وانتهز فرصة خلاف ملك الفرس «أرتحشوت» مع زوجته ودفع بأجمل نساء اليهود فى هذا الوقت السيدة استير لتكون هدية اليهود للملك.. استطاعت هذه الحسناء التى لحس جمالها قائد الفرس أن تجعل من خطط الوزير هامان حبراً على ورق.. تمكنت من النفاذ إلى قلب الملك طبقاً للخطة التى وضعها اليهودى «مردخاى» لها..

جعلت الملك ينسى بين أحضانها فى لحظات كل قرارات المملكة التى يفكر فيها عظماء أمته فى سنوات.. لحظة حب ساحقة بين أستير والملك جعلته ينسى هامان وشئون الحكم.. بل ويعفو عن اليهود ويسمح لهم بالعودة إلى أورشليم «القدس».. وهكذا تؤكد الأيام أن ليالى سياسية سوداء صنعتها ليالى أخرى حمراء.. إلا أن ليالى أستير عادت على شعبها بالسعادة التاريخية فجعلوا لها عيداً يسمى ـ أيضاً ـ بعيد «مردخاى»..

أما لماذا سمى العيد أساساً بعيد «غوريم» فيرجع ذلك إلى معنى كلمة «غوريم» فى العبرية وهو القرعة.. لأن الوزير الفارسى «هامان» ظل يجرى «قرعة» لاختيار يوم يتم فيه تدمير اليهود وإقامة المجازر لهم فيه.. وجاءت القرعة بهذا اليوم.. لكن استير استطاعت أن تصل إلى مخدع الملك قبل أن ينفذ خطة إبادتهم.. وهكذا نجا الشعب اليهودى!.

ومازال اليهود يحتفلون بهذا العيد بشكل جعل العرب يسمونه عيد المسخرة لكثرة مايتناول فيه اليهود من الخمور!

هكذا يعيشون!

تناول شباب الكيبوتس طعامهم داخل قاعة الطعام الكبيرة.. ثم اتجهوا إلى قاعة أخرى أكبر.. كان الجو حاراً خانقاً.. تكاد الجدران تتحول إلى ألسنة لهب من أعماق الجحيم.. كان الشباب شبه عراة كعادتهم!.. لاتستر أجسادهم غير قطعتين من الملابس.. الشباب والفتيات معاً.. فجأة.. نادت الحسناء «أستر» على «ليفى» صديقها الوحيد من بين عشرات الشباب الذين يكتظ بهم الكيبوتس.. نظر «ليفى» نحو «استر» وفهم على الفور ماتقصده صديقته.. أسرع إليها وسط الزحام.. واستدارت «استر» بسرعة ليتمكن «ليفى» من ربط حمالات «السوتيان»!

جسد «استر» كان كالصاعقة الكهربائية!

لم يكن بمثل هذه الإثارة من قبل.. لقد وقف ليفي عشرات المرات فى نفس المكان ليعيد حمالات السوتيان إلى وضعها الطبيعى خلال السنوات الماضية.. لكن جسده لم ينتفض مثلما حدث فى تلك اللحظة.. ويبدو أن استر كانت تشعر بما يدور داخل أعماق صديقها.. ربما من لمسة يده المرتجفة فوق ظهرها الأملس.. ربما من الصمت الذى أصبح عليه ليفى منذ اتسعت حمالات السوتيان وهو يضمها إلى بعضها البعض.. وربما بخبرة الأنثى التى تحدد بمهارة فائقة مكان وزمان معركتها مع الرجل!

سألته «استر» فجأة: «مالك ياليفى؟».. لماذا لاتثرثر كعادتك؟!.. لم يرد الشاب لحظة.. لكنه جذب يد صديقته نحوه.. التقى الوجهان كما لو كانا يلتقيان لأول مرة.. اتسعت حدقتا ليفى واحمرت عيناه فجأة.. بينما وقفت استر كعصفور أمام عشه.. تترقب كلمة من لسان ليفى!.. وشباب الكيبوتس - عادة - غير متنطع وغير فضولى ويؤمن بقدسية الحياة الخاصة والحرية الفردية.. لا أحد كان يتابع الحسناء استر أو الفتى ليفى.. ولم تجد الحسناء غير أن تسأل صديقها مرة أخرى: «.. ماذا أصابك ياحبيبى.. هل لدغك عقرب؟!».. ابتسمت استر بينما ظلت ملامح ليفى ثائرة فى صمت.. عيناه تتجولان بسرعة

فوق أعظم مسرح للأنوثة فوق جسد امرأة شابة!.. ابتلع ليفى ريقه الجاف.. واستجمع قواه الخائرة ثم همس لفتاته:

«كم أريد أن أثبت لك حبى»..

أطلقت استر ضحكة طويلة متقطعة. وارتمت بين ذراعى ليفى وهى تسأله همساً: «هل تستطيع أن تقدم هذا الدليل الليلة؟!».. بادرها ليفى مقاطعاً: «الليلة موعد بعيد.. أستطيع الآن!!».. غمزت استر بعينيها وغرزت أصابعها فى شعر صدر ليفى.. ثم أودعت صدرها برفق بين ذراعى ليفى.. لكن الشاب كان متحمساً لقراره.. مشى فى اتجاه باب القاعة وخلفه كانت استر تفكر فى اللحظات القادمة.. كان واضحاً أمام عينيها أن الدليل الذى سيقدمه ليفى قوياً ودامغاً ولابد أن يحسم القضية من أول جلسة.. كانت فى قمة سعادتها.. لقد أجهزت على خصمها بالضربة القاضية.. أوراق القضية كانت جاهزة منذ وقت طويل عندها.. لكن ليفى لم يأخذها إلى جلسة الحكم إلا الآن!

بعد ساعة زمن رفعت الجلسة!

عادت استر إلى صديقاتها مرفوعة الرأس.. يشهد جسدها الجميل أنه عائد لتوه من النار والنعيم معاً!.. نار الحب تفعل بجسد المرأة ماتفعله نار الدنيا بالذهب.. تزيده لمعاناً.. وتؤكد صلابته!.. بينما كان ليفى فى تلك اللحظات يسترخى فوق أريكة من الاسفنج.. تلهث أنفاسه وتتلاحق دقات قلبه ويفيض جسده عرقاً!

تدور الأيام.. وترتفع بطن استر!

لاأحد يهتم.. ولاأحد يحقق.. لم تكن المرة الأولى.. ولن تكون الأخيرة داخل الكيبوتس. الجنس هنا كالماء والهواء.. لاقيود على العشاق.. لاشبكة ولامهر ولاشقة.. ولامأذون!.. كانت استر فى العشرين من عمرها.. وكان ليفى فى الثانية والعشرين عاماً.. كلاهما كان عاشقاً للقراءة والثرثرة فى أوقات الفراغ.. كلاهما لم يكن يفكر فيما ينشغل به رفاقهم.. كثيرون غازلوا استر من قبل.. وكثيرات حاولن إيقاع ليفى فى شباكهن.. لكن استر وليفى كانا فى عالمهما الخاص.. إنهما من عشاق التاريخ ورواياته.. طفولتهما واحدة.. أهدافهما

واحدة.. لم تشتعل النيران بينهما أبداً.. حتى لسعت ألسنة اللهب فوق «سوتيان» استر أصابع ليفى.. ثم أمسكت بباقى جسده!

أنجبت استر ولداً.. وسألها ليفى أن يتوجا غرامهما الملتهب بالزواج.. إلا أن استر طلبت مهلة جديدة وهمست إلى ليفى تطالبه بضرورة تقييد مولودهما الأول فى السجلات الرسمية أولاً!.. فالقانون لايمنع من هذا الإجراء.. ولايجبر العشاق على الزواج.. ظن كثيرون أن استر تعيد حساباتها مع ليفى.. وربما رفضت الارتباط به زوجاً فى النهاية.. يحدث هذا كثيراً.. لكن استر بعد عام آخر صارحت ليفى بما كانت تفكر فيه.. طلبت منه أن يتزوجا ويغادرا الكيبوتس بعد كل هذا العمر.. فالحياة يجب أن تأخذ شكلاً آخر!.. سألته: «لماذا لانعيش فى الموشاف؟!»..

ماهو الكيبوتس؟!

وكيف تكون الحياة فيه؟!

وماهو الموشاف؟!

وكيف تختلف الحياة داخله عن الكيبوتس؟!.. ولماذا هربت استر بزوجها وطفلها من حياة الكيبوتس.. لتصبح الآن سيدة أسرة تعول أربعة أطفال.. تعيش أجمل سنوات عمرها بين سكان الموشاف؟!

أبناء بلا آباء!

فى إسرائيل نوعان من الحياة.. حياة المدن وحياة المستوطنات.. المدن تسكنها أغلبية الشعب الإسرائيلى.. بينما تعيش الأقلية فى المستوطنات..

والمستوطنات فى إسرائيل نوعان.. الكيبوتس والموشاف.. كل نظام له قوانينه الخاصة.. وكل نظام منهما له تاريخه المستقل.. ولكى تصبح الصورة أكثر وضوحاً تعالوا نرجع حوالى تسعين عاماً إلى الوراء.. حيث كانت فلسطين عربية.. لايسكنها غير العرب وأفراد قلائل من اليهود.. وكان اليهود بعد انهيار مملكتهم فى القدس.. وتدمير الهيكل المقدس قد تشردوا وتشتتوا فى بلاد العالم حيث عاشوا فى هذه البلاد داخل مجتمعات مغلقة ليمارسوا طقوسهم الدينية بعيداً عن عيون غير اليهود... وكان يطلق على هذه التجمعات المغلقة اسم «الجيتو» أو حارات اليهود.. ومازال فى مصر نموذجاً من هذه الحارات!.. عاش اليهود غرباء فى بلاد العالم وبقيت فلسطين عربية يسكنها العرب ويحكمها الفلسطينيون.. ومع بدايات هذا القرن الذى يودع الدنيا.. فكر اليهود فى إنشاء مسمار جحا داخل فلسطين.. كانت عيونهم مازالت عليها.. وقلوبهم مازالت تتطلع إلى مدينة القدس وحائط المبكى.. كانوا يدركون أن الحل سوف يستغرق عمراً طويلاً.. لم ييأسوا.. وبدأوا أول خطوة فى رحلة الألف ميل.. اخترعوا نظام المستوطنات التى هى فى حقيقتها «جيتو» كبير.. أو حارة من حارات اليهود داخل فلسطين هذه المرة وبحجم كبير!

كانت البداية أوائل القرن العشرين حينما روجت الحركة الصهيونية لفكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى أى دولة من دول العالم.. وطن يجمع اليهود من حياة الشتات فى كل بقاع الدنيا ويكون نواة لتأسيس دولة إسرائيل!.. وتحمس الصحفى النمساوى «هرتزل» لفكرة الوطن القومى اليهودى.. ووهب عمره للدفاع عنها.. وساندته الصهيونية العالمية بقوة.. وتم ترشيح أكثر من وطن فى أكثر من دولة كأوغندا وقبرص!

وخلال هذه الفترة من بدايات القرن العشرين كانت العين ـ أيضاً ـ على فلسطين

فيما لو أتيح الأمر لهم.. لهذا بدأت الحركة الصهيونية فى تشجيع الهجرة إلى فلسطين.. ويبدأ توافد اليهود من أوروبا الشرقية فى موجات من الهجرة بعضها سراً وبعضها الآخر علانية.. وفى عام ١٩٠٣ بدأت أول جماعة يهودية مهاجرة فى إنشاء مستوطنة «داجانيا» بالقرب من بحيرة طبرية.. وأطلقوا عليها اسم «الكيبوتس» وهى كلمة عبرية معناها «الجماعة».. ووضع أصحاب أول كيبوتس نظامه الأساسى وقانونه الأبدى:

● «.. الحياة فى الكيبوتس لاتعرف الملكية الخاصة.. لاأحد يمتلك شيئاً لنفسه.. لا الرجال ولا النساء.. الانتماء لايكون إلا للكيبوتس.. لاانتماء للآباء ولا الأمهات.. الكل فى خدمة الكيبوتس.. والكيبوتس فى خدمة المجتمع.. لافرق بين كبير وصغير.. ولابين رجل وامرأة.. وبين الآباء والأبناء.. الكيبوتس مقام على أرض شاسعة.. يدير أفراده أكثر من مشروع.. مزارع.. انتاج ألبان.. إنتاج بيض.. تربية طيور أوعجول.. زراعة فاكهة أو طماطم أو حبوب.. كل هذه المشروعات قد تجتمع داخل كيبوتس واحد.. الكل يعمل.. هناك فريق يتولى طهو الطعام.. وفريق يتولى النظافة.. وثالث مهمته الأعمال الزراعية.. ورابع يتولى الأعمال الحرفية.. مجتمع يعتمد على الاكتفاء الذاتى.. المجتمع يأخذ من الكيبوتس بينما الكيبوتس لايأخذ من المجتمع.. حصيلة إنتاج الكيبوتس توزع على كل العاملين فيه بلا تفرقة.. الحاصل على الدكتوراة مثل الذى لايعرف الألف من كوز الذرة!.. لاأحد يتقاضى مقابل عمله بمفرده.. الدخل للجميع.. والعطاء للكيبوتس.. لايشترط الزواج فى العلاقات الثنائية بين الشباب والفتيات.. والأطفال لايرتبطون بأمهاتهم.. فالآباء يقيمون فى قاعات.. والأطفال منذ ولادتهم فى قاعات أخرى.. لايجتمع شمل الأسرة إلا فى داخل قاعة الطعام.. ولفترة محدودة.. الطفل فى سن الرضاعة ينفصل عن أمه.. لايجب أن يعتمد على أحد منذ نعومة أظافره.. الأطفال فى سن الرضاعة تشرف عليهم مربيات.. وبعد الفطام تغادرهم المربيات.. ليشرف الصغار بعضهم على بعض.. فأبناء إسرائيل يجب ألا تتحكم فيهم عواطفهم.. أو تضعفهم علاقاتهم بالأب والأم بالاعتماد عليهما فى كل شىء.. يكبر الأطفال فى قاعاتهم.. وتمضى الأيام بالأب والأم فى قاعات أخرى!.. ويدخل الأطفال المدارس داخل الكيبوتس ليتعلموا العبرية واليهودية ومناهج العلوم ونظريات العلم.. ويتنزهون فى رياض

الكيبوتس.. ويقرأون الكتب فى مكتباته.. وحينما يصلون إلى سن الشباب والعمل ينخرطون فى مجتمع الكيبوتس العملى حيث يعمل الجميع بلا أجر ثابت.. ويعيش الجميع دون دفع نفقات الحياة.. فالمسكن والطعام والتعليم متاح للجميع.. حتى السيارات والدراجات والملابس تخضع للملكية العامة.. فالشخص لايملك حتى ملابسه الداخلية!

مع الوقت تضاعف عدد الكيبوتسات فى فلسطين!

لم يشعر العرب بالطابع السياسى للكيبوتس.. اعتبروه من قبيل «الجيتو» الذى يعشق اليهود الحياة داخله بعيداً عن الآخرين..

ومع الوقت انشق بعض سكان الكيبوتس عن الباقين!

تمردوا على قوانين الكيبوتسات.. خاصة العلاقات الجنسية غير المشروعة التى تحرمها التوراة..ويأنف منها المتدينون..

فكروا فى نظام جديد يعتمد على الأسرة وينبذ الزنا.. يحترم الملكية الخاصة ويلفظ الملكية العامة.. مجتمع يتربى فيه الأولاد بين أحضان أمهاتهم.. ومن هنا ظهر نظام «الموشاف».. وهى كلمة عبرية معناها «المستوطنة».. وبدأ بعض اليهود فى إنشاء «الموشاف» بالفعل.. وهو مجتمع عائلى للغاية.. أهم ملامحه أن كل أسرة مستقلة عن الأخرى.. كل أسرة لها قطعة أرض صغيرة تمتلكها.. وكل أسرة تعيش فى منزل خاص بها.. لها سيارتها وحياتها الخاصة.. كما أن الموشاف على عكس الكيبوتس يدير سكانه كلهم مشروعاً واحداً.. إنتاج فواكه.. أو مزارع دواجن.. أو مزارع حيوانات.. أو إنتاج ألبان.. مشروع مستقل يخضع لميزانية مستقلة. بينما يكون بمقدور كل أسرة أن تعرض فى أسواق المدن الإنتاج الخاص بها.. ويصبح الثمن من حقها وحدها!..

يبقى فارق آخر يتعلق بالأمن.. فالكيبوتس تحرسه الحكومة الإسرائيلية.. والموشاف تتولى حراسته قوة مشتركة من أعضاء الموشاف وجنود الجيش الإسرائيلى حتى غروب الشمس.. وفى الليل يتناوب السكان من خلال جدول خاص بأيام الأسبوع حراسة الموشاف!..

عموماً مجتمع الكيبوتس أو الموشاف له جمعية عمومية ومجلس إدارة يتم اختيار أعضائه بالانتخاب!

وفى إسرائيل ٣٧٠ كيبوتس يعيش فيها الآن حوالى ٣٪ من سكان إسرائيل.. وفيها ٤٥٠ موشاف يعيش فيها ٤٪ من السكان فى دولة إسرائيل.. ويتراوح عدد الأسر فى كل موشاف بين ٦٠و٧٠ عائلة..

وإذا كانت هذه هى آخر الإحصائيات فى الوقت الحاضر فإن منتصف القرن العشرين لم تختلف فيه الأحوال عما هى عليه الآن.. فبعد أن تأسست دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وبدأ تدفق موجات الهجرة بالآلاف من كل أنحاء العالم كان للكيبوتس مهام محددة لعبت دوراً بارزاً.. ومازالت تلعبه حتى الآن فى التاريخ اليهودى.. كان الكيبوتس هو المعسكر الذى يستقبل المهاجرين من بقاع العالم المختلفة.. وداخله يبدأ تشكيل الشخصية اليهودية للمهاجر.. يتعلم العبرية ويدرس التوراة والتلمود ويتدرب على أشق المهام ثم يخرج إلى المجتمع الإسرائيل كأنه يعيش فيه من مئات السنين.. فالتجنيد لن يكون أكثر قسوة من حياة الكيبوتس الجافة.. والبطالة لن تصادف خريج الكيبوتس.. لقد تعلم مهنة جديدة فى حياته بالكيبوتس التى تشبه حياة المعسكرات.. وبعد حرب ١٩٦٧ وهزيمة العرب القاسية زادت موجات الهجرة من كل أنحاء العالم بعدما تبدد خوف اليهود من أن يأتى يوم يلقى بهم العرب فيه إلى البحر!

وعرفت الكيبوتسات والموشاف زحاماً لم تشهده من قبل من يهود أوروبا والاتحاد السوفيتى. يهود الشرق الأوسط وأثيوبيا.. وتميزت ملامح المهاجرين اليهود فى ثلاثة أشكال مازالت تعرفها إسرائيل حتى الآن:

اليهود السفارديم:

هم أحفاد اليهود الذين طردوا من أسبانيا والبرتغال وسكنوا تركيا وبعض دول أوروبا مثل هولندا.. وإيطاليا.. وبلغاريا.. واليونان. هؤلاء هاجروا إلى إسرائيل فى موجات متفرقة أحياناً كأفراد وأحياناً أخرى على شكل جماعات..

اليهود الأشكناز:

وهم يهود من أصل أوروبي.. وهاجروا إلى أمريكا واستراليا وجنوب أفريقيا.. ثم هاجروا إلى إسرائيل مع بدايات القرن العشرين وساهموا كثيراً في الحركة الصهيونية.. وقامت دولة إسرائيل على أكتافهم.. واحتلوا المقاعد والمناصب القيادية في الجيش والحكومة حتى الآن.. ومن بينهم رابين وبيريز وديان وشامير وقد بدأوا حياتهم في إسرائيل داخل الكيبوتسات.. واشتغلوا بالزراعة وحلب الأبقار!

يهود الشرق الأوسط:

وهم الذين هاجروا من الأقطار الإسلامية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كالمغرب وتونس.والجزائر.. ومنهم من أتى من مصر والعراق واليمن.. وهؤلاء سكنوا المستوطنات داخل إسرائيل قبل اندماجهم في المجتمع اليهودي الجديد..

الفلاشا:

هم اليهود المهاجرين من أثيوبيا.. وهناك اعتقاد أنهم من نسل سيدنا سليمان عليه السلام بعد زواجه من الملكة بلقيس وهجرتهما إلى الحبشة!.. وتم نقلهم إلى إسرائيل في الثمانينات بأكثر من عملية جوية إسرائيلية أذهلت العالم!.

رغم هذا يشعر يهود الفلاشا بالظلم والتفرقة العنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي.. ويعتقدون أن لون بشرتهم الأسود هو سبب المصائب التي تصادفهم.. وقد عايشت وأنا في إسرائيل مظاهرات نارية من يهود الفلاشا ضد رئيس الوزراء ووزير الصحة والحكومة الإسرائيلية.. وكان السبب هو دم يهود الفلاشا.. فقد ذهب عدد كبير منهم إلى بنوك الدم للتبرع بدمائهم.. وهو تبرع إنساني يحرص عليه اليهود جميعاً.. لكن يهود الفلاشا اكتشفوا أن بنك الدم قام بالتخلص من دمائهم في المجاري!.. ألقوا به في الصرف الصحي في غفلة من أبناء الفلاشا الذين ثاروا لكرامتهم وهاجموا مقر الحكومة في القدس

يطالبون بالقصاص من وزير الصحة صاحب القرار الغريب.. لكن وزيرالصحة الإسرائيلى لم يتردد فى كشف المستور وراء قرار إلقاء دم يهود الفلاشا فى المجارى..

قال وزير الصحة أن تحليل عينات الدم أثبت أن أكثر من ٦٠٪ من يهود الفلاشا مصابون بفيروس الإيدز!

لكن هذا المبرر لم يقنع أبناءالفلاشا.. ويبدو أن هناك صدامات أخرى سوف يشهدها المستقبل القريب بينهم وبين الحكومة الإسرائيلية بسبب إحساسهم المتزايد بالتفرقة العنصرية..

●●●

وقبل أن نترك المستوطنات الإسرائيلية بكل ماتشكله من عقبات أمام نسائم السلام.. خاصة إذا وصل المتدينون والمتطرفون إلى الحكم فى إسرائيل.. لابد أن نتذكر أن فكرة المستوطنات بدأت من باب تدعيم الاحتلال ونزع الهوية العربية من أرض فلسطين وفرض سياسة الأمر الواقع.. وهى الآن من الصخور القاتلة التى تسد الطريق أمام مفاوضات السلام.. لأن عدداً كبيراً من الموشاف.. وعدداً آخر من الكيبوتسات تقع داخل الأراضى العربية التى وقع قادة إسرائيل على إعادتها للسيادة العربية.. وبالتالى هاجم سكان المستوطنات حكام إسرائيل ونددوا بالسلام الذى يطردهم من الأراضى التى أصبحت من وجهة نظرهم ملكاً خاصاً لصالحهم.. وكانت الطامة الكبرى لهم أن حكومة رابين ومن بعدها حكومة بيريز وضعت لهم خيارين لاثالث لهم.. إما أن يتركوا المستوطنات مع أخذ التعويض المناسب.. وإما أن يظلوا فيها تحت الحكم العربى!.. لكن المتطرفين والمتشددين لهم رأى آخر.. وربما كسبوا الجولة من حزب العمل وسحبوا البساط من تحت أقدام بيريز وهزموه فى الانتخابات القادمة.. وربما أتى الليكود إلى الحكم بزعامة بنيامين نتنياهو ليحكم الحاخامات إسرائيل.. وتصبح التضحية بالمستوطنات من قبيل المستحيل!

هكذا يعيشون فى إسرائيل.. حياتهم داخل المدن تشبه إلى حد كبير حياة الأوروبيين.. وحياتهم داخل المستوطنات التى ينفردون بها عن باقى دول العالم.. سواء كانت هذه

المستوطنات من الكيبوتسات أو الموشاف.. وسواء كان اليهودى فى إسرائيل من الأشكناز أو السفارديم أو الفلاشا أو يهود الشرق الأوسط.. لكن هناك فى إسرائيل ماهو أغرب.. ولكن علينا أن نتعرف أولاً على شكل النظام السياسى فى إسرائيل حتى نعبر إلى المزيد من التقسيمات والتنويعات والفرق والطوائف داخل دولة إسرائيل الصغيرة!

نظام الحكم ديمقراطى برلمانى.. ويقف على رأس نظام الحكم رئيس الدولة.. والرئيس فى إسرائيل يسود ولايحكم كما هو الحال فى المملكة البريطانية.. الرئيس له مهام شكلية وطقسية، فهو يدعو الكنيست للانعقاد.. ويقبل أوراق اعتماد السفراء ويوقع على المعاهدات والقوانين التى خرجت من الكنيست قبل تطبيقها.. كما يعين محافظ البنك المركزى الإسرائيلى ويعين القضاة ويعفو عن المساجين!

مدة الرئاسة خمس سنوات.. ولاتزيد عن دورتين.. ويكون الرئيس رمزاً لوحدة إسرائيل رغم اختلاف الأحزاب.. وقد شهدت إسرائيل منذ قيامها وحتى الآن ستة رؤساء: حاييم فايتسمان.. إسحاق بن تسب (وترأس إسرائيل دورتين) وإفراييم كنسبر (ترأس إسرائيل دورتين).. وإسحاق نافون.. وحاييم هرتسرج (ترأس إسرائيل دورتين).. وأخيراً عزرا فايتسمان وهو جنرال سابق بالجيش ورجل سياسة.. ورجل أعمال!

ويأتى بعد الرئيس السلطة التشريعية وتتكون من برلمان إسرائيل المعروف باسم «الكنيست».. وتجرى انتخابات الكنيست كل أربع سنوات.. وينتخب الناخب على بطاقتين إحداهما لقائمة الحزب الذى يريده.. والثانية لاختيار رئيس الحكومة.. ويقوم الكنيست بانتخاب رئيس الدولة.. ويجب أن يكون رئيس الحكومة عضواً فى الكنيست..

أما السلطة التنفيذية فيقوم بها مجلس الوزراء.. ويسمى الحكومة.. ويطلق على رئيس الوزراء رئيس الحكومة.. ويجب أن يحصل حزبه على الأغلبية فى الانتخابات التشريعية ليتمكن من تشكيل الحكومة.. ولايشترط أن يكون كل الوزراء المختارين من أعضاء الكنيست.. ولم يحدث أن حصل حزب فى إسرائيل على الأغلبية التى تمكنه من تشكيل الحكومة بمفرده.. ولكن كانت نتائج الانتخابات ـ دائماً ـ تأتى بحزب حاصل على أغلبية

ضئيلة مما يدفعه إلى التحالف مع الأحزاب الأخرى الصغيرة حتى يحصل على النصاب الذى يمكنه من تشكيل الحكومة الجديدة وهو الحصول على ثقة ٦١ عضواً من أعضاء الكنيست البالغ عددهم ١٢٠ عضواً.. وهذا سبب تعاقب الحكومات الائتلافية فى إسرائيل.. وشهدت إسرائيل ١١ رئيساً للوزراء: بن جوريون وشاريت وبن جوريون وأشكول وجولدا مائير ورابين وبيجين وبيريز وشامير ورابين وبيريز..

تأتى بعد ذلك السلطة القضائية المكونة من جهاز المحاكم والنائب العام.. لكن مايعنينا الآن هو التكتلات السياسية العديدة التى تزخر بها إسرائيل.. فكل مجموعة أحزاب تنصهر داخل تكتل سياسى كبير يلعب دوراً مؤثراً فى الحياة العامة والسياسية..

تكتل الليكود مثلاً ويتكون من الأحزاب الدينية والقومية.. ومن تكتل الليكود وصل إلى منصب رئيس الحكومة الإسرائيلى فى السنوات الأخيرة بيجين وشامير.. وبنيامين نتنياهو زعيم الليكود الجديد..

تكتل العمل:

ويتكون من الأحزاب الاشتراكية والديمقراطية.. وقد ترأس منه وزراء إسرائيل فى السنوات الأخيرة شمعون بيريز.. وهو تكتل يميل إلى السلام مع العرب ويؤمن بسياسة الأرض مقابل السلام..

تكتل اليهود السوفيت:

وهم المهاجرون من الاتحاد السوفيتى والذين أتوا بالآلاف بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.. وأصبحوا يشكلون ركيزة كبيرة داخل إسرائيل.. وإن كان هناك من يؤكد أن ٧٠٪ من هؤلاء المهاجرين مسيحيون ارتدوا ثوب اليهودية ليجدوا مكاناً يعيشون فيه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانتشار الفقر والكساد!.. وقد حصل هؤلاء على نسبة لابأس بها من مقاعد البرلمان!

تكتل عرب إسرائيل:

ليس غريباً أن تقابل فى إسرائيل شخصاً مسلماً.. اسمه محمد.. وإذا نظرت فى هويته سوف تجد جنسيته إسرائيلى!

إنه يعامل مثل يهود إسرائيل تماماً.. وقد اتبعت إسرائيل سياسة ماكرة لاستقطاب عدد كبير من العرب سواء الفلسطينيين أصحاب الأرض أو الدروز الذين يعيشون فى الجولان أيضاً.. لقد واجهتهم إسرائيل بسياسات القهر والقمع.. ومنعت عن العرب تملك الأراضى.. وسمحت لليهود ببناء المستوطنات بشرط أن تكون فى أرض عربية!.. ووضعت العراقيل والمتاريس أمام شئون الحياة اليومية للعرب من باب التطفيش أو الاستسلام.. والاستسلام يعنى أن يتقدم العربى بطلب للحصول على الجنسية الإسرائيلية.. هنا- فقط- يمكنه أن يحيا فى إسرائيل بشكل ميسر يقترب من المزايا الممنوحة لليهود المهاجرين.. فإذا قبلت السلطات الإسرائيلية هذا العربى طالب الجنسية عضواً فى شعبها أصبح بالتالى عضواً فى تكتل عرب إسرائيل!..

وقد رفض العرب بالملايين هذا الإغراء الخبيث.. لكن أقليه عرباً آخرين قبلوا وبينهم عدد كبير من الدروز.. عموماً.. يرفض العرب بوجه عام مبررات هذاالفريق الذى حصل على الجنسية الإسرائيلية.. وأصبح مشتت الولاء بين عروبته والدولة التى يحمل جنيستها ويدافع عن أمنها وسلامتها.. إلا أن هؤلاء لديهم مايبررون به هذا السلوك.. فهم يرون أن اليهود فى أمريكا شكلوا لوبى خطيراً يتحكم الآن فى سياسة واقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية بما يعود بالنفع على إسرائيل.. ويرى هؤلاء أنهم لوبى عربى فى قلب دولة إسرائيل يمكنه أن يلعب دوراً كبيراً فى خدمة القضية الفلسطينية.. خاصة بعد أن وصلوا إلى الكنيست واحتلوا عدداً من مقاعده!

لاكليات عسكرية!

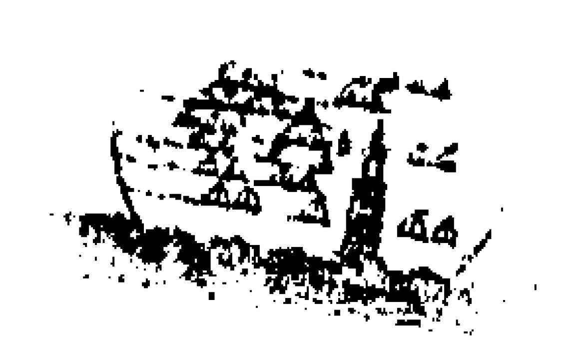
يسمى الجيش الإسرائيلي بجيش الدفاع.. والتجنيد فيه إلزامي للرجال والنساء معاً.. وتعفى منه النساء المتزوجات في سن الثامنة عشرة وهو سن التجنيد للذكور والإناث..

مدة التجنيد للرجال ثلاث سنوات وللمرأة سنتان.. ويستدعى الرجال للخدمة في قوات الاحتياط حتى سن ٥١ عاماً، خمسة أسابيع كل عام.. وتستدعى النساء للاحتياط حتى سن ٢٤ عاماً.. ويلعب الجيش مهام أخرى غير الدفاع عن إسرائيل وتحقيق أحلامها..

فالرجال يقومون بمحو الأمية ومساعدة المهاجرين الجدد.. وتقوم المجندات بالتدريس المجاني في المناطق العمرانية الجديدة.. وبوجه عام يمكن القول أن الشعب هو الجيش والعكس صحيح.. فالكل يحمل السلاح!

ولاتوجد في إسرائيل كليات عسكرية كالحربية والشرطة والطيران.. وإنما يتم اختيار الضباط من بين جنود الجيش الذين يظهر تميزهم في الذكاء واللياقة، والتفوق في مجالات معينة.. وتمتد فترة خدمة الضباط ٢٠ عاماً قابلة للتجديد من طرفه.. وتتم ترقيته بنفس أسلوب اختياره ضابطاً.. وطبقاً لما يظهره من كفاءة تؤهله لتقدم الصفوف..

ويؤجل التجنيد للشباب المتدينيين والمتطرفين طوال التحاقهم بمعاهد «الكوليل» لدراسة التوراة.. ويمكن إلحاقهم بعد ذلك بالجيش لفترة زمنية لاتتجاوز ثلاثة أو أربعة أشهر يؤدون خلالها مهام محددة تتعلق بالطقوس والشعائر الدينية للمجندين..



صورة بالأرقام

تقع إسرائيل على حدود الأردن شرقاً ولبنان شمالاً وسورياً من الشمال الشرقي ومصر من الجنوب الغربي.. مساحة أراضيها ٤٧٠ كيلو متراً.. وعرضها لايزيد عن ١٣٠ كيلومتراً.. تمثل الجبال ١٦٪ من المساحة وتمثل الوديان ٢٥٪ والسواحل ٥٪ والمناطق القاحلة ٤٥٪.. عدد السكان يقترب من ستة ملايين مواطن.. موزعون على النحو التالي:

«.. نسبة السكان اليهود ٨٢٪ من عدد السكان و١٨٪ من غير اليهود وهم: المسلمون وعددهم يقترب من المليون ويشكلون ٧٦٪ من غير اليهود.. المسيحيون ويقترب عددهم من ١٥٠,٠٠٠ مسيحي.. أما الدروز فيصل عددهم إلى ٨٠,٠٠٠ درزي.. ويصل عدد الشراكسة إلى ثلاثة آلاف شركسي وهم من المسلمين السنيين ويعيشون في شمال البلاد.. أي أنه إذا كان اليهود يشكلون ٨٢٪ من عدد السكان فإن المسلمين يشكلون ١٤,٥٪ وباقي الـ ١٨٪ من أقليات أخرى..

نسبة اليهود داخل إسرائيل بالنسبة لباقي يهود العالم ٣٣٪.. أي أن ثلث يهود العالم يعيشون في إسرائيل.. متوسط الأعمار ٧٨ عاماً للإناث و٧٤ عاماً للذكور.. ونسبة الوفيات بين الأطفال ٧,٨٪.

أهم الجامعات في إسرائيل الجامعة العبرية في القدس.. والمعهد التكنولوجي.. ومعهد فايتسمان للعلوم وجامعة بار إيلان وجامعة تل أبيب وجامعة حيفا وجامعة بن جوريون.. يدرس بالجامعات حوالي ٩٢ ألف طالب تخصص معظمهم في العلوم الاجتماعية ٢٩٪.. وأقلهم في الزراعة ٢٪.. بينما يدرس القانون ٤٪ والطب ٧٪ والهندسة ١٣٪ والعلوم الإنسانية ٢٨٪..

عدد التلاميذ في المدارس مليون و٦٥٤,٠٠٠ تلميذاً يدرسون في الروضة قبل سن خمس سنوات ثم الابتدائي.. ونسبة السكان الذي أتموا دراستهم ٢٩٪ من عدد السكان..

كما أن الدراسة للأطفال فى الثانية أو الثالثة من عمرهم لاتكون إلزامية ولامجانية.. بينما الدراسة فى الروضة لمن بلغ الخامسة تكون مجانية وإلزامية..

عدد المدن فى إسرائيل ١٢٤ مدينة أهمها القدس وتل أبيب ويافا وحيفا وبئر السبع وإيلات وصفد وطبريا.. وكان عدد المدن فى الستينات ٥٣ مدينة فقط.. أصبح فى السبعينات ٧٦ مدينة.. وفى الثمانينات ٩٧ مدينة.. وتمثل أوربا مركز الصدارة فى هجرة اليهود إلى إسرائيل حيث وفد منها ٥٦٪ من عدد المهاجرين.. ووفد من أفريقيا ٢٠٪.. ومن آسيا ١٥٪.. ومن أمريكا ٨٪.. ومن أماكن أخرى غير معلومة ١٪..

وطبقاً لآخر الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية يعيش فى المدن ٩٠٪ من السكان و١٠٪ منهم يعيشون فى الكيبوتس والموشاف والقرى.

يرتاد المسارح كل شهر ١٠٪ من السكان البالغين.. ويقوم بالمسابقات الرياضية ١٠٪ ـ أيضاً ـ ويحضر العروض الترفيهية ١٢٪ ويزور المتاحف ٦٪ ويحضر الحفلات الموسيقية ٣,٦٪.

ميزانية الدولة فى إسرائيل ٤٨ مليار دولار.. يزور إسرائيل كل عام مليون و٨٦٠,٠٠٠ ألف سائح.. ويسافر من مطاراتها عبر الأجواء الجوية كل عام خمسة ملايين و٢١٩,٠٠٠ ألف راكب.. ويمتلك سيارات خاصة داخل إسرائيل حوالى مليون مواطن.. ويمتلك تليفوناً مليون و٩٥٨,٠٠٠ مواطن..

تصدر إسرائيل منتجات بعشرين مليار دولار وتستورد بضائع وخدمات بـ ٢٩ مليار دولار.. بينما ١٧٪ من الواردات تأتى من أمريكا التى يذهب إليها ٣٠٪ من الصادرات.. كما تبلغ نسبة التعامل مع دول المجموعة الأوروبية ٥٠٪ من الواردات و٣٥٪ من الصادرات..

ومن الإحصائيات الطريفة أنه يوجد بإسرائيل ٣٨٠ نوعاً من أنواع الطيور.. وحوالى ١٦٠ نوعاً من الحيوانات الثديية والزاحفة و٣٠٠٠ نوع من أنواع النباتات منها ١٥٠ نوعاً

تنمو أصلاً فى إسرائيل.. كما أنه هناك ١٢٠ محمية طبيعية على مساحة ألف كيلو متر مربع..

أما الحيوانات فلها عناية خاصة من قبل أجهزة «البلدية» فى مدن إسرائيل.. نادراً مايصادفك حيوان ضال.. أو ترى حماراً هزيلاً يجر عربة تنوء عن جرها الجياد.. وللحيوانات حدائق شهيرة مثل حديقة الحيوان بالقدس وتضم حيوانات ورد ذكرها فى التوراة.. وفى تل أبيب توجد حديقة أخرى مشابهة.. وكذلك فى إيلات ورامات.. كما توجد فى شمال إيلات أراض شاسعة تعيش فيها حيوانات متوحشة محظور صيدها!

عزاء بلا موتى!

ومن أغرب عادات اليهود المتدينين اعتبار اليهودى الذى تزوج من غير يهودية أو يهودية محولة من ديانة أخرى أنه قد مات!

تقيم أسرته سرادق العزاء.. ويمزقون ملابسهم.. ويلطمون خدودهم.. ويتلقون العزاء فى ابنهم ـ الذى باع دينه من أجل مراده ـ وهم يجلسون فوق مقاعد منخفضة!

بعض العائلات المتدينة لاتأخذ بعادة تلقى العزاء.. وإنما بإجراء آخر أشد وأعنف هو حرمان هذا الابن العاق لدينه ولأسرته من ميراث الآباء والأجداد.. فلا حق له تجاههم منذ زواجه هذا!.

ومن أغرب القوانين اليهودية فى مسائل الأحوال الشخصية أن اليهودية المحولة من ديانة أخرى لاتتزوج إلا يهودياً محولاً مثلها.. تماماً كابن الحرام لايتزوج إلا ابنة حرام!.. ولايسمح لمن يخرج عن قانون الأحوال الشخصية بإقامة طقوس الزواج فى المعبد اليهودى «الكنيس».. لكن يمكن لأصحاب هذه الحالات السفر إلى خارج إسرائيل وإتمام زواجهم ثم العودة من جديد.. لكن المؤكد أن أطفالهم سوف يدفعون الثمن بدلاً منهم.. لأن الصغار إذا لم يكن زواج والديهما معترفاً به لدى الحاخامات الأرثوذكس لن يسمح لهم بدخول المدارس اليهودية الدينية.. ولا الزواج فى المعابد اليهودية عند بلوغهم سن الزواج!!

يهود وصهاينة وإسرائيليون!

ومن الغريب ـ أيضاً ـ فى إسرائيل أنك قد تقابل يهودياً لكنه ليس صهيونياً.. فهو لايعترف بالصهيونية وقد يعتبرها حركة وثنية!.. كما تقابل فى بعض الأحيان يهودياً وليس إسرائيلياً.. لأنه لم يحصل بعد على الجنسية الإسرائيلية.. بل قد تقابل إسرائيلياً وليس يهودياً.. إنما هو مسلم أو مسيحى لأنه حصل ـ فقط ـ على الجنسية الإسرائيلية..

وقد تقابل صهيونياً وليس يهودياً فهناك من يشجعون إقامة وطن قومى لليهود ويؤمنون بالصهيونية إيماناً راسخاً.. لكنهم ليسوا يهوداً.. ولم يحصلوا على الجنسية الإسرائيلية.. ويأتون إلى إسرائيل للسياحة..

اللغة العبرية.. حكايات وأسرار!

«.. إسرائيل كلمة عبرية، مكونة من جزئين.. «إسرا» ومعناها صارع و«ايل» معناها الرب.. ويعتقدون أن الرب تجسد فى شكل رجل وصارع سيدنا يعقوب.. لذا اطلق عليه «صارع الرب».. وهى كلمة واحدة بالعبرية.. «إسرائيل».. وفى تفسير القرطبى تعنى كلمة «إسرا» عبد.. و«ايل» تعنى الرب.. أى أن «إسرائيل» التى اطلقت على يعقوب تعنى «عبد الرب».. وفى اللغة العبرية كلمات كثيرة تدل على معانٍ اجتماعية ذات مقاطع كبيرة لانظير لها فى العالم كله.. سوى إسرائيل»..

يعتقد اليهود أن اللغة المقدسة فى الدنيا.. هى اللغة العبرية!

السبب وراء هذا الاعتقاد اعتقاد آخر بأن آدم وحواء كانا يتكلمان اللغة العبرية.. وأن الله حينما كلم سيدنا موسى عليه السلام كلمه باللغة العبرية.. كما أن لغة التوراة والعهد القديم كانت ـ أيضاً ـ العبرية!!

الغريب أن اللغة العبرية تشبه مفرداتها إلى حد كبير مفردات اللغة العربية.. وسوف نستعرض العديد من هذه المفردات التى يستخدمها الشعب اليهودى داخل إسرائيل فى حياته اليومية الآن بعد أن كانت لغة مهجورة من اليهود أنفسهم.. كما يجيدها عرب فلسطين.. بل يمكن لأى شخص أن يجيدها خلال خمسة أشهر على الأكثر.

لكن تعالوا نبدأ من البداية حتى نصل إلى أصل الحكاية.. حكاية اللغة العبرية!

●●●

لماذا سميت بالعبرية؟!

التاريخ يقول أن وصف «العبرية» أتى أصلاً من وصف عابر.. أو عبرانى.. وكان يطلق على القوم الذين يتركون أوطانهم ويعبرون أراضى أخرى خلال ترحالهم حتى يسكنوا بلداً جديداً غير بلدهم الأصلى.. ويقول التاريخ أن هذا الوصف كان يطلق على قبائل عديدة قبل ظهور الديانة اليهودية بمئات السنين.. لكن حاخامات اليهود حاولوا منذ زمن بعيد أن يربطوا بين كلمتى العبرية واليهودية.. وادعوا أن وصف «العبرانيون» قد أطلق على اليهود

الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين.. وعبروا البحر الميت.. وبسبب هذا العبور كان وصفهم بالعبرانيين!!

وتهدف هذه المحاولات اليهودية إلى زعم وجود حق مقدس فى أرض الميعاد بفلسطين.. طالما أن اليهود «العبرانيين» وصلوا إليها منذ آلاف السنين!

وكيف أصبحت العبرية لغة التخاطب بين أبناء الشعب اليهودى؟!

ظلت اللغة العبرية أكثر من ألف عام بعد نزول الديانة اليهودية لغة مهجورة لاتستخدم إلا فى الطقوس الدينية والصلوات ودراسة التوراة والعهد القديم.. أى كان استخدامها لايتجاوز استخدام دينى فسحب.. وإن كانت قد استخدمت أيضاً فى كتابة العبارات الحزينة فوق المقابر اليهودية حتى كان عام ١٨٥٨ بالتقويم الميلادى.. ظهر **اليعزر بن يهودا** ليحمل لواء إحياء اللغة العبرية.. ودفعها إلى أن تصبح لغة التداول والتخاطب بين اليهود داخل بيوتهم وخلال حياتهم اليومية.. بل أنشأ من عنده كلمات ومفردات جديدة وأصدر مجلة خاصة باللغة العبرية فى القدس عام ١٨٨٤ ثم أنشأ مجلس اللغة العبرية عام ١٨٩٠.

وفى سنة ١٩١٠ ميلادية بدأ فى تأليف أول قاموس شامل للغة العبرية يضم مفرداتها القديمة والحديثة معاً.. وعندما توفى عام ١٩٢٢ لم يكن قد انتهى من تأليف القاموس بعد.. إلا أن أرملته وابنه الوحيد أصرا على إتمام القاموس حتى تمكنا من إصداره عام ١٩٥٩..

عموماً اعترفت الحكومة الإسرائيلية عقب قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ باللغة العبرية لغة رسمية للبلاد إلى جانب اللغتين العربية والإنجليزية. وبعد أن كانت مفردات العبرية لاتزيد عن ٨آلاف كلمة فى عهود التوراة.. أصبح عدد مفردات الغبرية الآن مائة وعشرين ألف كلمة.. وأضحى تدريسها إلزامياً لأطفال المدارس منذ نعومة أظافرهم... بل وأنشئت معاهد على أحدث مستوى لتعليم اللغة العبرية داخل إسرائيل فى مدة لاتزيد عن خمسة أشهر!!

ولماذا أثارت بعض المفردات أو المصطلحات جدلاً كبيراً؟!

المثير أن معظم مفردات اللغة العبرية عبارة عن كلمات قديمة أطلقوها على معنى اجتماعى لانظير له إلا فى دولة إسرائيل..

أى أن كلمة أو كلمتين.. مجرد مصطلح.. يمكن أن يشرح معنى يحتاج إلى عدة سطور لبيان معناه.. من ذلك مثلاً:

«كلمة «**كيبوتس**» معناه فى اللغة العبرية «الجماعة».. بينما معناها الآن ينصرف إلى الحياة داخل المعسكرات التى لاتعترف بالملكية الفردية.. ويعيش فيها الفرد يمنح جهده وعرقه لهذا المعسكر أو ذاك.. مقابل أن يوفر له المعسكر طعامه وملبسه والمأوى وكل مايحتاج إليه من أعباء!

كلمة «**السابرا**» تعنى فى اللغة العبرية القديمة «التين الشوكى».. لكنهم يستخدمونها فى إسرائيل الآن للتعبير عن جيل الشباب الذى ولد فوق أرض فلسطين وعاش فيها!..

لكن لماذا وصف «التين الشوكى»؟ ..

ترجع التسمية إلى حكاية كانت تحدث كثيراً أيام الانتداب البريطانى فى العشرينات.. وبدأت بالتحديد بين تلاميذ مدرسة «هرتزل» الثانوية بتل أبيب.. ففى هذا الوقت نشطت الهجرة اليهودية من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين.. وكان الأطفال القادمون مع عائلاتهم يلتحقون بالمدارس اليهودية فى فلسطين.. لكن شتان الفارق بين الأطفال المولودين فى فلسطين أصلاً.. والأطفال القادمين إليها من أوروبا.. كان التلميذ اليهودى المولود فى فلسطين يعانى ضيق ذات اليد.. كما أنه متخلف من الناحية الحضارية.. ومن الناحية الدراسية.. بينما التلميذ اليهودى المهاجر مع أسرته من أوروبا على النقيض تماماً.. فهو أحسن حالاً من الناحية المادية.. وأكثر تحضراً.. وأكثر تفوقاً من الناحية التعليمية.. ولهذا شعر الشبان تلاميذ الثانوى المولودون فى فلسطين بعقدة النقص أمام زملائهم الشبان

اليهود الأوروبيين.. شعروا أمامهم بالدونية وبأن الآخرين أكثر تميزاً منهم فراحوا يبحثون عن ميزة لهم فى هذه المواجهة.. فاخترعوا مسابقة تقشير حبات التين الشوكى.. ونزع الأشواك بأيديهم من حول الثمرة ثم أكلها فى النهاية.. وهنا عجز التلاميذ الوافدون من أوروبا عن تحقيق أى نجاح فى هذه المسابقات لرهافة مشاعرهم.. وخوفهم من جرح أيديهم.. بينما حقق الشبان اليهود الذين ولدوا فى فلسطين وعاشوا فيها نجاحاً باهراً ميزهم عن الآخرين بقوة التحمل والمشقة المضنية لتحقيق الهدف!

ولما كان اليهود قد اتفقوا على تسمية اليهود الذين جاهدوا من داخل فلسطين لقيام وطن قومى لليهود فيها بالأشكناز.. ومنحتهم الحكومات المتعاقبة ميزات خطيرة فى تولى الوظائف المرموقة والمناصب القيادية فى الجيش والسياسة على اعتبار أنهم أحق بإسرائيل من غيرهم.. فقد أطلقوا أيضاً على جيل الشباب المولود فى فلسطين تسمية جيل «السابرا».. أى الجيل الذى يتحمل المشاق مثلما كان يتحملها أبناء مدرسة هرتزل فى مسابقات التين الشوكى!

لكن هذه التسمية تثير جدلاً كبيراً بين اليهود أنفسهم؟!

السبب أن كلمة «السابرا» العبرية لاتصلح وصفاًعاماً للشباب الإسرائيلى كما اعتاد بعض الكتاب والمفكرين.. فهناك جيل ولد على أرض فلسطين وعمره الآن يقترب من الثمانين عاماً.. وبالتالى لايمكن اعتباره شباباً!.. كما أن هناك على أرض فلسطين شبان فى العشرين من عمرهم.. لكنهم لو يولدوا فى فلسطين.. وبالتالى لايمكن اعتبارهم من جيل «السابرا».. بل قد تأتى أسرة مهاجرة من أوروبا تتكون من أب وأم وطفل عمره عام.. وتكون الأم حاملاً.. ويدخل الثلاثة إسرائيل حيث تلد الأم ابنها الثانى وبعد عشرين عاماً يصبح الابن الأكبر عمره ٢١ سنة والأصغر عمره ٢٠ عاماً.. ورغم فارق العام الواحد بين الأخوين فإن الشقيق الأصغر وحده سوف يكون من جيل «السابرا» بينما يخرج الشقيق الأكبر عن هذا الوصف.. لأن الصغير ولدته أمه فوق أرض فلسطين بينما الأكبر ولدته فى خارجها!

الكلمة كما يقول التاريخ هى الاسم الجديد الذى منح اليهود لسيدنا يعقوب عليه السلام.. وكانوا قد جعلوا اسم سيدنا إبراهيم عليه السلام من قبل «إبرام»!

إسرائيل كلمة تتكون من مقطعين.. وهى كلمة عبرية.. المقطع الأول هو «إسرا».. والمقطع الثانى هو «ايل».. و«إسرا» بالعبرية معناها «صارع».. و«إيل» بالعبرية معناها «الرب».. فاليهود لديهم نص فى العهد القديم يحكى أن الرب نزل ليصارع سيدنا يعقوب.. وقد جاهد يعقوب فى هذه المصارعة مجاهدة كبيرة.. فطلب منه الرب أن يكون اسمه إسرائيل.. أى الرجل الذى صارع الرب!

لكن هناك تفسيراً آخر فى القرطبى لابن عباس رضى الله عنه يقول أن معنى «إسرا» بالعبرية هو «عبد».. ومعنى «إيل» هو «الإله».. أى أن تسمية سيدنا يعقوب بإسرائيل تعنى عبد الإله.. والمعروف أن القرآن الكريم استخدم وصف بنى إسرائيل فى أكثر من موضع.. والتفسير الثانى هو الذى يطمئن إليه المسلمون أكثر من تفسيرات اليهود الغريبة.. والتى جعلت الرب يتجسد فى شكل رجل ثم يقوم بمصارعة يعقوب!

●●●

لكن ماهى المفردات العبرية التى تشبه إلى حد ما المفردات العربية؟!

هذه أمثلة لها:

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
أدم	آدام
أمين	آمين
أب	آب
ابن	بين
أبوة	ابهوت

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
أرز	ايريز
أرض	ايربص
أرنب	أرناب
أسبوع	شبوع
سبت	شابات
إصبع	اصبح
ألف	ايليف
أم	إيم
أنا	أنْي
أنت	أتا
أنف	آف
أوزة	أواز
إيمان	إيموله
بارك	بيراخ
باطل	بطيل
باهر	بهير
برد	براد
بسيط	بشوط
بطالة	أبطلاه
بطن	بطين
بيت	بايت
نساء	ناشيم
ثور	شور
توم	تام
جبن	جبينة

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
حامض	حموض
جدة	خدوت
خرطوم	حرطوم
خيط	حوط
درفيل	دولفان
دقيقة	دقة
شجرة	دوليب
دلو	دلى
دهن	دوهان
ذئب	ذوئيب
ذبابة	زبوب
ذراع	ذرواع
ذقن	زقان
ذكر	ذخار
ذكرى	ذكرون
رأس	روش
رابع	ربيعى
رئة	ريئاه
رب	ريبون
رجم	رجام
رسم	رشام
وصف	وصيف
رطب	رطوب
رطل	روطيل
روح	رواح

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
زهر	زهار
سأل	شأل
سالم	شليم
سبعة	سبعاه
فجر	شاحر
سكن	سخان
سكر	شخروت
سرطان	سرطان
سراب	شراب
سلام	شالوم
سماء	شمايم
شرطى	شوطير
شمس	شميث
صابون	سبون
صلح	صلاح
صليب	صلاب
صورة	صورة
صوم	صوم
صيد	صايد
شيطان	سطان
طاحونة	طحناه
طباخ	طباح
عجلة «جاموسة»	عِجْله
عظيم	عصوم
عشرون	عِسريم

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
عشرة	عساراه
عقرب	عقراب
عمود	عمود
عنكبوت	عكبيش
غراب	غوريب
غول	جول
فرخة	أفرواح
قبر	قبير
قديم	قدوم
قيراط	قوريط
كأس	كوس
كافر	كوفير
كاهن	كوهين
كبد	كبيد
كسلان	عصلان
كلب	كليب
كف	كاف
كلبة	كلبة
لا	لو
كيس	كيس
لحم	هلجيم
لسان	لشون
لقمة	لجمة
نام	نام
نجار	نجار

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
مسلح	ميلح
ملك	ملاخ
موت	ماوت
نبى	نبى
نهر	بهار
نملة	نميلة
طهر	طوهير
بيضة	بيضا
واحد	إحاد
هم	هيم
هن	هين
هو	هو
هيكل	هيحال
آه	واى
وحيد	يحيد
وريد	وريد
وزة	أواز
ولد	بيلد
يابس	يابيش
ياسمين	يمسين
يمين	يمين
ينسون	انيسون
يوم	يوم
مسجد	مسجاد
حنون	حنون

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
كنيسة	كنيسياه
ملاك	ملاخ
مقدس	كدوش
مفتاح	مفتيح
سبحانه وتعالى	يستباح ويتعاليه
سائح	تيار
السلام عليكم	شالوم غلبخيم
مرحباً بكم	بروحيم هيم
صباح الخير	يوكوطوف
مساء الخير	عبرطوف
تصبح على خير	ليلاه طوف
إلى اللقاء	لهتر أوف
حجرة	حيدر
جواز سفر	دركون
شنطة	مزوداه
طائرة	مطوس
باخرة	أونباه
تاكسى	مونيت
فندق	بيت ملون
مطعم	مسعداه
مكان	مكوم
لحم	بسار
باب	ديليت
وجبة	أروحاه
قهوة	كافيه

الكلمة العربية	نفس الكلمة بالعبرية
شاس	تيه
حليب	حلاب
خبز	ليحيم
سمك	داج
رسالة	متخياب
بريد	دوار
برقية	براك
زيارة	بكور

قال لى يهودى متدين:

● أين لغتكم العربية من لغة الرب العبرية؟!

قلت له وكلماتى تخرج كطلقات الرصاص:

■ ألا يكفى أن تكون لغتنا العربية هى لغة أهل الجنة..

إن النبى محمد عليه الصلاة والسلام يقول فى الحديث الشريف: «.. أحب العربية لثلاث.. لأنها لغة قومى.. ولغة القرآن.. ولغة أهل الجنة»..

.. وصمت اليهودى.. ولم يعلق أو ينطق حتى جاء إلينا يهودى آخر فبادرنا قائلاً:

● شالوم.

ورددت عليه بالعربى:

■ سلام عليك!

وهنا تضايق اليهوديان ورد أحدهم بالعبرية:

● شالوم غلبخيم!

مسس و..
أحمر شفايف!

«كل ١,٨ دقيقة يرتكب في إسرائيل حادث جنائى.. وكل ١٠ دقائق حادث سرقة من داخل سيارة.. وكل ٢٠ دقيقة سرقة سيارة.. وكل ٢٣ دقيقة سطو على متجر.. وكل خمس ساعات حادث اغتصاب أو فعل مشين.. لكن الشرطة الإسرائيلية تضبط ٣٠٪ من الجرائم التى تقع.. و١٦٪ من المسئولين عن الأمن داخل إسرائيل من الجنس الناعم.. وأهم مجالات عمل المرأة فى الشرطة هو فض المنازعات العائلية ومواجهة جرائم الجنس»..

● الأمن فى إسرائيل.. ليس مسئولية الرجال وحدهم!

● المرأة الإسرائيلية اقتحمت المجال الأمنى بقوة.. سواء كانت آنسة أوسيدة.. حتى أصبح ١٦٪ من جنود وضباط الشرطة الإسرائيلية من الجنس الناعم الآن.. كل ضابطة أو جندية تحمل فى يدها مسدساً.. وفى حقيبتها أحمر الشفايف!

وزير الأمن الإسرائيلى شاحال سعيد بأداء المرأة المتميز كشرطية.. بل أكد لى أنها تتفوق على الرجل فى الأداء الماهر.. وحينما قاطعته محذراً أن الرجال سوف يغضبون منه.. ضحك وقال لى: إن النساء وقتها سوف يدافعن عنه!

ورغم أن الشارع الإسرائيلى يعج بعشرات الجنسيات ومئات الوجوه المتباينة، فإن امرأة واحدة لن تخطئها العين.. وسوف تجذب الانتباه بسرعة.. هى امرأة فى العشرين من عمرها.. أو فى الأربعين.. لكنها دائماً ممشوقة القوام.. قوية الشخصية.. مليئة بالشباب والحيوية.. رغم أنها قد تكون أما لأربعة أطفال.. وهى ترتدى دائماً «جيب» لبنى اللون.. وبلوزة وجاكت من اللون الكحلى.. إنها ضابطة أو جندية بالشرطة لاتعرف الهزار إلا داخل بيتها!

التقيت داخل قسم شرطة «المسكوبيه» بالقدس بضابطة شرطة اسمها «تسيفى».. رتبتها رائد.. وتعمل رئيسة لقسم التحقيقات.. ولم تتحدث معى إلا بإذن خاص من وزير الأمن الإسرائيلى!

الرائد «تسيفى» تتحدث العربية بصعوبة.. لكنها تعرف أماكن كثيرة فى مصر سألتنى عنها بشوق شديد كالأسكندرية وشبرا ومصر الجديدة.. ثم اعتذرت لى فى أدب شديد عن أنها سترفض الإجابة عن أى سؤال تفوح منه رائحة السياسة!

تذكرت وأنا أتحدث مع الضابطة الإسرائيلية تجربة ضابطات الشرطة التى لم تحقق نجاحاً فى مصر.. سألت «تسيفى» عن تجربة إسرائيل فى هذا المجال.. ضحكت الضابطة وهى تخبرنى أن الرجل كالمرأة فى إسرائيل.. نظام الالتحاق واحد.. ولايعتمد على المؤهل الجامعى كما هو الحال فى مصر.. بل تلتحق الفتاة أو الفتى بجيش الدفاع الإسرائيلى أولاً كخدمة إلزامية.. بعد ذلك من يريد التطوع بالشرطة اختيارياً فالباب مفتوح.. الجميع يبدأ برتبة جندى.. ثم تتم الترقية وفقاً لمعايير خاصة كمستوى الأداء والمهارة والذكاء والثقة بالنفس.. فلا توجد فى إسرائيل كليات عسكرية لتخريج ضباط من أى نوع كالكلية الحربية فى مصر وكلية الشرطة.. لكن كل الشعب الإسرائيلى جنود فى جيش الدفاع إجبارياً.. وبعض الشباب جنود فى الشرطة اختيارياً.. ومن جنود الجيش يترقى الضباط.. ومن جنود الشرطة الرجال أو النساء يترقى الضباط أيضاً.. كما أنه لايوجد فى القانون الإسرائيلى مايمنع النساء من الترقى حتى رتبة اللواء.

وقالت لى تسيفى أن المرأة تعمل فى كل مجالات الشرطة حتى التى تتطلب القوة والالتحام.. لكن أهم المجالات التى تتفوق فيها هى مجالات فض المنازعات العائلية وجرائم الاغتصاب والجنس بوجه عام!

قلت للضابطة الإسرائيلية أننى رأيت زميلات لها فى عمر الشباب.. فاق جمالهن الحد.. وتجاوزت أنوثتهن الوصف.. كل واحدة اتخذت كامل زينتها.. وتحرص على أن تكون علبة المكياج وقلم الروج فى حقيبتها.. فكيف يمكن لمثل هذا الجنس الناعم الرقيق التعامل مع المجرمين أكثر من ثمانى ساعات فى اليوم؟!.. ثم كيف تتعامل بعد ذلك مع زوجها داخل البيت وهى التى تأمر فتطاع أثناء عملها؟!

قالت «تسيفى»:

- «.. طبيعة الأنثى لاتتأثر بالتعامل مع المجرمين.. التعامل مع المجرمين يحتاج أحياناً إلى قوة.. وأحياناً أخرى إلى فن.. لكن التعامل داخل البيت يحتاج دائماً إلى رقة!.. فالمرأة الشرطية تعود إلى بيتها منهكة القوى.. وتواجه أعباءها كأم وكزوجة وكربة منزل.. لكنها

تنسى دائماً اللون الكحلى بمجرد دخولها البيت.. ومع أول كلمة حلوة أو لمسة حنان من الزوج!

وطاردت «تسيفى» بعدة أسئلة متلاحقة.. وكانت تجيب بهدوء شديد:

● ما الفرق بين مرتبك ومرتب «رائد» رجل؟!

■ لافرق.. مرتب المرأة كمرتب الرجل تماماً.

● كيف يكون الوضع إذا كانت الزوجة نقيب مثلاً وكان زوجها برتبة عقيد ويعملان بقسم واحد؟!

■ لن يحدث هذا لأن القانون يمنع عمل الزوجين فى مكان واحد..

● أصعب موقف يواجه الشرطية فى عملها بالطريق العام؟!

■ التفاهم مع شخص لاتعرف لغته، فلا هو يتكلم العربية ولاالعبرية ولاالإنجليزية!

● هل تعمل الشرطية ليلاً؟!

■ وماهو المانع فى ذلك!

● ماذا تعنى الإشارة الفوسفورية على ذراعك؟!

■ كل شرطية تعلق هذه الشارة لتضىء ليلاً حتى يمكن تمييز أن هذه المرأة شرطية!

● أليس غريباً أن تواجه المرأة حوادث الاغتصاب والجنس؟!

■ إذا علمت كيف تدربت المرأة على ذلك فلن تستغرب!!

● الشرطة ألا تحرك ساكناً أمام لقاءات الجنس الساخنة التى تدور داخل السيارات الملاكى المغلقة؟!

■ لسنا أمام حالة اغتصاب!

● لكنه جنس فاضح!

■ جنس ناقص.. لم يصل إلى مرحلته النهائية حتى يصبح فعلاً مشيناً.. إنه سلوك ينم عن ممارسات عاطفية.. حب.. والقانون لايجرم الحب.. لكن حتى هذه الممارسات يعاقب عليها إذا تمت فى سيارة أجرة مثلاً.. فالأمر هنا يختلف عن السيارة الملاكى.. كما أن سائق التاكسى سوف يتعرض للعقاب هو الآخر!

● لكن الشرطة غير ظاهرة فى شوارع إسرائيل بالمرة؟!

■ الشرطة موجودة فى كل شبر.. لكنها غير منظورة.. رجال وسيدات الشرطة يمشون وسط الناس.. ويقفون فى الطريق.. ويركبون سيارات عادية.. وفور وقوع أى حادث أو حتى مخالفة مرور سوف يكشف هؤلاء عن شخصيتهم فوراً.. ورغم أن الناس ملتزمون بالقانون بوجه عام.. إلا أن غير الملتزمين يظلون خائفين من أى خروج ولو بسيط عن القانون.. إنهم يشعرون بالخوف حتى لو لم يكن أحد من الشرطة موجوداً فى المكان.. لأن أحداً لايعلم من هو الشرطة أو الشرطية من باقى الناس!

● النساء يحققن فى حوادث الاغتصاب.. فما هو الشىء المميز لهذه الجريمة؟!

■ وقوعها بشكل مضاعف فى موسم الصيف والربيع..

● وهل هناك صلة بين الاغتصاب والصيف والربيع؟!

■ ربما لأن السائحات يتحررن من معظم ملابسهن!

● النساء يحققن أيضاً فى المنازعات العائلية.. فما الشىء المميز لها؟!

■ سبب الخلافات لايختلف كثيراً من منازعة لأخرى.. لكن أهم الأسباب هو الخيانة الزوجية والرغبة فى الطلاق والخلاف على حضانة الأطفال.. ولكن يمكن تطويق عدد كبير من هذه المنازعات!

● من يضرب الآخر أكثر.. الزوجة أم الزوج فى إسرائيل؟!

■ الأرقام تقول أن المرأة هى التى تضرب الرجل أكثر!

جريمة كل دقيقة!

الجريمة بوجه عام فى إسرائيل.. مزعجة جداً للسلطات الأمنية.. لكن نسبة الضباط تعيد الاطمئنان إلى نفوس المسئولين.. فكما ترتفع نسبة الجريمة ترتفع معدلات ضبطها فى نفس الوقت!

الأوراق الرسمية فى إسرائيل تقول عجباً:

«كل ١,٨ دقيقة يقع حادث جنائى.. وكل ١٠ دقائق سرقة من داخل سيارة.. وكل ٢٠ دقيقة سرقة سيارة.. وكل ٢٣ دقيقة سطو على إحدى الشقق.. وكل ٢٤ دقيقة سطو على متجر.. وكل ١٢ دقيقة حادث سرقة.. وكل ٣٤ دقيقة حادث اعتداء.. وكل خمس ساعات حادث اغتصاب.. وكل ١١ ساعة سطو مسلح.. وكل ٣٧ ساعة حادث قتل أو شروع فى قتل».

أخطر مايزعج السلطات الأمنية فى إسرائيل هو جرائم المهاجرين.. خاصة السوفيت الذين شكلوا أكثر من مافيا للأعمال المنافية للآداب والتزوير والقتل!

يقوم المهاجرون السوفيت باستيراد بائعات الهوى من أوربا الشرقية.. تأتى كل واحدة منهن على أنها سائحة.. وقد تنجح فى الحصول على مستندات مزورة تثبت أنها من المهاجرين الجدد.. ولكن كثيراً ماتنجح الشرطة الإسرائيلية فى ضبط مثل هؤلاء المزورات ويتم طردهن من البلاد فوراً.. لكن تظل مشكلة المهاجرات السوفيتيات الحسناوات الحاصلات على الجنسية الإسرائيلية والمتحولات إلى الديانة اليهودية.. إنهن يملأن بيوت الدعارة ومعاهد التدليك التى تتوارى خلف أعمال المساج لتمارس بداخلها كل فنون الجنس!

وقد هدد شاحال وزير الأمن الإسرائيلى بأنه سيطالب بقانون جديد يمنح الشرطة حق سحب الجنسية من المومسات!

وتنجح الشرطة الإسرائيلية فى ضبط ٣٠٪ من عدد الجرائم التى ترتكب.. وهم هنا فى إسرائيل يعتبرون أن هذه النسبة إنجاز كبير أمام ماتحققه دول أوروبية فى هذا المجال!

وتقول الأرقام ـ أيضاً ـ أن نسبة رجال الشرطة إلى عدد السكان تبلغ أربعة لكل ألف مواطن.. وقد أضيفت للشرطة مهام جديدة وأعباء لم تكن موجودة من قبل بعد اتفاقيات «أوسلو»..

ففى مناطق الحكم الذاتى للفلسطينيين أصبح مطلوباً تعزيز قوات الشرطة خاصة على الحدود التى تفصل بين مناطق الحكم الذاتى وإسرائيل.. مما دفع الشرطة الآن إلى التفكير فى إشراك المواطنين سواء بطريق التطوع فى الحرس الوطنى أو فى الخدمة الطائفية لمكافحة الجريمة فى أماكن السكن الخاصة بهم!

بينما تركز قوات الشرطة الأساسية جهدها على مكافحة الجرائم الخطرة وجمع المعلومات والتحريات..

شىء آخر يزعج السلطات الإسرائيلية الأمنية.. هو الخوف من اتساع الجريمة وزيادة معدلها بعد قيام الحكم الذاتى والتعاون بين عالم المجرمين الفلسطينيين والإسرائيليين!!

أما أخطر الظواهر حالياً فهى المافيا الروسية التى تمكنت من إدخال أربعة مليارات دولار بطرق غير شرعية وأموال مزورة إلى إسرائيل.. ويحاول هؤلاء السيطرة على الاقتصاد الإسرائيلى بهذه الأموال.. واستثمارها فى سوق المال الإسرائيلى وشراء الفيلات والأراضى الفضاء فى المناطق الراقية..

وتشير الأوراق الرسمية إلى تورط المافيا الروسية فى العديد من الحوادث الجنائية بعد أن ظهرت بصماتهم على جثث بعض الضحايا.. كما أنهم قد يستأجرون أشخاصاً للانتقام من خصومهم بالتصفية الجسدية..

وهناك خوف من أن تتمكن هذه المافيا من التأثير فى الحياة السياسية داخل إسرائيل وعلى وسائل الإعلام وتخريب المجتمع نفسه بعصابات الدعارة والمخدرات والقمار!

ويمناسبة الجريمة.. والعنف.. والحوادث.. فإن إسرائيل لم تنفذ طوال نصف قرن من الزمان غير حكم إعدام واحد.. رغم أن القانون الإسرائيلى لايمنع من تنفيذ حكم الإعدام.. إلا أن الاتجاه السائد هو تجنب تنفيذ الحكم!

الحكم الوحيد الذى تم تنفيذه كان عام ١٩٦٢!

والحكاية بدأت بخطة محكمة وضعها الموساد الإسرائيلى لخطف «أدولف إيخمان» وإحضاره من أوروبا إلى إسرائيل لمحاكمته بتهمة التعاون مع الألمان «النازية» خلال الحرب العالمية الثانية.. وتنفيذ مخططهم فى إبادة الشعب اليهودى!

نجح الموساد وأتى بأدولف إيخمان مخدراً داخل طائرة إلى إسرائيل.. وأدانته المحكمة وقضت بإعدامه عام ١٩٦١.. وتقدم أدولف بالتماس إلى المحكمة العليا.. لكن أعلى محكمة أيدت الإدانة ورفضت الاستئناف..

ويوم ٣٠ مايو عام ١٩٦٢ تم تنفيذ الإعدام شنقاً فى العميل النازى.. ومن هذا الوقت لم ينفذ حكم الإعدام ثانية.. وربما يظل هذا هو الحكم الوحيد من نوعه لسنوات أخرى طويلة.. فاليهود المتشددون والمتطرفون يطالبون بإعدام بعض العرب المتهمين فى حوادث إرهابية من وجهة نظرهم ضد الأمن الإسرائيلى القومى.. إلا أن الحكومات الإسرائيلية تفكر ألف مرة قبل الموافقة على هذا المطلب.

محمد أفندى.. اليهودى
والأستاذ عبد الوهاب.. الإسرائيلى!

«.. فى تركيا مازال أتباع محمد أفندى اليهودى ينفذون تعليماته بحذافيرها.. يدافعون عن الإسلام فى كل مكان.. وداخل بيوتهم ـ فقط ـ يتحولون إلى يهود لحماً ودماً!

وفى إسرائيل يمنح اليهود ثقتهم للأستاذ عبد الوهاب الدراوشة ليصبح عضواً فى الكنيست.. ورغم أنه مسلم إلا أنه يحمل الجنسية الإسرائيلية!»..

قالت لى الحسناء اليهودية «آدينا» الطالبة بجامعة تل أبيب أن جدتها كانت تعشق مصر والمصريين.. وأن أمها تركت مصر وعمرها خمسة عشر عاماً.. ورغم ذلك فإنها تحكى فى المناسبات المختلفة عشرات القصص المثيرة عن الحياة الجميلة فى حى «الفجالة» وطيبة جيرانهم المصريين فى شارع الترعة البولاقية بشبرا.. أوكما نطقته «آدينا»: «الترعة البولاكية»!

شكرت طالبة الجامعة الجميلة.. لكنها ضحكت كطفلة صغيرة وهى تومىء لى برأسها فى اتجاه إحدى زميلاتها فى الجامعة.. ثم همست لى قائلة:

ـ «.. لكن الأمر مختلف عند زميلتى «جيرجيت».. كان لها أقارب يعيشون فى تركيا.. ورغم أنها تتعمد إثارة هذا الموضوع بين حين وآخر.. إلا أنها لاتحكى لناغير قصة واحدة فى كل مرة.. هى قصة محمد أفندى اليهودى!».

وسألتنى.. «آدينا»:

● هل تعرف قصة محمد أفندى مع السلطان العثمانى، أم أنك لاتهوى كتب التاريخ؟!

■ أنا أقرأ التاريخ.. لكنى لم أقرأ عن محمد أفندى!

أطلقت «آدينا» ضحكة رقيقة كأنها أرادت بها مداعبة العصافير التى كانت تلهو وتغرد حول مقعدينا!.. ثم وضعت ساقاً فوق ساق وبإشارة سحرية من أصابع يدها حلق شعرها الذهبى الجميل مع نفحات الهواء فتحيله راية ترفرف فوق سراى أجمل نساء العالم..

فتحت الفتاة الرقيقة حقيبتها وأخرجت علبة سجائرها الأمريكية..

أشعلت واحدة ومدت لى يدها بأخرى.. ثم همست لى قائلة:

● لاتنس أننى أدرس التاريخ.. وأعشق حكاياته.. دعنى أحكى لك قصة محمد أفندى اليهودى الذى يكرهه كثيرون من اليهود!

واستسلمت لتلميذة الجامعة الإسرائيلية وهى تروى حكاية هذا اليهودى المسلم!

المسيح المنتظر:

يعتقد اليهود أن المسيح سوف يظهر ليخلص شعب إسرائيل من العذاب ويجعل منهم أسياداً على شعوب العالم.. لكنه لن يظهر إلا فى أعقاب مصائب وكوارث تنزل على اليهود كالصواعق.. وتحيل حياتهم إلى عذاب وجحيم لايطاق.. ولايكون الخلاص إلا على يد المسيح.. وهذا المسيح سوف يكون نبياً وملكاً فى وقت واحد..

ومنذ زمن بعيد اعتاد اليهود أن يظهر شخص من بنيهم يدعى النبوة.. ويؤكد أنه المسيح المنتظر.. وغالباً يكون هذا الظهور مع محنة يتعرض لها اليهود فيعلقون آمالهم على هذا الشخص!.. حدث هذا فى التاريخ أكثر من مرة..

لكن أشهر واقعة فى هذا المجال شهدتها المملكة العثمانية..

ففى عهد السلطان محمد الرابع ظهر شاب يهودى من بين يهود تركيا.. وهم يهود هاجروا هرباً من العذاب فى أسبانيا إلى تركيا.. وكان هذا الشاب يدعى «سيبتاى» وتحيطه علامات الورع والتقوى.. شديد الالتزام بالديانة اليهودية إلى درجة النرجسية.. وفى هذا الوقت شنت أوروبا حرباً غاضبة على اليهود حتى كانوا يدعون ربهم بظهور المسيح المخلص أو الموت ليرحمهم من عذاب الاضطهاد.. وفجأة.. أعلن «سيبتاى» عن مفاجأة أعادت الدماء الهاربة إلى عروق اليهود فى تركيا!!.. أخبرهم أن سيدنا موسى عليه السلام قد أبلغه فى المنام أنه المسيح المنتظر!! تعلق اليهود بالشاب الورع كغريق أمسك بقشة وسط أمواج ثائرة.. التفوا حوله.. آمنوا به.. صنعوا له المعجزات وروجوها حتى وصلت شهرته إلى القدس وأوروبا ومصر.. جمعوا له التبرعات من كل مكان.. بل بدأ سيبتاى يقوم بجولاته التبشيرية خارج تركيا.. زار الأماكن المقدسة فى القدس.. وانهمرت دموعه أمام

حائط المبكى.. وجلس يقرأ العهد القديم على قبور الأنبياء اليهود.. ومن القدس إلى عواصم أخرى تحرك موكب سيبتاى يشيعه العشرات من أتباعه ومريديه.. لكن مع الوقت قفز عدد الأتباع إلى المئات.. ويرجع سيبتاى إلى مدينة أزمير التركية وسط زفة يهودية ليعلن أنه الملك.. وتحيطه الطائفة بالتأييد المدوى.. ويمنحونه شرف الإشراف على أحوالهم الدينية ومباركة الزفاف التى لاتكون إلا يومى الخميس والإثنين عند هذه الطائفة.. كما أنهم لايتزوجون إلا من بعضهم البعض.. ويحرمون تعدد الأزواج..

طار خبر سيبتاى إلى السلطان محمد الرابع.. لم يهتم فى بداية الأمر.. لكن بعد عام واحد أدرك السلطان أن سيبتاى أصبح خطراً وشيكاً على السلطان نفسه.. وعلى المسلمين وعلى المسيحيين.. فاليهود ملوك الدعاية.. والأمر يخصهم هذه المرة.. جعلوا من سيبتاى أسطورة مثيرة.. لفتوا الانتباه نحوه وأثاروا فضول المسلمين والمسيحيين حتى اقترب الأمر من شكل «الفتنة».. هنا تدخل السلطان محمد الرابع وأمر باعتقال سيبتاى.. أدخله السجن وظن أنه سيستريح من شره.. لكن سيرة سيبتاى أصبحت فوق الألسنة أكثر مما كانت.. كلما مضى وقت على سيبتاى داخل سجنه سمع السلطان عن حكاية جديدة يكون بطلها هو النبى الملك نزيل السجن العثمانى!

بل وصل إلى علم السلطان أن حراس سيبتاى ظهرت عليهم ملامح التأثر الشديد بوقاره وخشوعه وطريقة صلاته ودعائه وقوة صبره!

المفاجأة:

لم يجد السلطان غير قرار حاسم ارتاح إليه بعد تفكير عميق..

سوف يجمع سيبتاى وسط حكومته ثم يخيره بين الإعدام والإسلام.. إن هو أشهر إسلامه تتكفل به الدولة الإسلامية براتب شهرى كبير وتمنحه بيتاً فخيماً يعيش فيه ويحسب نصراً للإسلام.. أما لو اختار الإعدام فإن الناس سرعان ماتنسى ذاكرتهم.. ويكون قد تخلص من هذا المأزق للأبد!

أتوا بالسجين الذى ادعى النبوة وأنه المسيح من داخل سجنه.. وقف فى حضرة السلطان والحاشية. كان واثقاً من نفسه.. يبدو متماسكاً.. لم يتردد لحظة واحدة فى حسم الاختيار.. وفجر مفاجأته التى أذهلت السلطان.. ومن حوله.. طلب سيبتاى إشهار إسلامه.. واختار له اسماً جديداً هو «محمد أفندى»!

بعض اليهود انقلبوا عليه وهاجموه بعنف..قالوا أنه قواد وكافر.. زوجته المسيحية تدير بيوتاً للدعارة!

لكن محمد أفندى ظل يدعو لليهودية سراً. وكبرت جماعته.. كلهم يحملون أسماء إسلامية.. ويصفون أنفسهم بالمؤمنين.. ويدافعون عن الإسلام بشدة.. لكنهم يهود لحماً ودماً.. إلا أن يهوديتهم لاتظهر إلا داخل بيوتهم فقط.. وهم طائفة لم تنقرض حتى الآن فى تركيا.. مسلمون داخل المجتمع التركى.. يهود فى بيوتهم.. أما محمد أفندى فقد مات صغيراً بعد أن تجاوز أعتاب الخمسين عاماً بسنوات قليلة!

لقد فشل فى إثبات نبوته.. لكنه نجح فى دخول التاريخ!

عبد الوهاب . . الإسرائيلى!

قبل أن ينتهى حديث «أدينا» نظرت إلى ساعتى وأنا أرجو عقاربها أن تخفف من سرعتها.. لكن فتاة الجامعة الإسرائيلية الحسناء بادرتنى قائلة:

- لاتقلق.. مازال أمامك بعض الوقت قبل أن تذهب إلى موعدك فى الكنيست..

ثم ضحكت وهى تقول:

فى الكنيست ـ أيضاً ـ ربما تقابل مسلمين يحملون الجنسية الإسرائيلية.. سوف تسمع عن عبدالكريم وصالح ونواف.. سوف تجد معهم مسيحيين ودروز.. كلهم عرب وإسرائيليون فى نفس الوقت!

وفجأة سألتنى أدينا بينما أشجار الزعتر تفوح رائحتها فى المكان حولنا:

● هل تعتبر عرب إسرائيل خونة؟!

■ بالتأكيد لهم ظروفهم الخاصة.. والمؤكد أنه لولا قسوة الاحتلال ماغيروا جنسيتهم العربية أبداً.. ومازلت أرى فيهم جوانب مشتركة.. فهم مثلاً لايخدمون فى الجيش الإسرائيلى..

● لاتنس أن إسرائيل تعفيهم - أيضاً - من الخدمة العسكرية وترفع عنهم هذا الحرج؟

■ لكن كلاً منهم مازال يشعر أنه مواطن من الدرجة الثانية رغم جنسيته الإسرائيلية!

قالت «آدينا» بسرعة:

● ياسيدى.. إنهم الآن أعضاء فى الكنيست.. مقاعدهم لاتقل عن سبعة أوثمانية مقاعد.. ولاتنس أنهم لايحصلون على ثقة الناخب العربى قدر حصولهم على ثقة الناخب اليهودى والإسرائيلى فى الانتخابات!

لكن القانون - مثلاً - يمنعهم من شراء أرض حكومية فى إسرائيل.. أو السكن فى بعض المناطق اليهودية!

لاتنس أن بلادنا ديمقراطية.. وكل طائفة اعتادت الشكوى.. السفارديم مثلاً يعتقدون أن اليهود الأشكناز مدللون فى إسرائيل أكثر منهم.. ويهود الفلاشا يتهمون الحكومة بالتفرقة العنصرية بسبب لونهم الأسمر.. وعرب إسرائيل من الدروز يطالبون بالمساواة بعرب إسرائيل من المسلمين والمسيحيين الذين لايتم تجنيدهم رغم حصولهم على الجنسية الإسرائيلية.. وهؤلاء المسلمون والمسيحيون يطالبون بالمساواة باليهودى الإسرائيلى لأنهم جميعاً يحملون الجنسية الإسرائيلية!

داخل الكنيست:

وداخل الكنيست جذبت اهتمامى فى البداية صورة الزعيم الراحل أنور السادات..

إنهم يتحدثون عنه بحب جارف.. ويعترفون بمهارته السياسية.. ويتندرون بقصة تثبت ذكاءه الحاد الذى فاق كل الذكاء اليهودى.. فحينما عقد السادات اتفاقية السلام الشهيرة مع بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى فى هذا الوقت.. أراد بيجين أن يلعب بورقة رابحة تؤكد للعالم كله رغبة إسرائيل فى السلام.. اتصل بالرئيس تليفونياً وناقشه فى احتياج إسرائيل إلى ألف عامل مصرى تأشيراتهم جاهزة لدخول إسرائيل فوراً.. صمت السادات برهة ثم طلب من بيجين مهلة حتى الصباح.. وفى اليوم التالى طلب السادات رئيس الحكومة الإسرائيلية.. وأخبره أن لديه مليون عامل مستعدين للعمل فى الإسرائيل من اليوم.. فهل يمكن تجهيز التأشيرات لهم؟!.. أسقط فى يد بيجين.. وشعر أن السادات رد الكرة بقوة داخل ملعبه.. وأن الورقة التى ستربح بها إسرائيل دعائياً فى العالم كله قلبها السادات إلى ورقة مصرية.. واضطر رئيس الحكومة الإسرائيلية للانسحاب بهدوء وتغيير الموضوع..

هذه هى صورة السادات ضمن زعماء العالم فى لوحة الشرف داخل الكنيست الإسرائيلى.. وكنت قد رأيتها من قبل فى فندق الملك داود أشهر فنادق إسرائيل فى القدس..

قال لى المدير المسئول بالفندق أنه يحتفظ بصورة السادات باعتباره زعيماً عربياً سبق عصره..

● وبينما أنا أجلس فى مكتب مستر شاحال وزير الشرطة الإسرائيلية تذكرت ماقالته لى اليهودية الحسناء «أدينا».. وسألت الوزير الإسرائيلى عن المسلمين الذين أصبحوا أعضاء فى الكنيست بعد حصولهم على الجنسية الإسرائيلية..

فقال لى شاحال بسرعة:

■ هم كثيرون.. لهم ثمانية مقاعد.. وهذا رقم لم تصل إليه حتى الآن بعض الأحزاب الدينية اليهودية.. أو التكتلات السياسية الصغيرة..

● سألت وزيرالأمن الإسرائيلى عن أشهر هؤلاء فقال لى:

■ الأستاذ عبدالوهاب الدراوشة.

الجولان.. قطعة من القلب!

«.. وقفت أمام آخر شبر على الحدود بين القوات السورية والإسرائيلية.. العلم الإسرائيلى لايفصله عن العلم السورى غير كيلو متر من الألغام.. ممنوع الاقتراب أو التصوير..، وفى هذا المكان تاتى عائلات الدروز من الجولان.. ويأتى أقاربهم من سوريا.. ويتحدثون عبر مكبرات الصوت..!

هنا أيضاً جبل الشيخ.. تستطيع أن تقف فوقه لتشاهد دمشق.. وتستدير لتشاهد تل أبيب»!

كانت زيارة الجولان أمنية ومغامرة صحفية مثيرة!

مغامرة محفوفة بالمخاطر أن أصعد على أعلى هضبة الجولان وسط قوات الاحتلال الإسرائيلى.. وتحت راية العلم الإسرائيلى الذى ارتفع فوق الجولان منذ ثلاثين عاماً مع وطأة الاحتلال اليهودى!

أنظار العالم كله تتجه إلى الجولان.. لقد أصبحت مع القدس آخر عقبتين فى مفاوضات السلام بالشرق الأوسط.. ورغم أنك لو سألت تراب الجولان عن هويتها فلن يتردد فى الاعتراف بالجنسية السورية.. فإن إسرائيل تملأ الدنيا صراخاً وهى تؤكد أن الجولان من حقها.. وأنها لن تفرط فيها أبداً!

قلت للسفير المصرى فى إسرائيل محمد بسيونى:

● أنا أحلم بزيارة الجولان.. إننى قرأت عنها منذ طفولتى!

ورد السفير المصرى الذى يحظى باحترام كبير فى إسرائيل:

■ غداً.. سوف يصبح حلمك حقيقة.. انتظر فقط ساعات الليل!

فى الصباح حملت حقيبتى ومعى زميلى المصور الفنان مكرم جاد الكريم.. وكأننى بالفعل كنت أحلم.. لقد دارت فى رأسى تساؤلات عديدة طوال الليل، لو عثرت على إجاباتها سوف أكشف أسراراً جديدة عن الجولان.. وبالفعل رأيت وسمعت مالم يخطر لى على بال من قبل!

●●●

يقال إن الدروز الذين يسكنون الجولان هم الذين باعوها لإسرائيل.. وسهلوا لجيشها احتلال الهضبة السورية الغالية على قلب كل عربى.. فهل هذا الادعاء حقيقة؟!

يقال - أيضاً - أن الدروز حصلوا على الجنسية الإسرائيلية وسال لعابهم أمام الإغراءات اليهودية.. وأن إسرائيل تغير هويتهم من العربية للإسرائيلية حتى إذا احتكم العالم إلى انتخابات تحدد مصير الجولان.. ضمنت إسرائيل أن تكون نتيجة الانتخابات فى صالح القضية اليهودية.. فهل هذا صحيح؟!

ظللت مشغولاً طوال الطريق إلى الجولان بهذه الادعاءات التى سمعتها من معظم العرب داخل إسرائيل.. بل وأكدتها رؤيتى لضباط فى الشرطة الإسرائيلية من الدروز الذين باعوا جنسيتهم السورية!! لكن جمال الطريق كان يخفف على نفسى وطأة الحوار الداخلى الذى جاش به صدرى!

الطريق تحفة رائعة.. أشجار الزيتون والزينة والفاكهة والكريز تخفى الطابع الصحراوى.. وتجعل صخور الهضبة تبدو وكأنها لاتكذب ولكنها تتجمل.. ينابيع المياه تلمع تحت أشعة الشمس.. فيلات المستوطنين بنيت على أحدث طراز.. وبأشكال هندسية مبهرة!

الغريب أن الطريق المرصوف وكأنه بساط من الحرير لايخلو من حركة دائبة للسيارات التى تملأ الاتجاهين.. ويبدو أن إسرائيل تعمل فى كل الاتجاهات المتناقضة فى وقت واحد.. تفاوض من أجل السلام وتبنى المستوطنات ليل نهار.. تتحدث عن الدولة الفلسطينية وتشجع هجرة اليهود بالآلاف من جميع أنحاء العالم إلى إسرائيل.. وتصادر الأراضى المحتلة وهى تعيد بعض المناطق للعرب طبقاً لمحادثات السلام.. حتى الشعب الإسرائيلى نفسه انقسم إلى فريقين.. غالبية تدعو للسلام.. ومتشددون يرفعون شعارات الرفض والعداء للعرب!

فجأة.. قال لى السائق: «وصلنا».. اشتغل خيالى..

نظرت أمامى فوجدت هضبة شاهقة الارتفاع.. عظيمة المساحة.. تبدو كجزء من تاريخ المنطقة.. ويقطع صوت طائرات حربية تنطلق كالسهام فى سماء المنطقة.. انظر إلى زميلى المصور فيبادر قائلاً:

■ ربما كانت ذاهبة لضرب جنوب لبنان!

الآن.. نحن أقرب مانكون إلى سوريا ولبنان.. سألت نفسى فى دهشة:

● «كيف وصلت إسرائيل إلى هنا؟! كيف احتلت سيناء والجولان وفلسطين والجنوب اللبنانى.. ثم تمكنت من فرض سياسة الأمر الواقع حتى الآن؟!»

تنبهت على صوت زميلى وهو يرحب بشيخ قبيلة الدروز التى تسكن الجولان.. وكان ينتظرنا إلى جوار النبع الصافى الجميل أسفل الجولان.. كنا نقف عند هذه النقطة التى كانت آخر الحدود السورية المشتركة مع فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلى!

لفتت انتباهى سيارات الشيخ ووفد الدروز.. سيارات فارهة أحدث موديل صعدت بنا الجولان وكأنها تحلق بين السماء والأرض.. وفجأة.. طلب الشيخ طاهر أبو صالح شيخ الدروز أن يتوقف ركب السيارات أمام بحيرة «بركة رام».. نزلنا جميعاً وبادرت بحمل حفنة من تراب الجولان ورحت أقبلهاوأضمها إلى صدرى وسط دهشة الدروز!

على بعد أمتار شاهدت «ضريحاً» وزاوية صلاة.. سألت شيخ الدروز عن الضريح فأخبرنى أنه ضريح وقبر الصحابى «أبو ذر الغفارى»!..

● ونظرت إلى جوارى فوجدت حفرة مستطيلة يصل عمقها إلى أكثر من مترين.. وسألت الشيخ طاهر أبو صالح عن الحفرة.. فقال لى وهو يتنهد:

■ إنها خندق من خنادق حرب ١٩٦٧.. وهنا سالت دماء الجنود العرب دفاعاً عن الشرف العربى من خلال هذا الخندق.. لكنهم ماتوا.. واحتلت إسرائيل الجولان!

على الضفة الأخرى كانت المستوطنات الإسرائيلية تملأ المكان كله خلف البحيرة..

وعلى بعد أمتار أخرى كان مصنع للتفاح يمتلكه شيخ الدروز وينتج وحده ٢٠٪ من إنتاج التفاح الإسرائيلى.. أى التفاح الذى تشتريه إسرائيل من الدروز كل عام!

● سألت الشيخ طاهر عن آلاف الأشجار المثمرة المترامية على الأرض العربية حول بركة رام.. هل حاولت إسرائيل أن تصادر هذه الأراضى الخصبة كما فعلت مع أراضٍ عربية أخرى؟!

صمت الشيخ طاهر لحظة.. ثم قال فى حزن:

■ لم تصادر إسرائيل شيئاً منها.. لكن هل تتصور أن تقوم إسرائيل بضخ مياه البركة إلى المستوطنات الإسرائيلية على بعد عشرات الكيلو مترات بينما تحرم هذه الأراضى الخصبة من قطرة ماء.. رغم أنها على بعد أمتار فقط من البركة؟!.. إنهم يريدون للأرض البوار والجفاف.. الغرباء ياسيدى لايعطشون أبداً.. وأصحاب الأرض يعانون الحرمان من الماء!

نكمل الرحلة بعد وجبة تفاح سريعة!

نصل إلى بيت شيخ الدروز وحولنا عدد كبير من عرب الجولان.. أو المفروض أنهم عرب الجولان.. وتنطلق أسئلتى بلا حرج للشيخ طاهر وأبناء الدروز وتتلاحق إجاباتهم أيضاً:

● ماذا تعنى كلمة شيخ الدروز؟!

■ شيخ دين.. نحن مسلمون وعرب أقحاح.. وسوريون حتى النخاع مهما أشاعوا حولنا.. كان عددنا ١٢٦ ألف مواطن درزى حتى عام ١٩٦٧.. وبعد الهزيمة هرب عدد كبير من وطأة الاحتلال.. بينما رفض ١٦ ألف منهم الهجرة من الأرض.. قاومنا الاحتلال حتى الآن.. دخلنا المعتقلات الإسرائيلية. رفعنا العلم السورى فى كل مناسبة قومية سورية وفى كل مناسبة كان اليهود يلقون القبض علينا ونتحمل.. لو كنا قد تركنا الجولان مع الذين

تركوها لضاعت قضية الجولان.. وكان فى يد إسرائيل المبرر الكافى للاحتفاظ بها إلى الأبد.. خاصة بعد أن ملأتها بسكان المستوطنات اليهودية.. وتحاول إحراج العالم كله بادعائها أن معظم سكان الجولان يهود.. فكيف تعود إلى سوريا؟!

● هل تحملون الجنسية الإسرائيلية؟!

■ نحن فى نظر القانون والدولة السورية سوريون.. لكن إسرائيل تحرمنا من أى جنسية لتجبرنا على طلب الجنسية الإسرائيلية.. لكننا نرفض ونقاوم.. ومن أجل هذا الموقف يمنحوننا هوية يكتبون فى خانة الجنسية فيها: «غير معروفة!».. وبسبب هذه العبارة ـ أيضاً ـ لانتمكن من السفر إلى خارج إسرائيل.. لأن معظم الدول تنفر وتحتاط من أى شخص جنسيته غير معروفة!

● وماهدف إسرائيل من وضع هذا العائق؟!

■ الهدف أن نيأس ونخضع أمام مصالحنا لإغراءات الحصول على الجنسية الإسرائيلية.. إنهم يضعوننا فى حياة مليئة بالمشاكل والشلل.. ومن يشكو يخبرونه أن الحل فى يديه.. ليس عليه إلا أن يذهب ويقدم طلباً للحصول على الجنسية الإسرائيلية.. وقطعاً هم يريدون أن يجعلوا من كل سكان الهضبة.. إسرائيليون.. لطمس الشخصية العربية للجولان بشكل قاطع!

● هناك أشخاص منكم حصلوا على الجنسية الإسرائيلية بالفعل.. وبعضهم أصبحوا ضباطاً فى الشرطة الإسرائيلية يحاربون الفلسطينيين فى معارك الانتفاضة حفاظاً على أمن إسرائيل؟!

■ هؤلاء قلة من ضعاف النفوس.. أوقعتهم إسرائيل فى أكبر مقلب شربوه فى حياتهم.. إنها تمنحهم الجنسية الإسرائيلية ثم تلحقهم بالشرطة ليتصدوا لانتفاضة الفلسطينيين.. وتوغر الصدور بين الفريقين!!

● ماهى الإغراءات الإسرائيلية التى يضحكون بها على بعضكم؟!

■ جواز سفر إسرائيلى.. التعيين فى المجالس البلدية.. السفر والعودة بلا أى عائق.. الترشيح للكنسيت وحق الانتخاب.. وإغراءات أخرى كثيرة..

● هل يوجد احتكاك أحياناً بينكم وبين جنود الاحتلال الإسرائيلى؟!

■ كان ذلك يحدث كثيراً قبل مؤتمر مدريد.. لمجرد أن نرفع العلم السورى يضعوننا فى المعتقلات.. الآن خفت حدة التوتر بعد أن فاحت رائحة السلام.

● إذا أجريت استفتاءات دولية لمعرفة انتمائكم وتحديد مصير الهضبة.. إلى أى فريق سوف تنحازون؟!

■ نحن سوريون حتى آخر نفس، وقطرة دماء فى عروقنا.. وهذا هو اليوم الذى ننتظره ونحلم به لنرد على الافتراءات اليهودية عملياً.. لقد أجبنا على هذا السؤال من قبل بشكل غير مباشر حينما أصدرت إسرائيل قانوناً يؤكد أن الجولان أرض إسرائيلية.. هم يعرفون جيداً ماذا كان موقفنا حتى الآن!

● هل تتعاملون مع أى درزى يخضع للإغراءات ويحصل على الجنسية الإسرائيلية؟!

■ لدينا وثيقة كالقانون تنظم هذه المسألة.. حتى لو كان هذا الشخص أخاً أو ابناً أو أباً.. نحن نعتبره خائناً.. لايأكل معنا.. ولايتزوج من بيننا.. وحقوقه علينا لاتزيد عن حقوق اليهود.. لو كان لهم حقوق!

●●●

نتجول فى شوارع الجولان.. وأحيائها.. وندخل بيوتها.. ونأكل مع أهلها.. النساء رائعات الجمال.. والرجال يتصفون بشهامة فطرية.. والأطفال لايكرهون فى حياتهم غير قوات الاحتلال..

لفت انتباهى بشدة عبارات مكتوبة بالعربية فوق جدران الشوارع.. «الجولان عربية

شحماً ولحماً».. عبارات تشبه عبارات الانتفاضة التى قرأتها فوق جدران القصر.. لكنهم فى الجولان يكتبونها ليلاً ويفاجأ بها جنود الاحتلال فى الصباح!

شدنى ـ أيضاً ـ العلم السورى المرفوع داخل كل البيوت الدرزية.. وصور شهداء الحروب من أبناء الدروز!!.. أما الغريب فكان إعجاب الكثيرين من عرب الجولان حتى الآن بالزعيم الراحل جمال عبدالناصر.. يضعون شرائط خطبه فى مكاتبهم فى فخر عزيز.. من هؤلاء المحامى فاجد كمال أو المحاسب كمال المغربى.. والمزارع كنج سليمان وزوجته سهام!!

●●●

الشىء الذى أبكانى.. هذا السور الذى يشبه الآن سور برلين القديم!

نحن الآن فى سفح جبل الشيخ.. هذا الجبل الذى يمكنك أن تشاهد من فوقه مدينة دمشق.. فإذا استدرت فى نفس المكان تشاهد مدينة تل أبيب!!

نحن الآن أمام سور من الأسلاك الشائكة يرتفع فوقه العلم الإسرائيلى.. وعلى مسافة كيلو متر واحد يرتفع العلم السورى!!.. أما مسافة الكيلو متر فهى حقل ألغام.. يفصل بين الحدود السورية وآخر نقطة للحدود الإسرائيلية وفقاً لاتفاقية وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧!

أكاد أشاهد الجندى السورى الذى يقف أعلى تبة فى نهاية حقل الألغام.. أراه بوضوح.. يرتدى زيه العسكرى ويحمل سلاحه منذ ثلاثين عاماً!

إلى جوار سور الأسلاك حضرت أسرة من دروز الجولان ومعها التورتة والجاتوه.. وفى نهاية حقل الألغام وأسفل العلم السورى وقفت أسرة أخرى تحمل التورتة والجاتوه.. وعرفت أنهما أقارب..

نصف الأسرة كان فى سوريا وقت حرب ٦٧.. ونصفها الآخر كان فى الجولان.. ولم

تستطع الأسرة لم الشمل بعد الحرب.. إنهم يحتفلون بأعياد الميلاد والأعياد الدينية والقومية بهذه الطريقة.. ومثلهم مثل عشرات الأسر الأخرى التى تعانى نفس الظروف.. يقف نصف الأسرة تحت العلم الإسرائيلى فى الجولان.. ونصفها الآخر تحت العلم السورى على بعد كيلو متر.. كل أسرة تحمل مكبر صوت يتفاهمون من خلاله.. ويغنون.. ويرقصون.. ويقطعون التورتة فى وقت واحد!!

وهكذا يمضى بهم اليوم حتى تغيب الشمس ويعود كل فريق إلى داره.. والدموع فى عينيه!! ومن البيوت هنا وهناك تنطلق المكالمات التليفونية.. تحدد موعداً جديداً.. موعد يوجع قلب أى عربى تجرى فى عروقه الدماء!!

رقيب الصحافة.. وعالمية السينما!

«.. تصدر فى إسرائيل كل يوم تسع صحف باللغة العبرية.. وسبع صحف باللغة العربية. ولغات أخرى.. وتصدر كل عام ألف مجلة ونشرة متخصصة.. فالشعب الإسرائيلى قلق للغاية، يدير مؤشر الراديو كل ساعة بحثاً عن نشرة الأخبار.. لكنه يعشق السينما.. ويتحدث بفخر عن فيلم «بنت ١٧»..»!!

الشعب الإسرائيلى قلق جداً!!

معظم الشعب يبحث عن الأخبار بشكل مثير.. لاتكاد تمر ساعة زمن إلا ويسارع المواطن الإسرائيلى إلى جهاز الراديو أو التليفزيون ليسمع نشرة الأخبار.. يهمه أن يعرف أخبار العالم بوجه عام.. وأخبار الشرق الأوسط بشكل خاص.. بل يحاول دائماً أن يربط بين أحداث العالم وأحداث الشرق الأوسط ليستنتج موقف إسرائيل منها!

وإذا كانت الصحافة حرة فى إسرائيل إلى أبعد حدود الحرية.. فإن دور الرقيب لم ينته بعد!!.. لكن دور الرقيب ينحصر فى مراجعة الأخبار والموضوعات التى تحمل معلومات تهدد الأمن القومى.. ومن حقه أن يمنع نشرها فوراً!

تصدر فى إسرائيل تسع صحف يومية باللغة العبرية.. بينما تصدر سبع صحف أخرى بلغات أخرى كالروسية والإنجليزية والعربية. أما عدد المجلات والنشرات المتخصصة فى إسرائيل فتبلغ ألف مجلة ونشرة تصدر فى العام!

ولاتهتم الصحف الإسرائيلية بنشر صور كبار المسئولين فى الدولة فى صدر صفحاتها الأولى. كما أنها لاتميل إلى سياسة التهليل والتأييد للحكومة «عمال على بطال».. بل تنتقد الحكومة فى أحيان كثيرة بكثير من العنف والتجريح... وتكاد تكون هناك معركة شبه يومية بين صحف المتدينين المتشددين وصحف العلمانيين المتحررين!!

حياد الإذاعة والتليفزيون

الإذاعة والتليفزيون فى إسرائيل.. محايدان على طول الخط!

لاتستطيع إذاعة أن تجامل الحكومة على حساب المعارضة.. ولايجرؤ التليفزيون فى

الانتخابات التى تجرى هناك على منح رئيس الحكومة دقيقة واحدة تزيد على المساحة الزمنية المخصصة لمنافسه على رئاسة الوزراء!

عموماً.. السبب واضح وبسيط للغاية، وهو أن الهيئة المسئولة عن إدارة الإذاعة والتليفزيون تمثل كل التيارات فى الدولة.. لأنها تتكون من مندوبين لكل الأحزاب السياسية فى إسرائيل..

تسمى الإذاعة فى إسرائيل.. «صوت إسرائيل».. وهو يقدم خمس محطات.. تخدم كل محطة جمهوراً معيناً وتذيع برامجها باللغات العبرية والعربية والروسية والإنجليزية.. فصوت إسرائيل باللغة العربية - مثلاً - يذيع نشرات الأخبار وعدداً كبيراً من البرامج التى تناقش قضايا سياسية وثقافية ساخنة.. كما يقدم الأغانى العربية ومعظمها لكبار المطربين المشهورين فى مصر..

وهناك محطة خاصة لموسيقى «البوب».. ومحطة ثالثة للأطفال وكبار السن والمثقفين والمهاجرين إلى إسرائيل.. ومحطة رابعة على الموجة القصيرة تبث معلومات هامة عن اليهود وحياتهم وتاريخهم.. ومعلومات أخرى عن الشرق الأوسط.. وبرامج عن أعياد المسلمين والمسيحيين واليهود. ويمكن لأى مواطن أن يحصل على تفاصيل هذه البرامج بالبريد!.. كل المطلوب أن يرسل إلى إذاعة صوت إسرائيل.. قسم الخدمات الخارجية.. ص.ب ١٠٨٢ - القدس ١٠-٩١ إسرائيل!!

يبدأ التليفزيون الإسرائيلى إرساله فى الصباح من خلال القناة الأولى ببرامج تعليمية وثقافية وبرامج للأطفال ونشرات أخبار «باللغتين الروسية والعبرية»..

أما فى المساء فيذيع التليفزيون مسلسلات وأفلام وبرامج متنوعة وموسيقى «البوب».. وعلى أية حال فإن كل مايظهر على شاشة القناة الأولى فى التليفزيون الإسرائيلى باللغة العبرية تصاحبه ترجمة باللغة العربية.. ومايظهر بالعربية يكون مصحوباً بترجمة عبرية.. والإنتاج المستورد يكون مصحوباً بترجمتين عربية وعبرية!.. وفى إسرائيل قناة ثانية.. لكنها تجارية!

الإسرائيليون مغرمون - أيضاً - بالسينما..

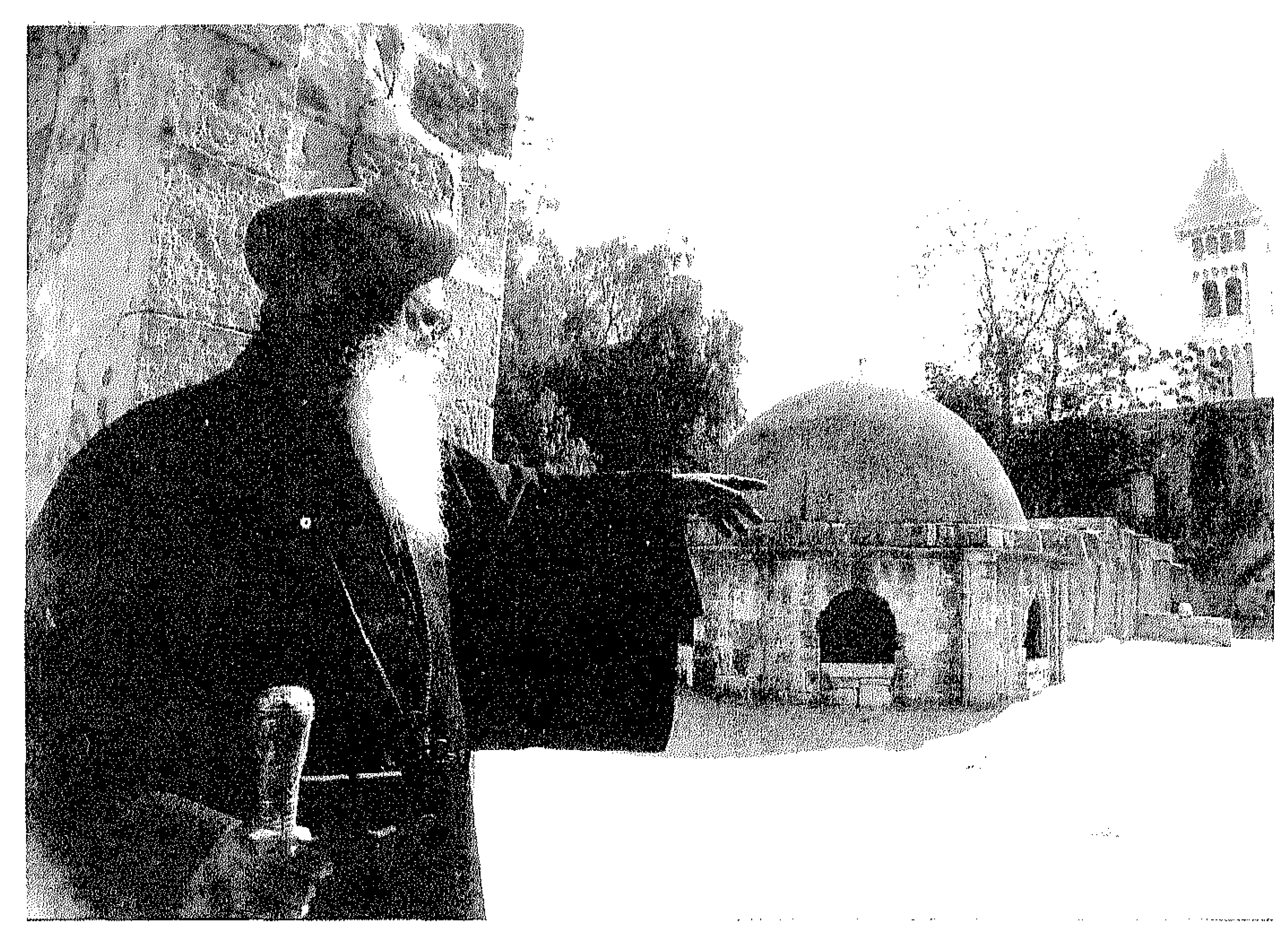
والسينما الإسرائيلية وصلت إلى العالمية رغم أن عمرها لايتجاوز خمسة وثلاثين عاماً فقط.. لكنها تطورت بشكل مذهل.. ويكفى أن الإنتاج السنوى لصناعة السينما فى إسرائيل لايقل عن اثنى عشر فيلماً.. وتعتمد معظم أفكار الأفلام الإسرائيلية على موضوعات إنسانية من قلب الواقع الاجتماعى!!

يتحدثون هنا عن النجاح الساحق لفيلم «الخماسين» على مستوى العالم.. وهو فيلم يروى قصة الصراع العربى - اليهودى وتدور أحداثه داخل أحد السجون.. ويتحدثون أيضاً عن فيلم «بنت ١٧» الذى يحكى أسرار المراهقة ويربط بينها وبين الواقع السياسى الذى تعيشه إسرائيل.. كما يتحدثون بانبهار شديد عن ممثلتهم «جيلا الماجور» الفائزة بجائزة الدب الفضى فى مهرجان برلين عام ١٩٨٩ عن دورها فى فيلم «صيف أفيا»!!

وفى القدس مبنى أرشيف الأفلام الإسرائيلى الذى أقيم عام ١٩٦١.. ويشمل آلاف الأفلام القديمة والحديثة.. ومكتبة للأبحاث والدراسات.. والأمر هنا لايقتصر على الفيلم الإسرائيلى.. وإنما الأفلام العالمية التى لها علاقة بتاريخ أو حياة اليهود.

الغريب أن طلاب المدارس تتم دعوتهم لحضور دورات تثقيفية بمبنى أرشيف السينما وتتاح لهم فرصة تحليل ونقد كل مايشاهدونه من أفلام.. كما يقدم الأرشيف مهرجاناً سنوياً للسينما منذ عام ١٩٨٤ فقط!!

فهرست الكتاب



ألأنبا إبراهام مطران القدس يشير إلى موقع دير السلطان



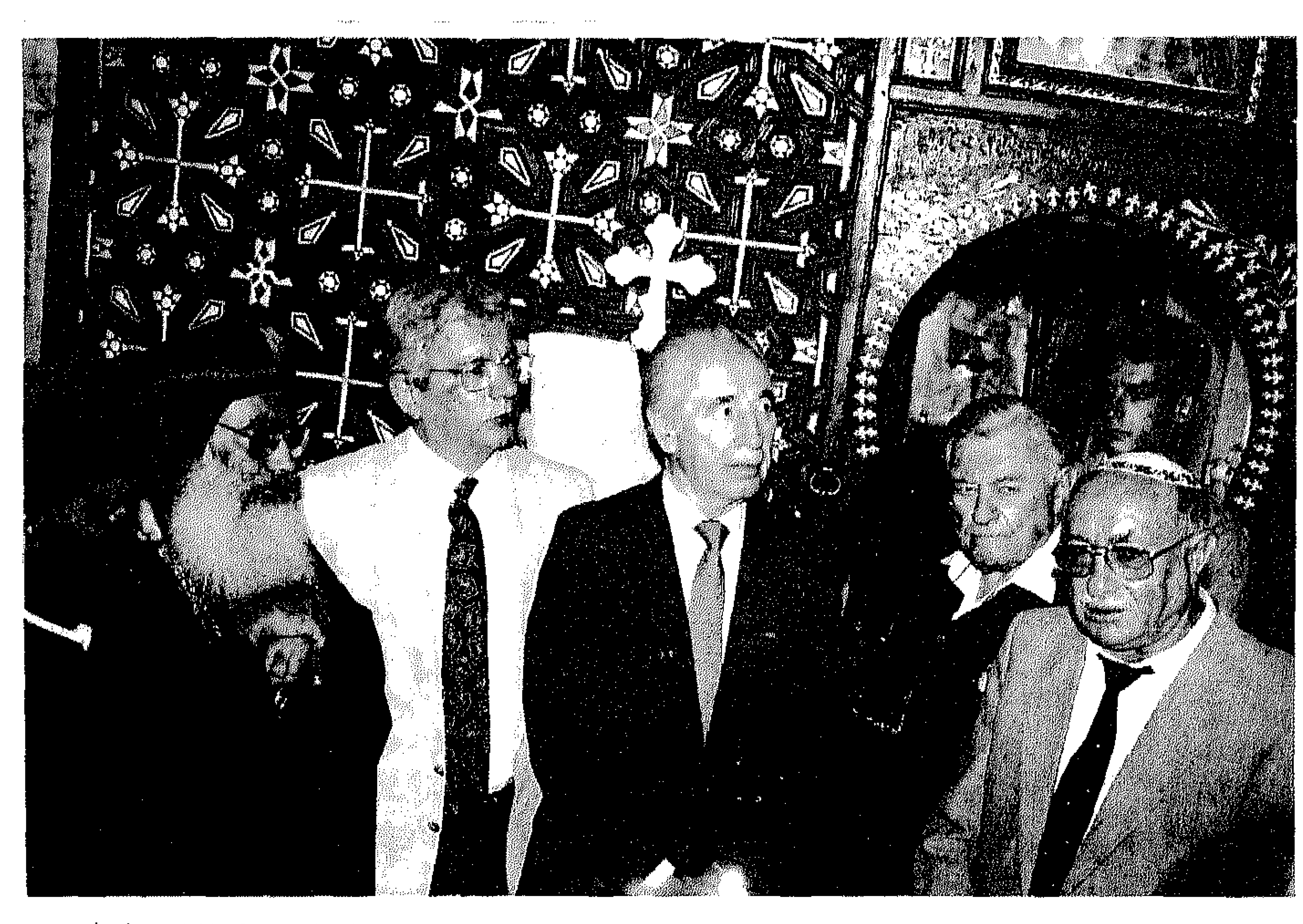
دير السلطان من الداخل ووقف أحد الرهبان الأحباش يستقبل الزوار



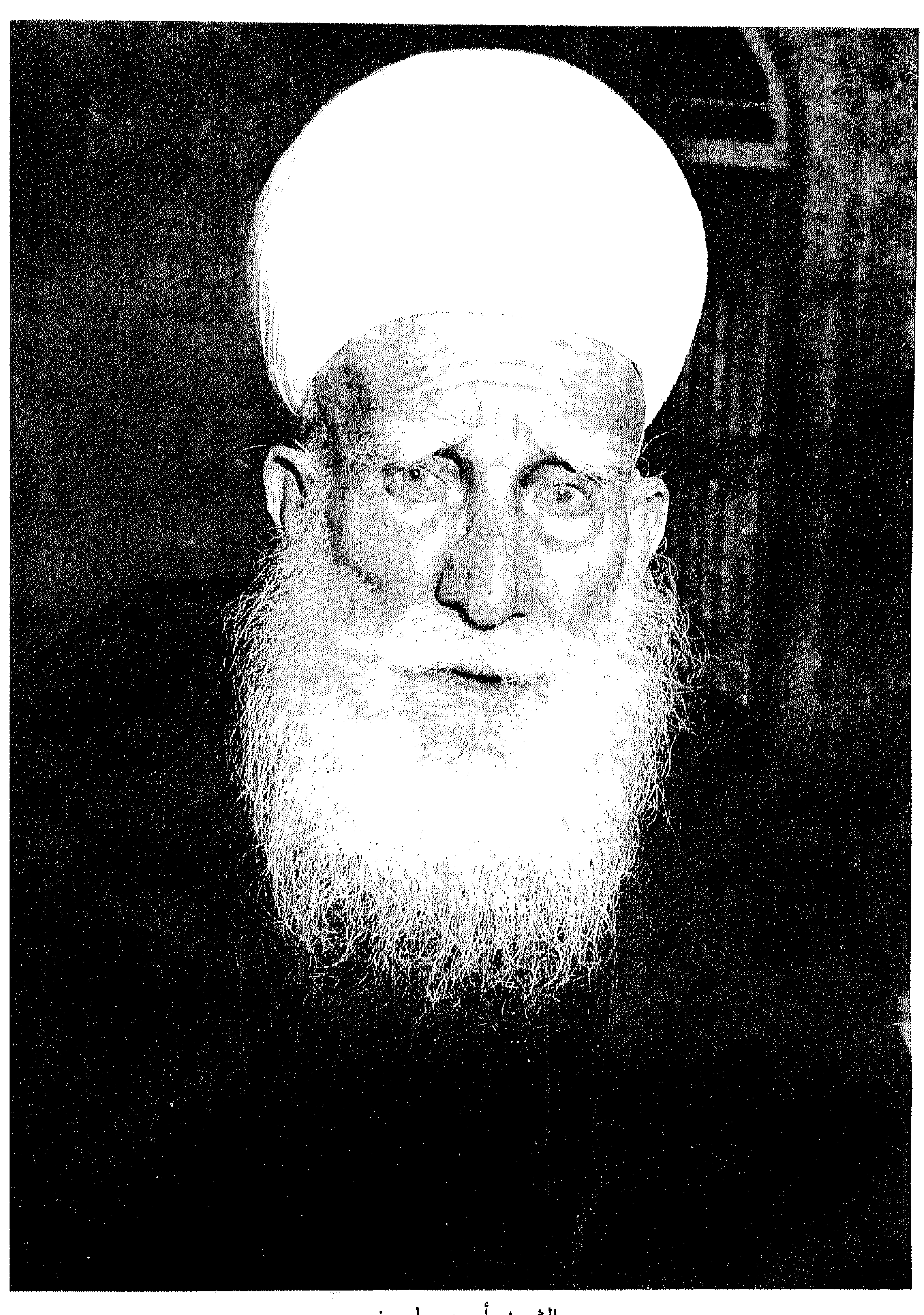
واجهة كنيسة القيامة



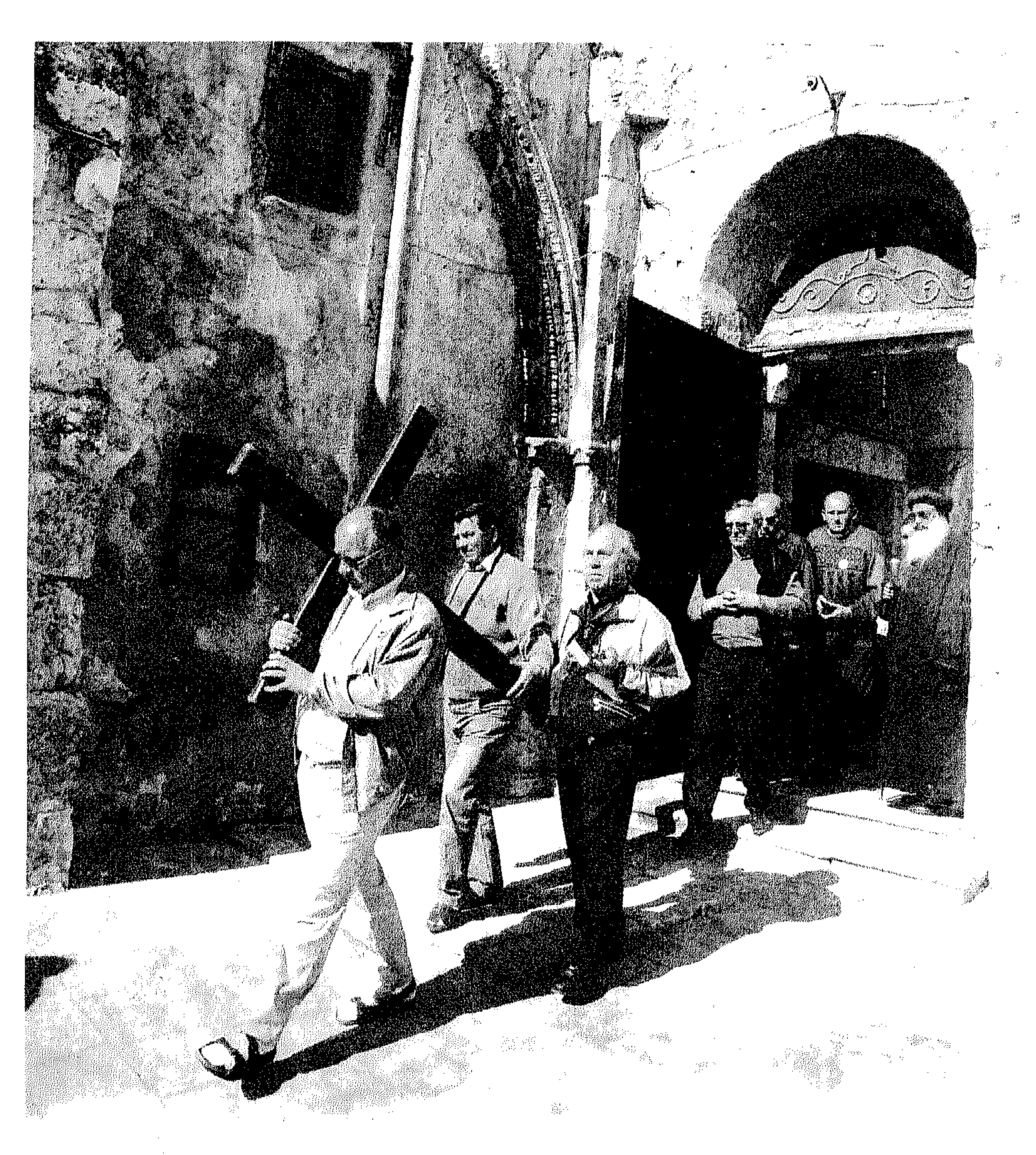
الأنبا إبراهام مطران القدس أثناء قداس الأحد بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية بداخل مدينة القيامة



مطران القدس وعلى يساره وزير العدل الإسرائيلي ووزير الخارجية الإسرائيلي
وعمدة القدس ونائب وزير الأديان الإسرائيلي



الشيخ أمين طريف



طريق الآلام من خلال الكنيسة القبطية المصرية



الوثيقة رقم ١٧

قرار باللغة التركية من مجلس متصرفية القدس للمجلس البلدي باعطاء رخصة للاقباط بتوسيع باب دير السلطان.

تاريخه ٢ تشرين أول سنة ١٣٠٦ هـ.

وفي هذا القرار اعتراف صريح بان دير السلطان هو بتصرف الاقباط بصورة مستقله .

(انظر الترجمة العربيه الحرفيه لهذا القرار في الصحيفة التالية)

Document No. 17

A report issued in the Turkish language by the Governor of Jerusalem to the Municipality Council permitting to give the Copts a license for the enlargement of the gate of the Sultan's Monastry Dated 2nd October 1306 H.

In this Letter it is a clear confession that the Sultan's Monastry is at the possession and independence discretion of the Copts.

N. B. The Arabic Translation for this letter is on the next page.

الوثيقة رقم ١٨

الرخصة الصادرة من المجلس البلدي بالقدس الى وكيل مطران الاقباط بتوسيع باب دير السلطان الواقع بمحلة اسحاق بك.

(تاريخها ٤ تشرين اول سنة ١٣٠٦ هـ (سنة ١٨٨٢ م)

Document No. 18

The license issued from the Municipality council of Jerusalem to the Vice-President of the Coptic Archbishop concerning the enlargement of the gate of the Sultan's Monastry situated at Is-hak Beys quarter.

Dated 4th October *1306*H, (*1882*)



الشيخ أحمد طاهر أبو صالح

الوثيقة رقم ٣١

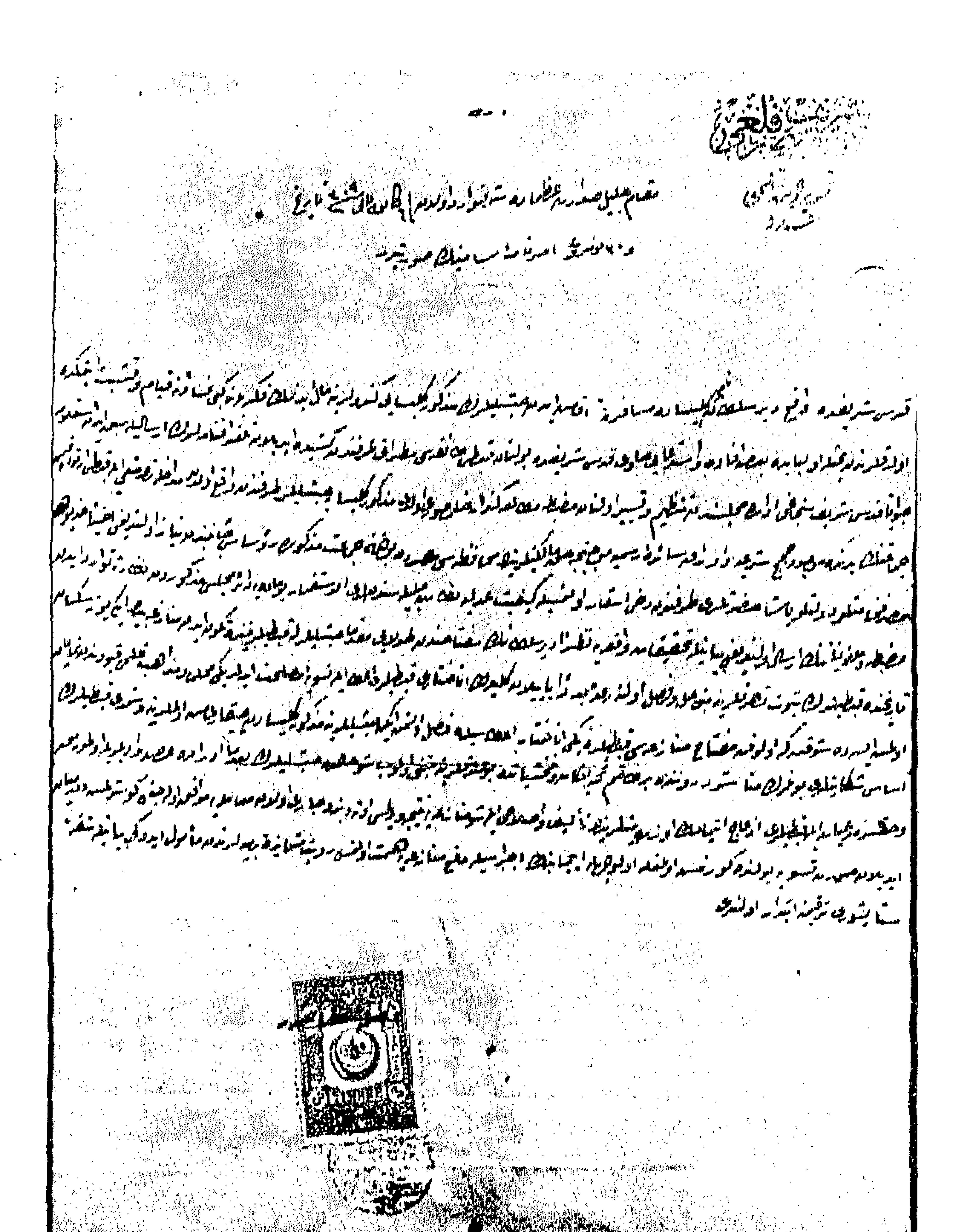
القرار الاداري الصادر بالاستيلاء على دير السلطان القبطي الارثوذكسي بالقدس .

بدون تعليق !! .

Document No. 31

The Sublime Decree which was issued ordering to take possession of the Coptic Orthodox Sultan's Monastry by force.

Without any Comments !!.



الوثيقة رقم ١٩

أمر باللغة التركية صادر من فخامة الصدر الاعظم لسعادة ابراهيم حقى باشا متصرف القدس الشريف بتاريخ٦ كانون ثاني سنة ١٣٠٩ه رقم ٣٠ وهو يقرر :

١) ان الحبش مقيمين ضيوفا لدى القبط بدير السلطان .

٢) أن دير السلطان هو ملك للقبط الذين ثبت تصرفهم بالدير المذكور بموجب الحجج والاوراق الرسمية المعتبرة .

٣) أن الاحباش يقومون باعمال فاحشة فيلزم التنبيه عليهم بأن « يعقدوا بأدبهم ولا يزعجوا الاقباط » .

(راجع الترجمة الحرفية العربيه لهذا الامر في الصحيفة التالية)

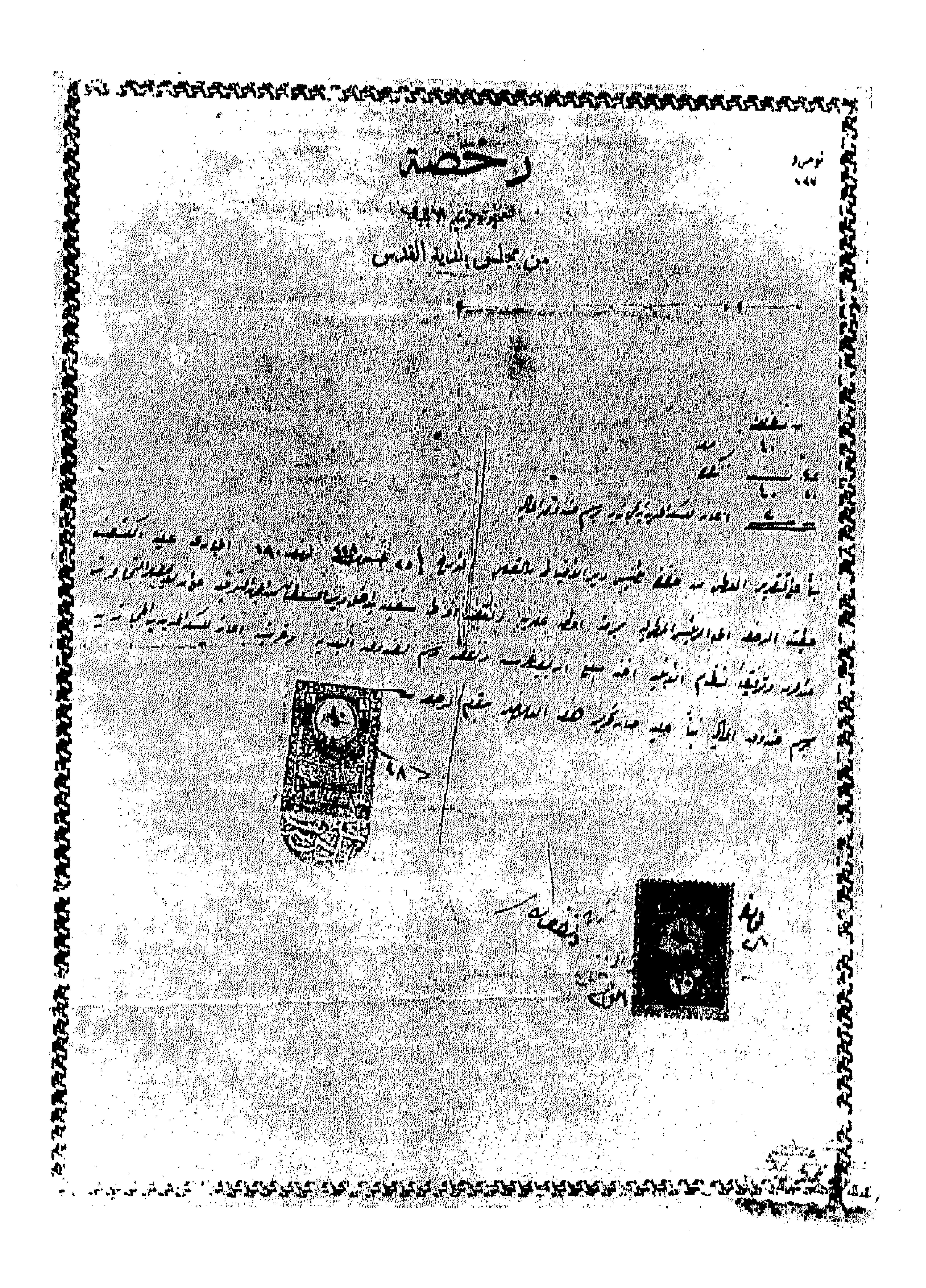
Document No. 19

An order in the Turkish language given by H. E. the Grand Vizier to Ibrahim Pasha Hakki, Governor of Jerusalem dated January 1309 H., No 30.

It declares that:

1)The Abyssinians are staying as mere guests in the Sultan's Monastry.
2) The Sultan's Monastry is a Coptic possession being confirmed according to the legal documents recorded.
3) As the Abyssinians commit:d scandals and encrouchements inside the Monastry should abstain from interrupting and annoying the Copts.

N. B. The Arabic Translation of this order is on the next page.



الوثيقة رقم ٢٢

رخصة رقم ١٣٧ من مجلس بلدية القدس.

تاريخها ١٨ ايلول سنة ١٣٢٨ ﻫ (١٩١٠ م)

صادرة لرئيس دير الاقباط بالقدس بتعمير أوض علوية وسفلية بالجهة الشرقية من دير السلطان .

Document No. 22

A Licence No *137* from the Municipality Council in Jerusalem dated 18th September *1328* H., (*1910*).

To the Superior of the Coptic Monastry in Jerusalem for repairing upper and lower rooms in the Eastern part of the Sultan's Monastry.

بنات إسرائيل

اليهودى الذى صورته لنا الأفلام بهذا الشخص حاد الأنف .. البخيل .. الأخنف لم آراه فى اسرائيل بل وجدت يهوداً أوروبيين .. وسوفييت على قدر كبير من الأناقة والكرم وحلاوة الصوت .. وإن كنت قد وجدت يهوداً آخرين يصيبونك بالأرتكايا !

لم أجد بائعات الهوى والداعرات ينتظرون الرجل فى الشوارع وبيوت الرذيلة .. بل وجدت مجتمعاً من الحاخامات المتشددين .. وشعباً يمشى وهو حامل التوراة والتلمود ويقرأ منها .. وإن كنت قد وجدت فى بعض المناطق بيوتاً للدعارة .. وفنادق للجنس .. وبائعات للهوى محترفات وهاويات!

لم أجد شعباً له جنسية واحدة أو تاريخ واحد أو لغة واحدة .. بل وجدت الإسرائيليين يتكلمون ستين لغة .. ويحملون سبعين جنسية .. وإن كنت قد وجدت فى نفس الوقت طوائف دينية مازالت تحرص على شكل واحد .. ومضمون واحد .. وهدف واحد هو كراهية العرب!

المؤلف

مدبولى الصغير